جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
قسم **علم الاجتماع**
اطروحة
لـــــنيـــل شهادة **دكتوراه علـــوم**
في **علم الاجتماع تخصص أنثروبولوجيا التغيرات الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة بالمغرب العربي**

الهوية الافتراضية لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي وأبعادها الأنثروبولوجية

من إعداد الطالب
يمين رحايل

الأستاذ المشرف
راضية بوزيان

تشكيلة لجنة المناقشة :

الصفة	الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
رئيسا	مالك شليح توفيق	أستاذ	جامعة وهران 2
مشرفا	راضية بوزيان	أستاذة	جامعة الطارف
مناقشا	رقية طرشاوي	أستاذة محاضرة أ	جامعة وهران 2
مناقشا	حسنية بلحاج	أستاذة	جامعة وهران 2
مناقشا	قويدر سيكوك	أستاذ	المركز الجامعي البيض
مناقشا	مبروك بوطقوقة	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1

الموسم الجامعي 2025/ 2026


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

خالص التحية والشكر للأستاذة المشرفة على كل ما قدمته من دعم وإرشاد وتوجيه خلال فترة إشرافها على هذا العمل، شكرا للجنة الموقرة التي ناقشت هذا العمل وأثرته بملاحظاتها القيمة، شكرا للزملاء بجامعة 20 أوت 1955 بسكيكدة على حرصهم على إتمام هذا العمل.

لكم جميعا جزيل الشكر والامتنان.

إهـــداء

إلى الوالدين الكريمين

أمي... أطال الله في عمرها، وأمدها بالصحة والعافية

أبي... رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

عائلتي الصغيرة

بناتي... ورفيقة العمر

عائلتي الكبيرة

أخواتي... وأخي.

لكم جميعا... فأنتم شركاء الإنجاز.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

شكر وتقدير
إهداء
فهرس الموضوعات
فهرس الجداول
فهرس الأشكال
فهرس الصور
المقدمة..... أ
الفصل الأول: الاطار التصوري والنظري للدراسة
تمهيد..... 3
أولا: إشكالية الدراسة. 4
- التساؤل الرئيسي للدراسة. 8
- التساؤلات الفرعية للدراسة... 8
ثانيا: مبررات اختيار الموضوع وأهميته. 9
1- مبررات علمية وأكاديمية. 9
1- 1- سد الفجوة البحثية. 9
1-2- تطوير منهجية البحث. 9
1-3- المساهمة في البحث النظري الانثروبولوجي..... 9
2- الدوافع الاجتماعية والثقافية. 9
2-1- فهم التحولات الهوياتية. 9
2-2- معالجة قضايا التعددية الثقافية. 10
2-3- دراسة التحديات اللغوية. 10
3- الأسباب الشخصية والمهنية. 10
3-1- الاهتمام الشخصي بالموضوع. 10
3-2- التطوير المهني. 10
4- الدوافع العملية والتطبيقية. 10
4-1- المساهمة في صنع السياسات. 10
4-2- دعم المؤسسات التعليمية والثقافية. 11
5- الدوافع الاستراتيجية. 11
5-1- الأمن الثقافي والقومي. 11
5-2- مواجهة تحديات العولمة الثقافية. 11
ثالثا: أهداف الدراسة. 11
رابعا: المفاهيم الأساسية. 11
خامسا: الدراسات السابقة. 24
خلاصة. 41
الفصل الثاني: مقاربات دراسة الهوية.
تمهيد..... 44
أولا: المقاربات الفلسفية. 45
ثانيا: المقاربات السوسيولوجية في دراسة الهوية. 48
1- عند إيميل دوركهايم. 49
1- 1- الهوية الاجتماعية. 51

2-1- الهوية الفردية. 52
2- عند نوربيرت إلياس. 52
3- عند ماكس فيبر. 54
4- توليف الأفكار السوسيولوجية حول مسألة الهوية. 56
ثالثا: المقاربات السيكولوجية في دراسة الهوية..... 58
1- عند سيغموند فرويد. 59
2- عند إيريك إركسون. 61
رابعا: المقاربات الأنثروبولوجية في دراسة الهوية. 62
1- التوجيهات الإثنية. 62
2- التطور الاجتماعي وأسس الانتماء الأولية. 63
2-1- لويس هنري مورغان. 64
2-2- تايلور إدوارد بورنيت. 66
3- الانتشارية والنسبية الثقافية. 68
3-1- اسهامات فرانز بواس. 69
3-2- الاسهامات الحديثة للانتشارية في موضوع البحث. 70
4- الدراسات الثقافية والشخصية الأساسية. 72
4-1- العلاقة بين شخصية الفرد وثقافة المجتمع. 72
4-2- نشأة الاهتمام بشخصية الفرد في الأنثروبولوجيا. 74
4-2-1- روث بنديكت. 74
4-2-2- مارغريت ميد. 75
4-2-3- رالف لينتون وأبرام كاردينر. 76
5- تأثير نظرية الثقافة والشخصية في دراسة الهوية الافتراضية..... 78
6- الأبعاد الأنثروبولوجية لدراسة الهوية الافتراضية..... 83
6-1- المعايير التأسيسية. 83
6-2- الأغراض الاجتماعية. 83
6-3- المقارنة بين العلاقات. 83
6-4- النماذج المعرفية. 83
خلاصة 86
الفصل الثالث: العولمة والهوية الثقافية في العصر الرقمي
تمهيد..... 89
أولا- دراسة العولمة من منظور أنثروبولوجي. 89
1 - ظهور مصطلح العولمة. 89
2- المواقف من العولمة، مع أو ضد.. 91
3- مفهوم العولمة في ظل المواقف السابقة..... 100
4- بداية الاهتمام بالعولمة في الأنثروبولوجيا. 103
ثانيا- العولمة والهوية الثقافية. 108
1- تحول مفهوم الهوية في عصر العولمة..... 108
2- ظهور الهويات العابرة للحدود الوطنية..... 109
3- تحديات الحفاظ على الخصوصيات الثقافية..... 109
ثالثا: العولمة والفضاء الافتراضي. 111
1- دور التكنولوجيا الرقمية في تسريع عمليات العولمة..... 111
2 - تشكل المجتمعات الافتراضية العالمية..... 113
3 - تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الهويات المحلية والعالمية..... 114

رابعا: الهجانة الثقافية في العصر الرقمي..... 115
1- مفهوم الهجانة الثقافية وعلاقته بالعولمة..... 115
2 - تشكل الهويات الهجينة في الفضاء الافتراضي..... 116
3 - دراسات حالة تشكل الثقافة الهجينة على شبكات التواصل الاجتماعي..... 118
4 - استراتيجيات المقاومة الرقمية للهيمنة الثقافية العالمية..... 119
خلاصة 120
الفصل الرابع: شبكة الأنترنت ورقمنة الحياة من العالمي إلى المحلي.
تمهيد..... 123
أولا: التطور التاريخي للإنترنت..... 123
1-نشأة وتطور الإنترنت والدراسات الاجتماعية المرتبطة بها..... 123
1-1-مرحلة النشأة 1960- 1990م..... 124
1-2- مرحلة الويب 1 1990-2000م..... 124
1-3-مرحلة الويب 2، الويب الاجتماعي 2000- 2010م..... 127
1-4- مرحلة البيانات الضحمة 2010- إلى يومنا هذا..... 130
2-تحولات استخدام الإنترنت عالمياً. 132
2-1- البحث عن المعلومات. 134
2-2- التواصل الاجتماعي. 134
2-3- التجارة الإلكترونية..... 134
3- نمو عدد المستخدمين والفجوات الرقمية..... 136
ثانيا: واقع الأنترنت في الجزائر..... 138
1- بداية الأنترنت في الجزائر..... 138
2- تطور استخدامات الأنترنت في الجزائر..... 139
2-1- احصائيات الاستخدام..... 139
2-2- مؤشرات استخدامات الأنترنت في الجزائر..... 141
3- مؤشرات استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي..... 142
3-1-المؤشرات العالمية لاستخدامات شبكات التواصل الاجتماعي..... 142
3-2- فيسبوك على رأس شبكات التواصل الاجتماعي..... 144
3-3- المؤشرات المحلية لاستخدام استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي... 145
3-4- خصوصيات الاستخدام في المجتمع الجزائري..... 147
خلاصة 150
الفصل الخامس: الاجراءات المنهجية للدراسة.
تمهيد..... 152
أولا: المنهج..... 152
1- نوع الدراسة. 152
2- مبررات اختيار نوع الدراسة. 152
3- الإثنوغرافيا الرقمية كمنهج للدراسة. 154
4- مبررات اختيار منهج الإثنوغرافيا الرقمية. 156
ثانيا: المقاربة النظرية. 159
1- أهمية المقاربة النظرية. 159
2- اختيار المقاربة النظرية. 160

3- المقاربات النظرية لدراسة الهوية الافتراضية. 160
3-1- نظرية شبكة الفاعلين. 161
3-2- نظرية الهوية الاجتماعية. 163
ثالثا: مجالات الدراسة. 165
1- المجال الجغرافي..... 165
2- المجال الزماني - الوقت المناسب. 166
3- المجال البشري..... 168
خلاصة. 169
الفصل السادس: التطبيق الميداني وتحليل البيانات وعرض النتائج
تمهيد..... 171
أولا: اختيار العينة. 171
1- العينة في البحوث الكيفية. 171
2- عينة غير احتمالية. 171
3- العينة الملائمة. 171
4- عينة الدراسة. 174
5- خصائص وسمات العينة. 178
5-1- دلالة البيانات الديموغرافية. 178
أ- الخصائص المتعلقة بالجنس. 178
ب- الخصائص المتعلقة السن. 179
ت- الخصائص المتعلقة بالحالة الاجتماعية. 180
5-2- دلالة البيانات السوسيو-اقتصادية. 181
أ- الخصائص المتعلقة بالمهنة. 181
ب- الخصائص المتعلقة بالمستوى التعليمي. 183
ثانيا: وسائل جمع البيانات. 184
1- الملاحظة بالمعايشة. 184
2- تحليل المحتوى التلخيصي..... 184
3- المقابلة..... 187
ثالثا: آليات التحليل الكيفي. 190
1- التحليل الموضوعي لبيانات المقابلة..... 190
1-1- بيانات التعريف بالنشاط الرقمي..... 190
1-2- تشكيل الهوية الافتراضية..... 191
1-3- التفاوض الهوياتي بين الهوية المحلية والعالمية..... 193
1-4- إعادة الإنتاج الافتراضي للهوية المحلية..... 195
2- الأبعاد الأساسية التي تشكل لهوية الافتراضية. 197
2-1- البعد الاجتماعي للهوية الافتراضية. 198
2-2- البعد المهني للهوية الافتراضية. 203
2-3- البعد الديني للهوية الافتراضية. 205
2-4- البعد الوطني للهوية الافتراضية. 208
رابعا: عرض ومناقشة مناقشة نتائج الدراسة..... 212
المراجع..... 215

فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
1	جدول يوضح تصور دوركهايم لأنماط التضامن الاجتماعي وعلاقته بالهوية	50
2	جدول يوضح تصور ماكس فيبر للعلاقات الجماعاتية والتطويعية وعلاقتهما بموضوع الهوية	54
3	جدول يوضح التيارات الأنثروبولوجية الكبرى المنظرة لمسألة الهوية	81
4	جدول يوضح العناصر والفئات الرئيسية المكونة للهوية.	84
5	جدول يوضح عينة من الدراسات الأنثروبولوجية المهتمة بالعولمة أواخر القرن العشرين	104
6	جدول يوضح تزايد عدد مستخدمي فيسبوك خلال الفترة الممتدة بين 2004م -2024م، والأحداث المهمة المرافقة لهذا التزايد	130
7	جدول توزيع الأنترنت في الجزائر سنة 1999م على الهئيات حسب قطاع النشاط	139
8	جدول يمثل مؤشـرات نمو فـيسبوك عالميا بالأرقام خلال وقبل أفريل سنة 2023م.	144
9	جدول يوضح العلاقة بين الإثنوغرافيا التقليدية والإثنوغرافيا الرقمية	155
10	جدول يوضح الفئات العمرية المهيمنة على الفيسبوك في الجزائر مطلع سنة 2023م، مقارنة مع عدد أفراد العينة في كل فئة عمرية.	179
11	جدول يوضح توزيع أفراد العينة حسب المهنة.	181
12	جدول يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى الدراسي.	183
13	جدول يوضح البيانات الأولية الخاصة بحسابات العينة على الفيسبوك والفئات الرئيسية التي تنتمي إليها	186
14	جدول يوضح اتجاهات تشكل الهوية الافتراضية والاستراتيجيات المعتمدة من قبل أفراد العينة	192
15	جدول يوضح استراتيجيات التفاوض بين الهوية المحلية والهوية العالمية بناءً على بيانات المقابلة	194
16	جدول يوضح استراتيجيات إعادة إنتاج الهوية المحلية افتراضيا بناءً على بيانات المقابلة	196
17	جدول يوضح توزيع الأبعاد الرئيسية التي تشكل الهوية الافتراضية على فيسبوك عند وحدات البحث	197

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
1	مخطط يوضح تأثير أفكار رواد السوسيولوجيا في مسألة الهوية	56
2	مخطط يوضح أشكال الهوية حسب مستويات تشكلها على ضوء محددات الشخصية عند فرويد.	60
3	مخطط يوضح مجال استخدام الذكاء الاصطناعي لمؤازرة النشاط البشري.	112
4	رسم بياني يوضح تطور عدد مستخدمي الأنترنت حول العالم والنسبة المئوية التي يمثلونها بين سنتي 2005 – 2019م.	128

5	رسم بياني يوضح عدد المستخدمين النشطين لأبرز شبكات التواصل الاجتماعي على المستوى العالمي خلال شهر أفريل 2024م (بالملايين).	129
6	مخطط يوضح الاستعمالات المتعددة لشبكة الأنترنت من قبل المتصل	132
7	أعمدة بيانية تمثل الأسباب الأكثر شيوعا للاستخدام العالمي للأنترنت خلال الربع الثاني من سنة 2024م.	133
8	أعمدة بيانية تمثل صافي المبيعات السنوية لشركة أمازون في الأسواق الرائدة المختارة بين سنتي 2014م – 2013م (مليار $).	135
9	شكل يوضح تطور عدد مستخدمي الانترنت حول العالم ما بين سنة 2005-2023م (بالملايين).	136
10	شكل يوضح الفجوة الرقمية في استخدام الانترنت بين المناطق الريفية والحضرية على مستوى العالم سنة 2023م.	137
11	أعمدة بيانية توضح تطور العدد الإجمالي لمشتركي الإنترنت في الجزائر (2014-2015)	140
12	أعمدة بيانية تمثل عدد مستخدمي الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي حول العالم اعتبارا من أكتوبر 2024 – بالمليارات.	142
13	أعمدة بيانية تمثل توزيع الفئة العمرية لمستخدمي الأنترنت في الدول النامية والدول الأقل نموا في العالم خلال سنة 2023م.	143
14	أعمدة بيانية تمثل الدول الرائدة بناء على حجم مستخدمي فيسبوك ابتداء من شهر أفريل 2024م (بالملايين).	146
15	شكل يوضح خصائص ومميزات المنهج الإثنوغرافي الرقمي والمواضيع المناسبة لاستخدامه.	158
16	مخطط لأفراد العينة ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية الافتراضية للطالب – على شبكة الفايسبوك-	176
17	مخطط انسيابي يوضح مجموع الفئات المشكلة لشبكة العلاقات الاجتماعية الخاصة بالباحث على شبكة الفايسبوك.	

فهرس الصور

رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
1	صورة افتراضية لشبكة اجتماعي.	22
2	صورة تمثل أسلوب أخذ العينة الملائمة.	173
3	مجموع صور من حساب الطالب لها علاقة بالهوية المهنية وأكاديمية	177
4	مجموع صور من حساب الطالب منشورات لها علاقة بقطاع التربية والتعليم وصفتنا من أولياء التلاميذ.	182
5	صورة عن صفحة أسئلة دليل المقابلة	189
6	مجموع صور تعبر عن البعد الديني للهوية الافتراضية عند وحدات البحث	
7	مجموع صور تعبر عن الصراع الديني ضمن بعد الهوية الافتراضية عند وحدات البحث	

مقدمة

مقدمة :

عرفت المجتمعات البشرية خلال تطورها العديد من التحولات، في أغلب الأحيان كانت تلك التحولات رهينة الاكتشافات والاختراعات الكبرى التي كان لها تأثيراً بالغاً في حياة الإنسان، حتى أن كل مرحلة من مراحل التطور البشري سميت بتلك الاكتشافات أو الاختراعات، وفي هذا الصدد نجد مجتمع القنص، القطف، المجتمع الزراعي، المجتمع الصناعي وأخيرا مجتمع المعلومات.

يعتبر هذا الأخير المرحلة الراهنة التي يعيشها المجتمع البشري، والتي جاءت كنتيجة لتداعيات التطور التكنولوجي الهائل الذي عرفه المجتمع البشري في شتى المجالات التكنولوجية، وبشكل خاص مجال المعلوماتية والاتصالات الحديثة التي تعتبر السمة الغالبة في هذا العصر حتى سمي عصر المعلومات، وهو عصر متأثر بظهور الانترنت، وتطور شبكة الاتصالات عبرها وتعاظم أهميتها، حتى ظهور ما يسمى المجتمع الافتراضي الذي استقطب أعداد كبيرة من البشر من مختلف البقاع حول الفضاء الرقمي الافتراضي الذي يتم الولوج إليه من خلال أجهزة الحواسيب والهواتف النقالة والألواح الإلكترونية عبر شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي التي يطلق عليها الحوامل الثقافية التي تخترق المجال المعرفي البشري مساهمة في ظهور أنماط حياة وأنماط تفاعلية جديدة بين أفراد من أماكن مختلفة وعلى اختلاف ثقافاتهم، جنسياتهم، عرقياتهم، أديانهم، مستوياتهم... حتى أن هذا التفاعل والتواصل أصبح شيء معتاد وجزء من الحياة اليومية، فوسائط الميديا الإلكترونية لم تعد من الكماليات بالنسبة للكثير من الأفراد، وهو الأمر الذي طرح العديد من الرهانات والتحديات وأفرز العديد من التغيرات على مستويات عديدة ومختلفة، ودفع بالعديد من المفكرين والباحثين إلى البحث في الظاهرة أو الظواهر البشرية بشكل عام وفق مفاهيم حديثة مرتبطة بمجتمع المعلومات، وبالتغيرات التي أحدثها بشكل خاص في حياة الأفراد والمجتمعات، بل أن الأمر تعدى ذلك إلى بروز فروع علمية جديدة مرتبطة بالموضوع ذاته وبفروع معرفية في شتى المجالات تحاول التعرف على الظاهرة وصبر أغوارها وتأثيراتها وحدودها وانعكاساتها على مختلف المجتمعات والثقافات، وفي هذا السياق يأتي التحليل الأنثروبولوجي للعملية الاتصالية أو التفاعلية بين الوسائط التقنية والدوافع الثقافية والممارسات اليومية والمعتقدات الاجتماعية السائدة، كون العلاقة وطيدة بين العملية الاتصالية ككل والعملية الاتصالية التي أفرزتها التطورات المتسارعة في عالم الإعلام والاتصال وعملية التواصل الثقافي أو التثاقف ونقل الثقافات بين الفاعلين في هذه الفضاءات التي تعكس إلى حد ما ثقافة الفاعل فيها وهويته الثقافية.

وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة،التي تهدف إلى فهم واكتشاف الأنماط التفاعلية الجديدة التي أفرزها الولوج لعالم المعلومات، وانعكاساتها على الفاعلين ومحاولة فهم التمظاهرات الاجتماعية والثقافية المرافقة لاجتياح الثقافات المهيمنة الجارفة في هذا الفضاء، ومصير الخصوصية الثقافية أو المحلية عند الفاعلين في المجتمع الجزائري ممثلا في عينة الدراسة، علما أن العديد من الدراسات تعرب عن انشغالها

من الانعكاسات السلبية للظاهرة مع الإقرار بالحاجة الماسة إلى استغلالها بشكل ايجابي من جهة واستحالة التصدي لها من جهة أخرى، كون انتشار استخدام هذه الوسائل بات أمرا حتميا فاق جميع التقديرات.

أمام هذا الواقع، نجد أنفسنا مدفوعين إلى دراسة الظاهرة انطلاقا من الممارسات الاجتماعية والثقافية التي تبرزها والمواقف التي تظهرها، وتفحص مختلف العلاقات التي تربطها بالظاهرة الاجتماعية والثقافية من جوانبها الأنثروبولوجية المتمثلة هنا بشكل رئيسي في الدوافع الثقافية والممارسات اليومية والمعتقدات الاجتماعية السائدة التي تدفع بالفرد إلى ولوج مجتمع المعلومات من خلال استخدام وسائل الاتصال الحديثة والانخراط في مواقع التواصل الاجتماعي كون العملية التفاعلية برمتها هنا تتم من خلال تبادل رأس مال ثقافي يبدو جليا من خلال سمات الفرد التي تعبر عن هويته الثقافية، هذه الأخيرة التي تكون في العالم الافتراضي مفتوحة للفرد يشكلها كيفما شاء ليعطي لنفسه صفات دون أخرى وهو لب دراستنا التي تبحث في تشكيل الهوية الافتراضية لعينة من مستخدمي الفيسبوك. وهو ما سنحاول كشفه من خلال هذه الدراسة التي قسمناها إلى ستة فصول، الفصل الأول خصصناه للإطار التصوري والنظري للدراسة، حددنا من خلاله الإشكالية وتساؤلات الدراسة، وقدمنا مبررات اختيارنا للموضوع وأهميته، والأهداف التي ترمي إليها، ثمعرضنا لأهم المفاهيم والدراسات السابقة على المستويين المحلي، والعالمي.

الفصل الثاني كان للمقاربات التي اهتمت بدراسة الهوية في مختلف المجالات والتخصصات العلمية، كالفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس والأنثروبولوجيا، لنصل إلى تأثير هذه المقاربات بشكل عام في دراسة الهوية الافتراضية، على خلفية دراستنا لتأثير العولمة في الهوية الثقافية في العصر الرقمي، والذي كان موضوع اهتمامنا في الفصل الثالث، أين تطرقنا لمقاربة العولمة من منظور أنثروبولوجي، وتأثيرها على الهوية الثقافية، لنصل إلى دراسة العولمة والفضاء الافتراضي، ودور التكنولوجيا في تسريع عمليات العولمة، وتشكيل المجتمعات الافتراضية العالمية، وتأثير ذلك على الهويات المحلية بشكل خاص، والاستراتيجيات المتبعة للمحافظة على الهوية المحلية في سياق العولمة وتأثير شبكات التواصل الاجتماعي. وعليه فقد كان الفصل الرابع خاص بشبكة الأنترنت ورقمنة الحياة، للتعرف نشأة الأنترنت وتطورها، وتطور استخداماتها عالميا ومحليا، وصولا إلى معرفة مؤشرات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الجزائر وأهمية معرفة ذلك في دراستنا.

أما الفصلين الخامس والسادس فكانا للإجراءات المنهجية للدراسة، حددنا من خلاله نوع الدراسة، والمنهج المتبع، وأهم المقاربات النظرية لدراسة الهوية الافتراضية، ثم حددنا مجالات الدراسة تمهيدا للفصل السادس، الذي جاء فيه التطبيق الميداني وتحليل البيانات وعرض النتائج.

الفصل الأول
الإطار التصوري والنظري للدراسة

الفصل الأول: الإطار التصوري والنظري للدراسة

تمهيد

أولا: إشكالية الدراسة.

- **التساؤل الرئيسي للدراسة.**
- **التساؤلات الفرعية للدراسة.**

ثانيا: مبررات اختيار الموضوع وأهميته.

1 - مبررات علمية وأكاديمية.

1- 1- سد الفجوة البحثية.

1-2- تطوير منهجية البحث.

1-3- المساهمة في البحث النظري الانثروبولوجي.

2- الدوافع الاجتماعية والثقافية.

2-1- فهم التحولات الهوياتية.

2-2- معالجة قضايا التعددية الثقافية.

2-3- دراسة التحديات اللغوية.

3- الأسباب الشخصية والمهنية.

3-1- الاهتمام الشخصي بالموضوع.

3-2- التطوير المهني.

4- الدوافع العملية والتطبيقية.

4-1- المساهمة في صنع السياسات.

4-2- دعم المؤسسات التعليمية والثقافية.

5- الدوافع الاستراتيجية.

5-1- الأمن الثقافي والقومي.

5-2- مواجهة تحديات العولمة الثقافية.

ثالثا: أهداف الدراسة.

رابعا: المفاهيم الأساسية.

خامسا: الدراسات السابقة.

الفصل الأول: الإطار التصوري والنظري للدراسة:

تمهيد:

يعرف العصر الحالي في سلم تطور الشرية بعصر الثورة الرقمية، ويتميز العالم خلاله بالترابط أكثر من أي وقت مضى، ويرجع هذا إلى التكنولوجيا الحديثة التي غيرت طرق التفاعل والتواصل بين الأفراد، وعملت على إعادة صياغة ملامح الهوية في مختلف أبعادها، حيث تحولت وسائل التواصل الاجتماعي مع الانتشار الواسع للأنترنت إلى شبكات حيوية تعكس التحولات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات البشرية، التي أعادة صياغة العلاقات وبناء الهويات.

في هذا السياق تأتي دراستنا لشبكات التواصل الاجتماعي، التي تعتبر أبرز مظاهر العصر الرقمي، حيث تجاوز دورها العملية التواصلية لتصبح بيئة تفاعلية تعكس أبعاد البيئة الواقعية، على غرار شبكة فيسبوك التي تحتل موقعا مركزيا كأحد أهم الشبكات وأوسعها انتشارا، وأعمقها تأثيرا لملايين المستخدمين على المستوى العالمي.

في الجزائر لا يختلف الأمر كثيرا عن باقي دول العالم، حيث شهد فيسبوك ما يسمى "الهجرة نحو شبكات التواصل الاجتماعي"، أين تحول إلى المنصة الأولى لتبادل الأفكار، وأبرز المنابر للتعبير عن الرأي، وفضاء لتشكيل هوية افتراضية تتفاعل بطرق متعددة الأبعاد مع الواقع. وهو ما يجعل من دراسة الهوية الافتراضية عند مستخدمي هذه الفضاءات أمرا بالغ الأهمية، لفهم أبعاد هذه الهوية، ومختلف العلاقات والتفاعلات التي تبنى حولها.

نعمل من خلال هذا الفصل على وضع إطار تصوري للدراسة، ينطلق من الإشكالية وتساؤلات الدراسة، أسباب ودوافع اختيار الموضوع، الأهداف التي نريد تحقيقها من خلال الدراسة، مع استكشاف المفاهيم التي ترتبط بموضوع الهوية الافتراضية وأهم الدراسات التي عالجته.

أولا: إشكالية الدراسة:

يعيش العالم اليوم ثورة رقمية غير مسبوقة، أصبحت فيه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات محورًا أساسيًا في حياة الأفراد والمجتمعات. يُعرف هذا العصر بعصر المعلومات أو العصر الرقمي، ويتميز بسرعة تدفق البيانات وسهولة الوصول إليها. وكما تطور العالم خلال الحقبة الصناعية على مدار قرنين من الزمن، وتحول على خلفية التطور التقني باختراع الآلات والمعدات الصناعية التي طورت من وسائل النقل وكثفت من سلاسل الإنتاج والتوريد، فظهر العمل المأجور الذي دفع بالأفراد والجماعات إلى التحضر والهجرة من الأرياف إلى المدن الحديثة طلبا للعمل وتحسين مستوى المعيشة والصحة العامة والرفاهية، مما أحدث تغييرات هيكلية في الأسرة والأدوار المنوطة بأفرادها. ليتحول الاقتصاد من الاعتماد على

الزراعة إلى اقتصاد يعتمد على القطاع الصناعي والخدماتي وبشكل خاص الخدمات المالية والتجارية، وهو ما دفع إلى نمو التجارة العالمية بوتيرة سريعة، وتحول العالم شيءً فشيءً إلى الرأسمالية ونظام السوق العالمي الذي مكن لقوى الهيمنة الأمريكية والأوروبية من السيطرة على شعوب ودول العالم.

خلال العصر الرقمي الذي نعيشه اليوم عرف العالم المزيد من التغيرات الجدرية التي مست جميع مناحي الحياة خلال الربع الأول من القرن الحالي، ففي أواخر القرن العشرين ومع ظهور الأنترنت بدأ العصر الرقمي، وتسارع مع انتشار الهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي في بداية القرن الواحد والعشرون. وهو في تطور متسارع ومستمر مع تطور أنترنت الأشياء والواقع الافتراضي والذكاء الاصطناعي، ومع التحول الكبير من تكنولوجيا الميكانيك إلى التكنولوجيا الرقمية التي انتشرت على نطاقٍ واسعٍ وبشكلٍ سريعٍ حول مختلف بقاع العالم، كان لهذا الانتشار أثراً عميقاً على الإنسان في جميع جوانب حياته الاقتصادية، الثقافية، السياسية، الاجتماعية، العلائقية...، حيث تحول الاقتصاد إلى الاقتصاد الرقمي الذي يقوم على التجارة والتسويق الإلكترونيين، الشيء الذي فتح آفاق جديدة في سوق العمل، فتغيرت طبيعة الوظائف وظهرت أنماط جديدة من العمل، وتحولت أساليب الوصول إلى المعرفة، وأساليب استهلاك وإنتاج المحتوى الثقافي. بشكل عام حدث خلال هذه الفترة تحولا جذريا في الحياة الناس والحضارة البشرية، على خلفية الدور المحوري الذي تلعبه التكنولوجيا الرقمية والمعلوماتية في تشكيل الحياة اليومية، مما أدى إلى تغييرات جذرية في طرق التواصل والتفاعل مع الانتشار الواسع لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي والأنترنت التي حولت العالم إلى قرية عالمية تتلاشى فيها الحدود بين الثقافات والمجتمعات كما تنبأ بها مارشال ماكلوهان في كتابة الصادر سنة 1989م والذي يحمل عنوان: "القرية العالمية: التحولات في الحياة العالمية ووسائل الإعلام في القرن الحادي والعشرين" "The Global Village: Transformations in World Life and Media in the 21st Century". والذي عرض فيه جملة من التنبؤات كان أغلبها مبالغ فيها في ذلك الوقت، إلا أن العديد منها تحقق في العصر الحالي - العصر الرقمي، فلقد حولت الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي التواصل العالمي إلى عملية سهلة وفورية وغير مكلفة، وربطت الأفراد والمجتمعات عبر كل القارات، وجعلت نشر المحتوى الثقافي أو العلمي أو العملي أو الترفيهي عالميا، وأصبحت الوسائل أكثر تأثيرا من المحتوى فغيرت الهواتف الذكية طريقة التواصل والتفاعل مع المعلومات، وأعادت وسائل التواصل الاجتماعي تشكيل الخطابات السياسية والاجتماعية، وانتقل المجتمع من الثقافة المرئية إلى ثقافة أكثر شمولية وتعددية فظهرت الوسائط التفاعلية المتعددة التي دمجت الحواس بفضل تقنيات الواقع الافتراضي، كما أن انتشار المعلومات أدى إلى انفجار داخلي أثر على الخصوصية الهوياتية والثقافية وأعاد تشكيل المؤسسات الاجتماعية التقليدية، التي كانت تقوم بمهام الضبط الاجتماعي، وأصبح التعليم، العمل، التواصل، المشاركة... ومختلف جوانب الحياة أصبحت رقمية تعتمد على الأنترنت والهاتف المحمول ومجموعة من التطبيقات المحملة من Play Store. وهو ما جعل بداية هذا العصر يتجاوز جميع التوقعات

التي كانت ترى في أواخر القرن الماضي فقط ، أن الأنترنت ظاهرة عابرة وهو ما يفسر عدم الإقبال المنتظر من مؤسسي أول منصة للتواصل الاجتماعي Six Degress التي أطلقت سنة 1997م، ليسود الاعتقاد مع بداية هذا القرن أن الناس لن يستخدموا وسائل التواصل الاجتماعي للاتصال خاصة بعدما أغلقت Six Degress سنة 2001م، لعدم قدرتها على جلب المشتركين بشكل يسمح بتمويلها، والمشاكل التقنية التي واجهة منصة Friendster التي أطلقت سنة 2002م، وإن كانت قد حققت شعبية أوسع من سابقتها، لكن المفاجأة كانت بتضاعف عدد المشتركين أكثر من سبع مرات تقريبا، خلال خمس عشر سنة الأولى من هذا القرن حسب الإحصائيات المعروضة في موقع ستاتيستا statist[1]، حيث أنه بين سنة 2000م وسنة 2015م تضاعف عدد المشتركين في الأنترنت من 6,5% إلى 43% من سكان العالم مع إطلاق منصات أصبحت أكثر انتشارا وحققت نجاحا أكبر على غرار My Space، التي أطلقت سنة 2003م وإن لم تكن حققت نفس النجاح الذي عرفته منصة Facebook التي أطلقت سنة 2004م.

تزامن انتشار الأنترنت والتحول إلى العصر الرقمي إذا مع بروز شبكات التواصل الاجتماعي كظاهرة عالمية، محدثةً تحولات عميقة في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع البشري برمته. هذه المنصات لم تعد مجرد وسائل للتواصل وان كان الهدف من تصميمها هو التواصل حتى أنها سميت باسمه "شبكات التواصل الاجتماعي Social Media"، بل أصبحت فضاءات لتشكيل الآراء، وبناء الهويات، وتبادل الثقافات. تأثيرها امتد ليشمل مختلف جوانب الحياة، من العلاقات الشخصية إلى الحركات السياسية والاجتماعية، كما أنها عملت على خلق أشكال جديدة من الأنشطة البشرية مست جميع مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وأنماط الحياة... وغيرت من السلوكيات الفردية والجماعية، وأثرت على العلاقات الاجتماعية والقيم، وعملت على صهر الثقافات العالمية ودمجها من غير حدود فاصلة. والأكثر من ذلك أنها فرضت نفسها على كل سكان العالم متحدية جميع الاختلافات التي تفرق الشعوب والمجتمعات.

في وقتنا الراهن يعتبر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي من بين الأنشطة الأكثر شيوعا بين مستخدمي الأنترنت، حيث تشير الإحصائيات –من موقع ستاتيستا مجددا- إلى أن المستخدمين يقضون ما يقارب 2,5 ساعة أو 151 دقيقة يوميا على هذه الوسائل، بزيادة قدرها 40 دقيقة منذ عام 2015م. ويعتبر فيسبوك Facebook أحد أهم هذه الشبكات الاجتماعية التي تجاوزت الحسابات النشطة بها أكثر من مليار حساب مسجل عبر العالم، وحوالي 2,9 مليار مستخدم نشط شهريا، حيث سجلت المنصة تزايدا كبيرا في السنوات الأخيرة من 500 مليون مستخدم سنة 2010م إلى 2,3 مليار مستخدم سنة 2018م، ليسجل سنة 2023م 3 مليار مستخدم عبر العالم، أي أن 03 مليار شخص من البشر يملكون حسابات على فيسبوك،

[1] - https://www.statista.com/

يعملون من خلالها على البقاء على تواصل مع العائلة والأصدقاء والمعارف، يملؤون أوقات فراغهم من خلال البحث عن محتويات تسليهم، أو يبحثون على أشياء يقومون بشرائها، يشاركون الآراء ويناقشون مواضيع تهمهم، يتابعون المشاهير، ينشرون يومياتهم وأعمالهم... مع إمكانية التواصل والاتصال مع كل من يملك حساب ويسمح بذلك، وهو ما يجعل من هذه المنصة ذات أهمية كبيرة لما تقدمه للأشخاص من فوائد عظيمة وما تمنحه من فرص غير مسبوقة في مختلف المجالات.

ومع ذلك يواجه استخدام الشبكات الاجتماعية، مثل الفيسبوك، العديد من المشكلات التي قد تؤدي إلا توتر في الأنساق الاجتماعية والثقافية الأصلية[1]، فلأسباب تتعلق بطبيعة هذه المنصة من جهة، وأخرى تتعلق بالمستخدمين يتداخل العالم الافتراضي مع الحياة الواقعية للفرد، ويصبح الفرد يعيش بين الانعزال عن محيطه القريب وانفتاحه على عوالم جديدة بعيدة، أكثر ديمقراطية من حيث أنها لا مركزية تغيب فيها معايير الضبط التي تحكم الفضاءات التقليدية، فينفتح على ثقافات عالمية يفترض أن تكون فيها الهيمنة للثقافة التي أنتجت هذه التقنية وصدرتها للاستهلاك. هذا الوضع يطرح على الأفراد والجماعات إشكالية ضرورة الحفاظ على التنوع الثقافي والتفرد الهوياتي، أي إقامة التوازن بين الانفتاح على الآخر وثقافاته المختلفة، والحفاظ على هويته وثقافته التي تميزه. بالإضافة إلى الحاجة للتكيف مع التغيرات الثقافية السريعة التي يفرضها التدفق المستمر للأفكار الجديدة.

في هذا السياق ظهرت العديد من المقاربات التي أسست لتخصص فرعي جديد ضمن الدراسات الأنثروبولوجية، يهتم بالأنترنت والظواهر المتصلة بها، أطلق عليه اسم "الأنثروبولوجيا الرقمية" Digital Anthropology، يركز على دراسة التفاعل بين الإنسان ومكونات البيئة الرقمية، ويهتم بعملية تشكل الهوية في الفضاءات الرقمية. وتعتبر العشرية الأولى من القرن الحالي، عشرية وضع اللبنات الأولى لهذا الفرع العلمي، حيث نجد العديد من الأعمال، بدءً بالعمل التأسيسي لكريستين هين Christine Hin الذي يحمل عنوان "الإثنوغرافيا الافتراضية" "Virtual Ethnograph" نشر سنة 2000 م، والذي اشتغلت فيه على جملة من الانشغالات التي رافقت نشأة العوالم الافتراضية الجديدة وما تمنحه الأنترنت من إمكانيات غير مسبوقة، لكنها في نفس الوقت تطرح جملة من الانشغالات حول الكيفية التي تؤثر بها هذه الشبكة في العلاقات الاجتماعية، وما إن كانت تختلف هذه العلاقات والتفاعلات عن تلك التي تتم بها في الواقع، والطرق والأساليب المستخدمة للتوفيق بين الإثنين، وما إن كانت الحياة الرقمية منفصلة عن الواقعية. ولا تزال كريستين هين تشتغل على مثل هذه المواضيع وأخرى على صلة وطيدة بالإثنوغرافيا الرقمية ومنهجيات الفهم الاجتماعي للأنترنت، ودراسة الثقافات والحياة اليومية عبر المواقع الافتراضية، حتى أنها تعتبر من الرواد المطورين لمناهج بحث الإثنوغرافيا الافتراضية.

[1]- جوهر الجموسي، المجتمع الافتراضي، د ن، تونس، 2007، ص 17.

ضمن نفس المقاربة تندرج جهود "دانيال ميلر" " Daniel Miller " الذي أنشأ أول برنامج دراسي يحمل عنوان "الأنثروبولوجيا الرقمية" في قسم الأنثروبولوجيا بجامعة "كوليج لندن". يدافع ميلر على أطروحته التي تهتم بالكيفية التي يتغير فيها السلوك تحت تأثير التكنولوجيا والعولمة والعوالم المشابهة في مختلف الثقافات، من خلال العمل الميداني وفق مقاربات متعددة المناهج، يعمل ميلر على تطوير المنهجية الإثنوغرافية الرقمية لدراسة الممارسات والطقوس اليومية على شبكات التواصل الاجتماعي، وفهم كيفية بناء الهوية عبر مختلف المنصات وتحليل العلاقة بين الهويات المتعددة. ومن المهم ذكر أن العديد من أعماله تقع ضمن مشاريع عالمية يشتغل على اشكالاتها عدد كبير من الخبراء لفهم هذه الممارسات ضمن مختلف السياقات، يمكن أن نذكر منهم بالإضافة إلى كريستسن هين Christine Hine، دانا بويد Danah Boyd، نانسي باييم Nancy Baym، زيزي باباشاريسي Zizi Papacharissi، وغيرهم ممن أنصبت دراساتهم خلال الربع قرن الأخير حول الرقمي أو الافتراضي وما يتصل به من علاقات اجتماعية داخل الشبكة، الهوية الافتراضية والمسألة الثقافية في العصر الرقمي...، وبشكل عام الإثنوغرافيا الرقمية.

وإن كانت هذه المقاربة تعالج الإشكالات البحثية التي نطمح لدراستها لتقديمها إطارا عاما شاملا لفهم التفاعلات الأنثروبولوجية في الفضاءات الرقمية، وتمنحنا الوسائل المنهجية الكفيلة ببحث الكيفية التي تشكل وفقها الهويات في على شبكات التواصل الاجتماعي. إلا أنها لا تمنعنا من العمل وفق مقاربات أخرى، مثل التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism كأداة تفسيرية، ونظرية الأداء Performance Theory كمدخل تحليلي. أي استخدام مقاربة مركبة لأجل فهم أشمل لموضوع الدراسة وفهمه في السياق الجزائري.

حيث يكتسب الصراع بين الهوية الثقافية المحلية والهوية المعولمة في الجزائر أبعادًا خاصة، نظرًا لتعقيد النسيج الثقافي واللغوي للمجتمع الجزائري. نظرا للتاريخ الغني والتنوع الثقافي الذي يتمتع به المجتمع، لهذا يجد الأفراد أنفسهم في مواجهة تحديات الحفاظ على خصوصيتها الثقافية في ظل الانفتاح الرقمي العالمي. وهذا ما جعلنا نطرح التساؤل الرئيسي للدراسة، والذي مفاده:

كيف يوازن الأفراد بين هويتهم الأصلية وتشكيل هوية افتراضية في ظل تنوع المصادر الثقافية في العالم الرقمي؟

وتنبثق عن هذا التساؤل جملة من التساؤلات الفرعية:

1. كيف يؤثر استخدام الفيسبوك على تشكيل وإعادة تشكيل الهوية لدى المستخدمين؟

2. كيف تبنى استراتيجيات التفاوض الهوياتي من طرف مستخدمي الفيسبوك في التوفيق بين هويتهم المحلية والهوية المعولمة على فيسبوك؟

3. كيف يستخدم رواد فيسبوك أبعاد هويتهم المحلية في إعادة إنتاج أو تجديد الهوية الافتراضية في العصر الرقمي؟

ثانيا: مبررات ودوافع اختيار الموضوع وأهميته.

انطلاقا من دوافع موضوعية وأخرى ذاتية قمنا بتقسيم دوافعنا في اختيار هذا الموضوع إلى خمس فئات رئيسية لتغطية مختلف الجوانب ذات الأهمية المتداخلة في هذا الموضوع والتي كانت أسباب مباشرة وغير مباشرة لاختياره.

1- مبررات علمية وأكاديمية:

1- 1- سد الفجوة البحثية:

تعتبر ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية في السياق الجزائري ضمن مجال الأنثروبولوجيا أحد أبرز المبررات لتناول هذا الموضوع، الشيء الذي جعل الحاجة إلى دراسات أنثروبولوجية ميدانية حديثة تعكس واقع استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في الجزائر أمرا ملحا.

1-2- تطوير منهجية البحث:

تعتبر هذه الدراسة فرصة لتطوير أساليب بحثية جديدة تجمع بين نظريات الأنثروبولوجيا التقليدية ومناهجها وتحليل البيانات ودراسة الحياة الرقمية، مما يجعل من إمكانية استكشاف طرق جديدة لدراسة وفهم المجتمعات في العصر الرقمي أمرا قائما، فضلا عن التي تستخدم عادة في الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية.

1-3- المساهمة في البحث النظري الانثروبولوجي:

تعتبر دراسة هذا الموضوع فرصة لاختبار وتطوير النظريات الأنثروبولوجية الكلاسيكية، التطورية، الانتشارية، الثقافة والشخصية... وغيرهم، ومدى المساهمة التي تقدمها في فهم البيئة الرقمية، وتفاعل الأفراد والجماعات فيما بينهم في هذه البيئة، ومع الوسائل التي تقدمها، وما مدى تقديم رؤى جديدة حول نظريات الهوية والثقافة في سياق العولمة الرقمية.

2- الدوافع الاجتماعية والثقافية:

2-1- فهم التحولات الهوياتية:

إن الرغبة في رصد التغيرات التي تطرأ على الهوية الثقافية المحلية في ظل الانفتاح الرقمي، ودراسة الكيفية التي يتفاعل بها الشباب الجزائري مع الثقافات العالمية الوافدة عبر فيسبوك وباقي شبكات التواصل الاجتماعي من الدوافع الرئيسية التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع.

2-2- معالجة قضايا التعددية الثقافية:

تعتبر قضايا التعددية الثقافية من المواضيع التي تهتم بها الأنثروبولوجيا منذ نشأتها، وعليه تأتي ضرورة استكشاف كيفية تعبير مختلف المكونات الثقافية الجزائرية (عربية، أمازيغية، إسلامية) عن نفسها

رقمياً، في ظل التطور التكنولوجي، وفهم دور الفيسبوك في تعزيز أو تحدي التهديدات التي تمس التماسك الاجتماعي في مجتمع متعدد الثقافات.

2-3- دراسة التحديات اللغوية:

تأتي أهمية تحليل الممارسات اللغوية للمستخدمين الجزائريين على فيسبوك (العربية، الأمازيغية، الفرنسية) انطلاقا من هذا التنوع والاختلاف، الذي يدفع إلى فهم تأثير السياسات والممارسات اللغوية للفيسبوك على الهوية اللغوية الجزائرية.

3- الأسباب الشخصية والمهنية:

3-1- الاهتمام الشخصي بالموضوع:

يعتبر شغف الباحث بدراسة التفاعل بين التكنولوجيا والثقافة وخبرتنا الشخصية في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي منذ بداياتها الأولى، وملاحظة تأثيرها على المحيط الاجتماعي أحد أبرز الدوافع التي جعلتنا نهتم بهذا الموضوع ونولي له أهمية بالغة.

3-2- التطوير المهني:

أصبح التحول الرقمي في العصر الحالي أكثر من ضرورة، بل حتمية تكتسح جميع مجالات الحياة، ومنه ضرورة اكتساب مهارات جديدة في تحليل البيانات الرقمية والبحث الإثنوغرافي الافتراضي وبناء خبرة في مجال الدراسات الرقمية والثقافية، وهو مجال متنامي في الأوساط الأكاديمية في مختلف المجالات.

4- الدوافع العملية والتطبيقية:

4-1- المساهمة في صنع السياسات:

من خلال هذا المجال البحثي يمكنه توفير بيانات وتحليلات من شأنها أن تساعد صانعي السياسات في فهم تأثير وسائل التواصل الاجتماعي وتقديم توصيات لتطوير استراتيجيات وطنية للتعامل مع تحديات الهوية الرقمية.

4-2- دعم المؤسسات التعليمية:

من شأن الاشتغال على هذا الموضوع أن يوصلنا إلى تقديم المساعدة الضرورية للمؤسسات التعليمية في تطوير برامج للتربية الرقمية، وتقديم رؤى لهذه المؤسسات فيما يخص برامج حول كيفية الحفاظ على الهوية الثقافية في العصر الرقمي في ظل الاستخدام المتزايد لشبكات التواصل الاجتماعي الرقمية.

5- الدوافع الاستراتيجية:

5-1- الأمن الثقافي القومي:

في ظل التحولات الجيوسياسية المعاصرة يرتبط موضوعنا هنا بقضايا الأمن القومي، ويجعل من دراسة دور الفيسبوك ووسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام وتأثيره على الاستقرار الاجتماعي والسياسي، وفهم تأثير هذه الوسائل على الهوية الوطنية والتماسك الاجتماعي أمرا بالغ الأهمية وضروري للحفاظ على الأمن القومي والتماسك الاجتماعي.

2-5- مواجهة تحديات العولمة الثقافية:

في ظل الانفتاح العالمي، ينصب الاهتمام على استكشاف سبل الحفاظ على الخصوصية الثقافية وتحليل آليات المقاومة الثقافية في الفضاء الرقمي لصياغة سياسات ثقافية فعالة.

هذه المبررات والدوافع في مجملها تؤكد على أهمية الموضوع من جوانب متعددة، سواء على المستوى الأكاديمي أو الاجتماعي أو الشخصي أو العملي. وهي تبرز قيمة هذا البحث في فهم وتحليل الظواهر المعاصرة المرتبطة بالهوية والهوية الثقافية في العصر الرقمي.

ثالثا: أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة بشكل عام إلى تحليل وفهم طبيعة العلاقة بين الهوية الثقافية المحلية والهوية الافتراضية التي يشكلها الفرد على صفحات الفيسبوك، وتأثير هذه العلاقة على تشكيل وإعادة تشكيل الهوية الثقافية في السياقات الرقمية، وذلك من خلال تحقيق الأهداف الموالية بشكل خاص:

1- الكشف عن مظاهر الهوية الثقافية المحلية على فيسبوك، وتحديد العناصر الثقافية البارزة في المحتويات المنشورة، ورصد أشكال التعبير عن تلك الهوية في هذه الفضاءات الرقمية.

2- تحليل تأثيرات العولمة الثقافية على الهوية الافتراضية، ودراسة مدى تبني المستخدمين للقيم والممارسات الثقافية العالمية على فيسبوك، مع تحديد مجالات التداخل والتفاعل بين الثقافة المحلية والعالمية في المنشورات والتفاعلات.

3- استكشاف استراتيجيات التفاوض الهوياتي لدى المستخدمين، وتحليل الأساليب التي يتبعونها للموازنة بين هويتهم المحلية والعالمية، ودراسة الكيفية التي يتعامل بها المستخدمين مع التناقضات الثقافية التي تنشأ في الفضاء الرقمي.

4- تقييم مدى مساهمة الفيسبوك في إعادة إنتاج الهوية الثقافية، ودراسة كيفية استخدامها كمنصة للحفاظ على التراث الثقافي وإحيائه مع تحليل دور هذه المنصة في خلق أشكال جديدة من التعبير الثقافي والهوياتي.

5- فهم تأثير الأحداث السياسية والاجتماعية على الهوية الرقمية، وفهم انعكاسات بعض الأحداث المفصلية على التعبيرات الهوياتية على فيسبوك، وتحليل الكيفية التي تفاعل بها المستخدمين مع القضايا الوطنية والعالمية، وتأثير ذلك على هويتهم الثقافية.

6- استكشاف العلاقة بين الهوية الافتراضية والهوية الواقعية، ودراسة مدى التطابق أو الاختلاف بين الهوية المعروضة على فيسبوك والهوية في الحياة الواقعية، وتحليل أسباب وآثار التباين بين الهويتين إن وجد.

في الأخير تسعى هذه الأهداف إلى تقديم فهم شامل ومعمق للعلاقة بين الهوية الثقافية المحلية والعالمية في السياق الرقمي، مع التركيز على التحديات والفرص التي تقدمها شبكات اجتماعية رقمية مثل الفيسبوك كمنصة للتفاعل الثقافي والهوياتي.

رابعا: مفاهيم الدراسة:

تعتبر مفاهيم البحث أو الدراسة من الركائز المهمة التي لا يجب على الباحث إغفالها، فهي ركيزة أساسية من ركائز المنهجية السليمة، كونها تشكل خلفية معرفية للموضوع، والتحكم فيها ورصد الحقول الدلالية لها يشكل أحد الخصائص البنائية التركيبية للموضوع.

وعليه فهذه الدراسة، نرى أنها تجمع المفاهيم التالية: الهوية، الهوية الافتراضية، المستخدم، شبكات الاجتماعي الاجتماعي، الأبعاد، والأنثروبولوجيا. كمفاهيم أساسية لا يكتمل البناء التركيبي للموضوع دون التوقف عندها.

1 - مفهوم الهوية:

تزايد على مدار عقدين من الزمن في العلوم الاجتماعية الاهتمام بمفهوم الهوية، ومع تنامي الوعي بأنها من أبرز الجوانب المعيارية وأبرزها تأثيرا في السلوك الإنساني، تزايدت البحوث والدراسات المهتمة بمسألة الهوية، كما تنامى بالموازات مع ذلك شيء من عدم وضوح معناها، حيث يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم الأكثر تعقيدا بين المفاهيم المتداولة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويرجع ذلك لكثرة استخدامه في مختلف المجالات العلمية من فلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، العلوم السياسية، اللسانيات.. والأنثروبولوجيا. وهو ما يجعل منه مفهوما يأخذ في كل فرع معرفي مفهوما قد يختلف عنه في فرع معرفي آخر، كما يختلف المفهوم في نفس الفرع المعرفي من مرحلة إلى أخرى ومن مفكر لآخر باختلاف الخلفية النظرية والتيار الفكري الذي ينتمي إليه مستعمله.

نحاول في هذه الدراسة الاقتراب أكثر من موضوع الهوية من خلال محاولة الإحاطة بالمفهوم من مختلف الجوانب التي رأيناها تخدم موضوع دراستنا بشكل مباشر، ولا ندعي بأي شكل من الأشكال الإحاطة التامة بجميع عناصر الموضوع لتشعبها وكثرة معالجتها عبر مختلف الحقب الزمنية.

1-1- الهوية لغة:

ترى بعض المصادر أن مصطلح هوية مصطلح تراثي قديم في اللغة العربية[1]، رغم أننا لم نجد له أثرا في معاجم اللغة العربية القديمة كلسان العرب لابن منظور، أو كتاب العين للفراهيدي. بل نجد أنه اشتق

[1]- حسن حنفي حسنين، الهوية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 17.

من حرف الرباط "هو" الذي يدل على صلة الارتباط بين المحمول والموضوع في جوهره، وهو ما أشارت إليه معاجم اللغة العربية الحديثة، ومنها[1]:

- المعجم الوسيط: يرى الوسيط أن الهوية (منسوب إلى هو)، فهوية الإنسان تعني حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية.
- معجم المعنى: يرى أنها حقيقة الشخص التي تميزه عن غيره. وتضم إحساسه بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف.
- المعجم الرائد: أوردها كحقيقة مطلقة في الأشياء والأحياء مشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية.

يلاحظ أن كل التعاريف السابقة تقترب من إقتراح أن الهوية اسم مرادف للوحدة والوجود، وتعني التشخص، الشخص نفسه، ما هية الشيء ووجوده المحض[2]. ويقابله في المعاجم الغربية باللغة الفرنسية Identité و Identity باللغة الإنجليزية.

1-2- الهوية اصطلاحا:

يعتبر مصطلح الهوية من المصطلحات التي يزداد تعقيداً كلما تعمقنا في البحث عن معناه، وهذا راجع لكونه يقع في استخدامات متعددة، فهو كمبحث تزداد أهمية خلال عدة عقود، وفي مختلف الفروع العلمية، ولأجل الوقوف على تحديد معناه سنحاول التطرق لمجموعة من التعريفات والتوليف بينها للخروج بتعريف جامع.

فهناك من يعرفها على أنها: " مفهوم يدل على مجموع خصائص يفترض أنها أساسية، ومستمرة عند فرد من الأفراد رغم التغيرات التي يمكن أن تطرأ عليه[3] "، وهنا نجد معنى الثبات في الخصائص الأساسية للفرد، والتي يمكن التعرف عليها من خلال تلك الخصائص التي تميزه عن غيره، وتجعله متماثل مع ذاته عبر مختلف الأزمنة.

وفي نفس السياق أفرد طوني بينيت في معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع أنها: " علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، وهي القدرة على الاستمرار في أن يكون الفرد أو الجماعة ذاتها"[4].

---

[1]- الموقع الإلكتروني المعاني، على الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/هوية/ ، شوهد يوم 2017/09/26 – 22:06.

[2]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية**، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص ص، 529، 530.

[3]- عبد الرزاق الداوي، **في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة**، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2013، ص 154.

[4]- طوني بينيت (وآخرون)، مفاتيح إصطلاحية – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2010، ص700.

ويتطابق التعريف السابق مع **تعريف رالف لينتون** الذي عرفها بأنها: "المجموعة المتكاملة من الصفات الفردية والعقلية والنفسية، أي المجموع الإجمالي لقدرات الفرد العقلية وإحساساته ومعتقداته وعاداته واستجاباته العاطفية المشروطة"

ويعريفها رنه لكيوي R. L'Ecuyer على أنها : "مجمل الخصائص (الأذواق، المصالح، الكفاءات، العيوب...) والسمات الشخصية (بما فيه الصفات البدنية) والأدوار والقيم، التي ينسبها الشخص لنفسه، ويقيمها أحيانا بشكل إيجابي ويعترف بأنها تشكل جزءا منه، تبعا للخبرة الخاصة في أن يكون ويتعرف على ذاته رغم التبدلات[1]"، ويلاحظ أنه اشترط في تعريفها وعي الشخص بأحوال هويته، وخبرته بها والتعرف عليها.

ما نلاحظه على التعاريف السابقة هي إشارة علماء الاجتماع إلى وجود نوعين من الهوية؛ هوية اجتماعية، وهوية فردية (ذاتية، شخصية)، وهما مرتبطان بشكل وثيق وحده التحليل يمكننا من التمييز بينهما. فالاجتماعية تعتبر دليلاً على التشابه بين أفراد المجتمع، بينما تميز الهوية الفردية الفرد كشخصية مستقلة عن باقي الأفراد، وتتشكل صورة الفرد عن نفسه من خلال التفاعل المستمر بين الفرد والعالم الخارجي – الجماعة التي ينتمي إليها والجماعات الأخرى- وهنا يتعلق مفهوم الهوية بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم[2].

أما رؤيتنا للمفهوم الأنسب للهوية فهو ذلك المفهوم المتعدد الجوانب، الذي يمكننا من مقاربته من عدة زوايا أو أبعاد، يمكن إدخالها ضمن ما نسميه الأبعاد الانثروبولوجية، التي تهتم بالثقافة بوصفها أسلوب حياة مشترك من قبل أفراد جماعة تنتمي لنفس الثقافة، حيث تنتظم الهوية حول مجموع هذه الأبعاد التي تعمل لصالح الكمال والتماسك في ضوء العلاقات الاجتماعية، فيتمايز الفرد عن غيره بمجموعة من الصفات الذاتية، كأن يكون ذكرا أو أنثى، طفلا أو بالغ، سمين أو ضعيف البنية، أشقر أو أسمر، كما تعبر عن المستوى التعليمي والحالة الاجتماعية، والبعد النفسي المتعلق بالمشاعر والاتجاهات، وممارسة الهوايات.... وغيرها. ومن جهة أخرى ينحاز لجماعته في مجموعة من الأبعاد التي يتبناها، وتصبح تعبراً عن انتمائه الثقافي والاجتماعي، وتميزه بما يجعله يختلف عن الأشخاص المنتمين لثقافات ومجتمعات أخرى، فنجد هنا بعد الانتماء العائلي أو القبلي، الديني، السياسي، الطبقي، اللغوي، الفكري، العلائقي.

1-3- المفهوم الإجرائي للهوية:

من خلال المفاهيم السابقة يمكن استخلاص المفهوم الإجرائي للهوية على أنه مفهوم يدل على تشكيل الصورة الذاتية عند الأفراد، والموضوعية عند الجماعات. هذه الصورة يكونها الأفراد عن أنفسهم وعن

[1]- كاترين آلبرتين (وآخرون)، الهوية والهويات: الفرد- الزمرة- المجتمع، تر: إياس حسن، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2010، ص7.

[2]- أنتوني غدنز، علم الاجتماع 2005، ص ص 90، 91.

مجتمعهم من خلال تفاعلهم في مجالات اجتماعية متعددة ينتمي إليها الفرد بدءا بالجماعة الأولية كالأسرة، التي تزود أفرادها بقيم المجتمع وتعمل على بنائه، من خلال الولاء للقيم الاجتماعية، كالاحتفال بالأعياد الوطنية والدينية، وتعزز القيم الاجتماعية.

1-4- الهوية الافتراضية:

1-4-1- مفهوم لإفتراضية:

أ- الإفتراضية لغة:

جاء في **معجم المعاني الجامع**:

" اِفتراضي، اسم منسوب إلى افتراض، ما يعتمد على الفرض أو النظرية بدلا من التجربة أو الخبرة. ومنها: الواقع الافتراضي: الواقع التقريبي، محاكاة يولدها الحاسوب لمناظر ثلاثية الأبعاد لمحيط أو سلسلة من الأحداث تمكن الناظر الذي يستخدم جهازاً إلكترونياً خاصاً من أن يراها على شاشة عرض ويتفاعل معها بطريقة تبدو فعلية".

وجاء في **معجم المعجم للغة العربية المعاصر:**

" افتراضية: اسم مؤنث منسوب إلى افتراض: -مسألة/ معركة افتراضية-، تبنى في كلمته تصورات وأفكار تحتاج إلى الدليل.

مصدر صناعي من افتراض: قضية أو فكرة يؤخذ بها في الاستدلال أو البرهنة على قضية أخرى: -استطاع أن يؤكد صحة افتراضيته- افتراضية جدلية"[1].

ب- الإفتراضية اصطلاحا:

يقودنا البحث في مفهوم الافتراضي والافتراضية إلى آراء الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز Gilles Deleuze (1925- 1995م)، وبشكل خاص تلك التي يعالجها في كتابة "الاختلاف والتكرار" الذي نشر سنة 1968م والمتعلقة بالهوية والزمان، بالإضافة إلى أعمال هنري برجسون Henri Bergson (1859-1941م)، بيير ليفي Pierre Levy (1956م) وبرايان ماسومي Brian Massumi (1956م)... وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين، في إطار مناقشتهم لمسائل فلسفية تتمحور حول الواقعية والمادية.

يخوض بيير ليفي في هذا المصطلح كرهان فلسفي من حيث المفهوم، وأنثروبولوجي إذا تعلق الأمر بفهم مسار الحياة البشرية بينها وبين الافتراضية، واجتماعي من جانب فهم الطفرة التي أحدثها، ولم يكتفي

[1]- الموقع الإلكتروني المعاني، على الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/، شوهد يوم 2017/09/26 – 22:15.

بتعريفه بل قدم تحليلا له كنمط تحول من نمط وجود إلى نمط آخر[1]، ويشير إلا أنها الشيء الموجود بشكل كامن، وهو لا يتعارض مع الحقيقي في معناه الفلسفي الدقيق، كما نوقش الافتراضي مقابل الواقعي، والرأي الفلسفي يقول بعدم انفصالهما، وإذا كان الواقعي محقق كالافتراضي كامن كالشجرة يفترض أن تكون ضمن البذرة، أو كانعكاس الشعاع على المرآة. كما تناقش المسألة في إطار فلسفة الوجود والعدم[2].

رغم أن العديد من المفاهيم تأطرها الفلسفة وتقدم لها إطاراً للفهم والتفسير، إلا أننا نسجل فجوة في الدراسات التي تربط بين هذا المفهوم واستعمالاته في الدراسات الحديثة المرتبطة بالحياة على الشبكة، نظرا لحداثة الموضوع وتركزه في الدراسات، وهو ما يقود إلى بناء مفهوم الإفتراضي والإفتراضية ضمن المفاهيم الحديثة التي افرزها التطور التكنولوحي، فبروز الأنترنت وظهور ما يسمى المجتمعات الإفتراضي والشبكات الاجتماعية قدمت الأنترنت تحررا لمستخدميها من الإرتباطات المكانية والجسدية والإكراهات الفيزيائية المرتبطة بهما، مما مكن الأفراد من القيام بالعديد من الممارسات اليومية ضمن حياة إفتراضية موازية للواقعية، تعكس وتتماهى معه، أين يتم التفاعل فيها بواسطة الحواسيب والهواتف الذكية متعددة الوسائط، من خلال مجموعة من التطبيقات والمنصات، التي تجمع ملايين الأشخاص على صفحاتها، يتم خلالها تداول مجموعة من الرموز، الجمل، الكلمات، الصور، الفيديوهات، للتعبير عن مختلف الأفكار، الآراء، المشاعر والأحاسيس، ونقلها للآخر، ضمن فضاءات واسعة، تتشكل من كل الأفراد المتصلين عبر الشبكة وعبر تلك الصفحات والمنصات. يجتمع هذا الكل مشكلا لما يسمى المجتمع الإفتراضي الذي له الكثير من المسميات على غرار؛ المجتمع الشبكي، الفضاء السيبيري، البيئة الرقمية... وغيرها من المسميات.

ويعرف على أنه فضاء افتراضي يعتمد على المواقع الالكترونية في تشكيل شبكات تواصل اجتماعة قوامها البرمجيات التي تستخدم في تسيير جملة من الأنشطة يقوم بها مستخدمي تلك الشبكات.

1-4-2- الهوية الإفتراضية:

هي هوية الفرد التي تظهر في المنتديات وغرف الدردشة[3] وبشكل خاص في بحثنا هذا، في شبكات التواصل الاجتماعي وعلى صفحات الفيسبوك. وهي تتميز بعدة خصائص من حصث هي هوية اختيارية يتمكن الفرد فيها من إعطاء نفسه المواصفات التي يريدها، أي هي هوية يبنيها الفرد بذاته على صفحات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك نموذجا) لتظهر لباقي المستخدمين من رواد الموقع كما يريدها هو.

---

[1]- بيير ليفي، عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، ترجمة رياض الكحال، الطبعة الأولى، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، البحرين، 2018، ص 11.

[2]- نفس المرجع، ص ص 15- 21.

[3]- د. صادق رابح، فضاءات رقمية – قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2013، ص ص، 124،125.

وتُدرَسُ الهوية هنا بدراسة أبعادها ومكوناتها وكيف يتم إظهار أو إبراز مكون دون آخر وما دلالة ذلك عند الفاعل.

2- - مفهوم المستخدمين:

2-1- مفهوم المستخدمين لغة:

كلمة مُستخدِمِين جمع، مفردها مُستَخدِم، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة:

- مستخدَم: اسم مفعول من استخدَم. وهو من يشغل وظيفة في الحكومة ونحوها. كل ما يدخل في إنتاج سلعة أو خدمة سواء كان شيئاً ماديا أو معنويا.

- مستخدِم: اسم فاعل من استخدمَ. وهو صاحب العمل الذي يستعين بآخرين على عمله.

وجاء في معجم الغني: استخدَمَ، اِستَخدَمتُ، أَستَخدِمُ، اِستِخدَامٌ، اِستَخدَمَهَا في بيته: اتخذها خادمةً، اِستَخدَمَ آلةً جديدة: اِستَعمَلَهَا[1].

وجاء في معجم عربي عامة: مستخدم: هو الذي يستخدم خدمة تكنولوجيا المعلومات بشكل يومي[2].

وتقابلها في اللغة الإنجليزية، كلمة User التي جاء في شرح معناها، في The Britannica Dictionary؛ هو الشخص أو الشيء الذي يستخدم شيئاً ما، مثلا: مستخدمي الكمبيوتر، والرجاء إدخال اسم المستخدم الخاص بك، وهو الاسم أو الكلمة التي تستخدمها لتعريف نفسك عندما تريد استخدام برنامج كمبيوتر أو الإنترنت[3].

وجاء في Vocabulary Dictionary، المستخدم هو شخص يستخدم شيئا معيناً، مثل مستخدم موقع الأنترنت، (...) إن استخدام شيئ ما يعني توظيفه أو تشغيله، لذا فإن المستخدم هو الشخص الذي يستخدم أو يستفيد من شيء ما. إذا كان لديك جهاز كمبيوتر وتستخدمه لأي شيء، فأنت مستخدم كمبيوتر، ويلاحظ أن هذه الكلمة تنطبق غالباً على التكنولوجيا. ولهذا السبب يطلقون على الجزء الأول من تسجيل الدخول اسم المستخدم[4].

---

[1]- موقع معجم عربي عربي، نتائج البحث عن "مستخدم"، على الرابط: https://www.arabdict.com/ar/، بتاريخ: 2017/03/22 .10:36

[2]- موقع المعاني لكل رسم معنى، المعاني الجامع، بحث: المستخدم، على الموقع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar بتاريخ: 2017/03/22 .11:20

[3] -The Britannica Dictionary, Search for a Word: User, In: https://www.britannica.com/dictionary/user 22Mar2017, 10:43.

[4] - Vocabulary Dictionary, Search : User, In : https://www.vocabulary.com/dictionary/user 22Mar 2017, 11:55.

2-2- مفهوم المستخدمين اصطلاحا:

الاستخدام حسبما عرفه يافيس ف لوكواديك Yves F. Le Coadic هو نشاط اجتماعي اندمج في عادات الفرد وممارساته اليومية، بفضل التكرار[1]، أي أن نشاط الأفراد وفق خلفياتهم الاجتماعية، الثقافية، السياسية والاقتصادية، وغيرها هو ما يجعلهم يستخدمون الأشياء بطريقة أو بأخرى. وتشير الدراسات أن هذا المصطلح برز في سبعينيات القرن الماضي، أين كان له دوراً رئيسياً في تطوير النظم الاقتصادية، على خلفية دراسة الإشكالات بين المنتج والمستهلك[2].

مع نهاية السبعينيات، وبداية الثمانينيات من القرن الماضي، ومع التحولات التي طرأت على علم الاجتماع الفرنسي، وتحول الاهتمامات عن تلك الموجهة بأيديولوجيا الهيمنة الغربية، برزت مقاربات تشتغل على مواضيع جديدة، تهتم بالفاعل، والتفاعل، وشبكة الفاعلين، وأطر التفاعل... عند ميشيل فوكو Michel Foucault (1926- 1984م)، وبيير بورديو Pierre Bourdieu (1930- 2002م)، على سبيل المثال.

في هذا الإطار تبرز دراسات ميشال دو سارتو Michel De Certeau (1925- 1986م)، الذي تركز أطروحته حول الاستخدام، وتهدف إلى وضع نموذج لتحليل الممارسات اليومية ضمن إطار ثقافي، وإبداعي لأشكال اتصال مبتكرة، فهو لا يكتفي بالنظر إلى الاستهلاك كعملية سلبية، الغرض منها تلبية جملة من الإشباعات، بل يركز على تحليل الاستخدام الذي يعتبر في حد ذاته إنتاجا وابتكاراً للمعنى، وفق جملة من المسارات التكتيكية للممارسين[3]، وعليه فالاهتمام لا يكون بالمنتوجات الثقافية في حد ذاتها، بل بالكيفيات التي يستفاد منها. وهو الأمر دفع بدو سارتو إلى تطوير نماذج تنظر إلى مفهوم الاستخدام من حيث أنه عملية إبداعية تنظم عملية الاستهلاك، وبالتالي ضرورة تتبع ما يفعله المستهلكون بالسلع الثقافية، أي تحليل عملية الاستخدام على أنها إعادة تملُّك، وطريقة لإنتاج المحتوى الثقافي، وهكذا يتأسس نموذج الاستخدام، الذي لا يجب أن يكون منفصلا عن السياق الاجتماعي الذي ولد فيه[4].

مع تزايد استخدام الأجهزة الرقمية، ووصولها إلى الحد الذي أصبحت فيه جزءً مهما من الأنشطة الأكثر تداولا، وتكاملا مع الحياة اليومية، يرى فابيان غرانجور Fabien Granjon وجولي دينويل Julie Denouel في مستهل حديثهما حول التفكير في الاستخدامات لتقنيات المعلومات والاتصالات الرقمية سنة

---

[1] -Yves F. Le Coadic, Usages Et Usagers De L'information, Armand Colin, Paris, 2004, P59.

[2] - Emmanuel Kessous, Usages des TIC et Sociologie Economique des Conventions, Open Edition Books, 2013, Pp 225- 252. Disponible sur: https://books.openedition.org/pressesmines/408 , 23Mar 2017, 1:50.

[3]- ميشال دو سارتو، ابتكار الحياة اليومية: فنون الأداء العلمي، ترجمة محمد شوقي الزين، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ص ص 21- 40.

[4] - Olivier Voirol, L'intersubjectivation technique : de l'usage à l'adresse : Pour une theorie critique de la culture numerique, Open Edition Books, 2013, Pp 7- 43. Disponible sur : https://books.openedition.org/pressesmines/402, 23Mar 2017, 2: 05.

2011م، أن عدد كبير من الأعمال تم إنجازها على مدار ثلاثين عاما الماضية في مجالات علمية مختلفة كعلم الاجتماع، علم النفس، الإعلام والاتصال، التاريخ، العلوم السياسية... بالإضافة إلى أخرى متعلق باستخدام الأنترنت، كالتواصل البريد الإلكتروني، المدونات، الدردشة... وغيرها. كان كفيلا بإنشاء "علم اجتماع الاستخدامات" La Sociologie Des Usages، الذي تنصب اهتماماته حول العلاقة بين ما هو اجتماعي عبر الوسائط التقنية[1]، والاستخدامات التي تفقد شبكات التواصل الاجتماعي قيمتها بدونه.

2- 3- المفهوم الإجرائي للمستخدمين:

انطلاقا مما سبق سيتم تعريف المستخدمين في هذه الدراسة وفي سياق تجليات الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي، وفق نموذج الاستخدامات، على أنهم أشخاص حقيقيين، يظهرون بانتظام بشكل افتراضي، من خلال ممارسات تعكس وجودهم على شبكات التواصل الاجتماعي – الفيسبوك كنموذج-، تشمل هذه الممارسات؛ نشر منشورات، صور، آراء، تسجيل الإعجاب، التعليقات، والانضمام لصفحات معينة... مستعملين في ذلك كل الامكانات التقنية التي توفرها الشبكة وهذا التطبيق بشكل خاص، أين تظهر معالم وأبعاد هويتهم من خلال تداول رموز ذات دلالات ثقافية.

3- مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي:

3-1- المفهوم اللغوي:

أ- الشبكات:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، أنها جمع مفردها شبكة. وهي خيط مشبك يتخذه الصائد في البر أو في البحر أذاة للصيد. وخيط مشبك يستعمل في بعض الألعاب الرياضية، كشبكة الكرة الطائرة. وهي كل متداخل متشابك، كـ شبكة المواصلات، شبكة الهاتف، شبكة الكهرباء...، شبكة الانترنت وهي شبكة معلومات عالمية تربط العالم وتجعله قرية صغيرة[2]. وتطلق كلمة شبكة عموما للدلالة على كل تداخل وتكامل.

[1] - Fabien Granjon, et Julie Denouel, Communiquer à l'ère numérique: Regards croisès sur la sociologie des usages, Open Edition Books, 2013, Pp 7- 43. Disponible sur : https://books.openedition.org/pressesmines/395 23Mar 2017, 1:10.

[2]- موقع معجم عربي عربي، نتائج البحث عن "شبكة"، على الرابط: https://www.arabdict.com/ar/، بتاريخ: 2017/03/23. 12:25.

ب- التواصل:

جاء في معجم مقياس اللغة، أنها من الأصل "وصل"، وهي ضم الشيء حتى يعلَق، وهي ضد التصارم، وجاء في تاج العروس من جوهر القاموس؛ أن وصل يصل وصلا، وصلة. وصل الشيء بالشيء، لازمه وجمعة. واتصل بالشيء أي التأم به، وإليه أي بلغه[1].

ت- الاجتماعي:

جاء في المعجم الغني، أنها من الأصل جمع وهو منسوب إلى الاجتماع، هو اجتماعي بطبعه؛ له فطرة تميل إلى معاشرة الناس في المجتمع والاختلاط بهم. في هذا يقال: يشارك في نشاط اجتماعي؛ أي في كل نشاط يهتم بشؤون الناس وقضاياهم ومشاغلهم[2].

3-2- المفهوم الاصطلاحي:

يشير نصر الدين لعياضي إلا ان دراسات الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية تستعمل عدة مصطلحات للإشارة إلى شيء واحد عندما تتكلم على شبكات التواصل الاجتماعي، فهي تارة مواقع التواصل الاجتماعي، وأحيانا وسائل التواصل الاجتماعي، والشبكات الاجتماعية، والفضاءات الرقمية، ووسائل التواصل الالكتروني، ومواقع الشبكات الاجتماعية عبر الأنترنت، والشبكات الاجتماعية الافتراضية....، إلا أنها لم تُجمِع حول استخدام مفهوم واحد، حيث يسعى كل باحث إلى وضع التعريف خاص به[3].

يرجع ظهور مفهوم "شبكات التواصل الاجتماعي" إلى نهاية تسعينيات القرن الماضي وبداية القرن الحالي، أين ارتبط باستخدام شبكة الأنترنت على نطاق واسع وإن كان مفهوم "الشبكات الاجتماعية" ظهر قبل ذلك للدلالة على الترابط البنيوي بين مجموعة من العقد، والتي تمثل مجموعة من الأشخاص، أو الكيانات، أو الحواسيب المرتبطة بمجموعة أخرى من العقد عن طريق روابط متقاطعة[4]. والصورة رقم ()، صورة لشبكة افتراضية، حيث تمثل صور الأشخاص عقد هذه الشبكة، والخطوط التي تربط بينها تمثل الروابط.

---

[1]- صافية كساس، الاستعمال اللغوي في وسائل التواصل الاجتماعي عند الشباب العربي: الواقع والأسباب والآثار، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 08، عدد 03، سنة 2019، ص 465.

[2]- موقع معجم عربي عربي، نتائج البحث عن "اجتماعي"، على الرابط: https://www.arabdict.com/ar/، بتاريخ: 2017/03/23. 13:42.

[3]- نصر الدين لعياضي، المفاهيم في بحوث الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية: رهانات التعريفات، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5611 نشر بتاريخ: 2023/04/11م، آخر معاينة بتاريخ: 2024/06/18. 15:55.

[4]- دارن بارني، المجتمع الشبكي، ترجمة أنور الجمعاوي، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015، ص 10.

صورة رقم 1: صورة افتراضية لشبكة اجتماعي.



المصدر: **https://ar.pngtree.com/freebackground/social-network-community-networking-connect-photo_6802104.html**

أما شبكات الاتصال، فعرفها بيتر مونج، وكونتراكتور نوشير Peter Monge, and Noshir Contractor في كتابهما نظريات شبكات الاتصالات، الصادر سنة 2003م Theories of Communication Networks على أنها نماذج للتواصل ناتجة من تدفق الرسائل بين مجموعة من القائمين بالاتصال، من مكان إلى مكان وعبر سلسلة زمنية معينة، وتتشكل الشبكات من خلال التفاعل بين الفاعلين فيها، والذين يجتمعون حول تحقيق مجموعة من الأهداف، وهذه الشبكات مرتبطة بالحياة الاجتماعية في كل مكان وزمان[1].

وتعتبر العقد المكونة للشبكات الاجتماعية إما أشخاصاً، أو حسابات شخصية على المنصات الرقمية المعروفة بشبكات التواصل الاجتماعي الحديثة كفيسبوك مثلا، والمرتبطة في أغلب الأحيان بشخص معين أو هيئة معينة، وحتى إن كان الحساب يديره مجموعة من الأشخاص فهو يعتبر عقدة واحدة، لتمحورها حول فكرة معينة أو مجموعة أهداف بعينها، وقد تكون العقدة منشوراً معيناً، يحمل فكرة معينة، ويرتبط

[1]- مانويل كاستلز، سلطة الاتصال، ترجمة محمد حرفوش، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014، ص، ص 49- 50.

بمجموعة أخرى من العقد – أشخاصاً كانوا أو مناشير-، لكنها تعكس دائما وجهة نظر الفرد، لهذا فالعقدة دائما هي فردا أو شخصاً ما[1].

ويعرفها نيكول إليسون Nicole B. Ellison، ودانا بويد Danah M. Boyd، بربطها بالمواقع الإلكترونية، ويريان أنها خدمات تعتمد على الويب، تتيح للأفراد إنشاء ملف تعريف عام أو شبه عام داخل نظام محدد، كما تمكنهم من تحديد قائمة بالمستخدمين الآخرين للاتصال بهم، ويرى إليسون وبويد أن ما يجعل هذه الشبكات الاجتماعية مهمة هي سماحها للمستخدمين من التعبير عن شبكاتهم وجعل الآخرين يمكنهم رؤيتها، وخلق اتصالات لم تكن ممكن دون هذه الشبكات[2].

ويعرف مايكل راي Michael Ray الشبكات الاجتماعية في الحاسبات الآلية، على أنها شبكات تتشكل ضمن مجتمعات الأنترنت، وتتكون من مجموعة من الأفراد يتبادلون بينهم الرسائل، ويتشاركون المعلومات، وهناك حالات يتعاونون فيها فيما بينهم من أجل تحقيق نشاطات مشتركة. ويجمع راي بين الشبكات الاجتماعية التي تعني مجموعة من المستخدمين يقومون ببناء مجتمعات فيما بينهم، وبين وسائل الإعلام الاجتماعية المتعلقة باستخدام مواقع الشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية، التي تسمح للمستخدمين بإنشاء ملفات شخصية وربطها بملفات باقي المستخدمين من الأصدقاء، أو ممن لهم نفس الاهتمامات والتطلعات، كما تسمح لهم بالتفاعل والتعليق على ملفات بعضهم البعض، وإرسال الرسائل، واستخدام المقاطع الصوتية، ومقاطع الفيديو لتحسين ملفاتهم الشخصية[3].

3- 3- المفهوم الإجرائي لشبكات التواصل الاجتماعي :

شبكات التواصل الاجتماعي Social Networks في هذه الدراسة، هي شبكات اجتماعية يتم تشكيلها في نطاق شبكة الأنترنت على مواقع خاصة –Facebook كنموذج في هذه الدراسة-، التي أنشأت لغرض تمكين الأشخاص من التواصل فيما بينهم، لهذا فهي تتكون من مجموعة من الأشخاص هم المستخدمين Users. من خلال التطبيقات التي تحتوي عليها هذه الشبكات فهي تمكن المستخدمين من إنشاء ملف يعرف بهم يحتوي على معلوماتهم الشخصية، كما تمكنهم من الاتصال عن طريق خدمة الرسائل الخاصة، أو خدمة

---

[1]- رافي غوبتا، وهيو بروس، وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على المجتمع، ترجمة: عاصم عبد الفتاح، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، 2017، ص، ص 165- 166.

[2]- Danah m. boyd, Nicole B. Ellison, Social Network Sites: Definition, History, and Scholarship, Journal of Computer-Mediated Communication, Volume 13, Issue 1, 1 October 2007, Pages 210–230, https://doi.org/10.1111/j.1083-6101.2007.00393.x **Published:**01 October 2007

[3] - Ray, Michael. "social network". Encyclopedia Britannica, 1 Oct. 2024, https://www.britannica.com/technology/social-network. Accessed 8 November 2024.

النشر العام للصور، الفيديوهات، المناشير المكتوبة، وتمنحهم فرص ترك الانطباعات كتسجيل الإعجاب، الغضب، الحزن، الحب، الدعم...

خامسا: الدراسات السابقة:

مع تعاظم دور العالم الافتراضي وشبكات التواصل الاجتماعي مع بداية القرن الحالي، تنامى الاهتمام العلمي بالأنترنت ومختلف الظواهر المتصلة بها في مختلف المجالات العلمية على غرار البحوث والدراسات الاجتماعية، التي جاء الاهتمام بها تحت عدة مسميات؛ مجتمع المعلومات، مجتمع المعرفة، المجتمع الشبكي، المجتمع الافتراضي، الميديا الجديدة، الإثنوغرافيا الرقمية... وغيرها من التسميات.

1- دراسات محلية:

محليا وباللغة العربية لاتزال الدراسات قليلة في هذا المجال، مقارنة بما أنجز في باقي دول العالم وباللغة الإنجليزية بشكل خاص. وإن كانت تعاني المفاهيم التي تعالجها تعاني من الكثرة لسعي الباحثين لتحديدها إجرائيا، ويرجع هذا لتسارع التغيرات الاجتماعية تماشيا مع سرعة التطورات التقنية[1].

تميزت الدراسات في البداية بالإشادة بأهمية الأنترنت وضرورة القضاء على الفجوة الرقمية للحاق بركب الأمم المتقدمة، والتوجس من عواقبها وخطرها على الهوية من جهة أخرى وهما المحوران البارزان في الدراسات المهتمة بالأنترنت بصفة عامة ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل خاص.

كما اعتبرت في البداية شأنا إعلاميا باعتباره فرصة يجب على المؤسسات الإعلامية الاستثمار فيها، وهو ما يفسر اهتمام دراسات الإعلام والاتصال بالدرجة الأولى بمعالجة مواضيعها قبل أن يتحول إلى شأن اجتماعي، سياسي، اقتصادي، نفسي، أدبي، أنثروبولوجي... وشأن عام يمس جميع مناحي الحياة تدرسه مختلف التخصصات العلمية والنظريات المعرفية. والأمر في الحقيقة يتصل بشكل كبير بتطور الاستخدامات وما نتج عنها من إشكالات برزت كمواضيع للبحث والدراسة.

ينحصر التصور الحالي لتأثير الأنترنت في الدراسات المنجزة في المنطقة العربية بين نظرتين متعارضتين؛ ترى الأولى أنها مجرد وسيلة لنقل الرسائل والأفكار بشكل أفضل وأسرع وبالتالي فدورها حيادي كأي وسيلة يعمل الأفراد والجماعات من خلالها على التواصل لإعادة إنتاج أنماط معينة من السلوك والتفكير وتعزيزها، أما النظرة الثانية فترى أنها تلعب دوراً تسلطياً[2]، فهو يعمل حسب رؤيتها على خلق

---

[1]- نصر الدين لعياضي، المفاهيم في بحوث الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية: رهانات التعريفات، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5611 نشر بتاريخ: 2023/04/11م، آخر معاينة بتاريخ: 2024/10/23. 10:07.

[2]- نديم منصور، **سوسيولوجيا الأنترنت**، الطبعة الأولى، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، 2014، ص ص، 13- 14.

أنماط جديدة (غير تقليدية) من العلاقات الاجتماعية وبالتالي أنماط جديدة من الثقافات والسلوكات عند مستخدميها.

وسنحاول في عرض بعض الدراسات الأكاديمية التي أنجزت في المنطقة العربية أن نلمس حقيقة الدراسات المنجزة في الموضوع، من خلال تسليط الضوء على أهم الإشكالات والتساؤلات التي عالجتها، وأهم المقاربات النظرية، والمناهج المتبعة وأهم النتائج التي توصلت إليها وعلاقة كل ذلك بدراستنا لهذا الموضوع.

1-1- عينة عن الدراسات السابقة:

1-1-1- دراسة حول الدافع والاستخدامات: "منتديات المحادثة والدردشة الإلكترونية - دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع"، دراسة لإبراهيم بعزيز، سنة (2007/ 2008):

تعتبر من أوائل الدراسات التي أجريت في الجامعة الجزائرية، وهي رسالة ماجستير تخصص علوم الاعلام والاتصال بجامعة بن يوسف بن خدة بالجزائر. انطلقت الدراسة من تساؤل رئيسي يبحث في دوافع استخدام منتديات المحادثة الالكترونية وانعكاساتها على الفرد والمجتمع. وبالتالي جاءت أهداف الدراسة منصبة حول محاولة تحديد الفئات الأكثر استخداما لتلك المنتديات وتحديد السمات العامة لهم ودوافع استخدامهم المفرط لها وتبيان مكانتها، وتحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تتشكل في خضم تلك العلاقات الافتراضية وأثرها على العلاقات الحقيقية وعلى تفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي وبالتالي الكشف على التأثيرات الايجابية والسلبية على الفرد والمجتمع.

على عينة قصدية جمعت 220 مفردة من مستخدمي منتديات المحادثة الالكترونية، اعتمد الباحث الاستبيان والملاحظة لجمع البيانات[1]، اسفرت نتائج الدراسة على أن غالبية المبحوثين لا يشعرون بالعزلة عن المحيط الاجتماعي بفعل الدردشة، مع وجود نسبة هامة تقدر بـ 27,05 % من المبحوثين يشعرون بالوحدة نتيجة استخدامهم للمنتديات، وأن هناك نسبة معتبرة ممن يشعرون بالألفة والانتماء إلى الجماعة الافتراضية، أكثر من الشعور بالألفة والانتماء لجماعتهم الأولية. كما سجلت الدراسة نشوء الكثير من العلاقات عبر فضاءات الدردشة، منها ما بقي افتراضيا ومنها ما تحول إلى علاقات حقيقية تجسدت في الواقع، لذلك فهي أداة لإقامة روابط بين الأفراد ولتشكيل النسيج الاجتماعي[2].

---

[1]- إبراهيم بعزيز، **منتديات المحادثة والدردشة الإلكترونية: دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير تخصص علوم الاعلام والاتصال، غير منشورة، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، سنة 2007/ 2008، ص ص 13، 14.

[2]- المرجع نفسه، ص ص، 222، 225.

1-1-2- دراسة "العولمة والمحلي في الممارسة الاتصالية للشباب الجامعي: دراسة ميدانية لحالة الانترنت والمحمول"، دراسة لعبد الرحمان عزي، سنة (2009):

قام الباحث عبد الرحمان عزي في هذه الدراسة المسحية على عينة من طلبة جامعة الجزائر، هدفت إلى معرفة أنماط تصوراتهم لبعض وسائل الاتصال الجديدة، وأنماط استخدامهم لتلك الوسائط ومعرفة ممارساتهم الاتصالية في بعدها المعولم والمحلي.

استعمل خلال هذه الدراسة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات من عينة مكونة من 120 مفردة. كانت نتائج هذه الدراسة من وجهة نظر المبحوثين أنفسهم، حيث اعتبر أغلبهم الأنترنت مصدر أخبار، تسلية واتصال اجتماعي. تخضع زيارتهم لمواقع الشبكات الاجتماعية للمناسبات، والأحداث الطارئة سياسيا ورياضيا بشكل خاص. أما المواضيع الأكثر حضورا في دردشتهم فهي المواضيع الاجتماعية والرياضية والعاطفية، أما الدينية والسياسية فكانت نادرة. كما أن الانترنت لا تعتبر من الممارسات الاتصالية الراسخة بالنسبة لأغلب المبحوثين نتيجة لصعوبة الحصول عليها. أما عن تصوراتهم حول الهاتف المحمول فجاءت تصورات إيجابية حيث يعتبرونه كوسيلة للاتصال مع الأصدقاء والعائلة ثم وسيلة للترفيه والتسلية[1].

1-1-3- دراسة "الشباب والعولمة ونسق القيم"، دراسة لعبد العالي دبلة، سنة (2009):

قدم الأستاذ عبد العالي دبلة سنة 2009 م هذه الدراسة التي انطلق فيها من مجموع تساؤلات تلتقي مع تساؤلاتنا في هذه الدراسة على غرار: ما مصير القيم أمام ثقافة العولمة الجارفة خاصة إذا علمنا أن الشباب هم أكثر الفئات الاجتماعية تأثيرا بالتغيرات الاجتماعية والثقافية؟ كيف ينظر الشباب العربي إلى العولمة كثقافة وقيم؟ وهل يعيشون فعلا صراع على مستوى القيم؟

وفق المنهج الوصفي صمم الباحث استبيان من 23 سؤال موجه لعينة عشوائية مكونة من 280 طالبا من طلبة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة كانت نتائج تفريغها كالتالي:

65 % من المبحوثين لهم نظرة إيجابية تجاه العولمة، وهذا يعني أنهم يرون فيها فرصة لتعزيز التواصل، والتعاون بين الشعوب، ووسيلة لعرض الثقافة، وإبراز الاختلاف كمصدر اعتزاز. فيما أبدى 35 % منهم نظرة سلبة تجاهها، وأشار صاحب الدراسة إلى أن التأثيرات السلبية للعولمة تعكس عدم تمسك الشباب الجزائري بقيمه التقليدية[2] عند أغلب المبحوثين. فيما رأى 90 % منهم أن وسائل الاعلام الحديثة التي تمثل أبرز أدوات العولمة في نشر القيم لها تأثير على قيم وثقافة المجتمع المحلية، ومعناه أنها تشكل خطورة وتهديدا لهويتهم..

---

[1]- عبد الرحمن عزي والسعيد بومعيزة، **الإعلام والمجتمع: رؤية سوسيولوجية مع تطبيقاتها على المنطقة العربية والإسلامية**، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 288، 321.

[2]- عبد العالي دبلة، **مدخل إلى التحليل السوسيولوجي**، دارالخلدونية، الجزائر، 2011، ص ص 82، 106.

1-1-4- دراسة "استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيرها في العلاقات الاجتماعية؛ دراسة على عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك في الجزائر"، دراسة لمريم نريمان نومار، سنة (2011/ 2012):

انطلقت الدراسة من تساؤلات حول عادات وأنماط استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى الجزائريين، والدوافع الكامنة وراء هذه الاستخدامات، ومدى تأثير ذلك على علاقاتهم الاجتماعية؟ والدراسة تهدف من خلال الإجابة على تلك الأسئلة إلى التعرف على الدور الذي تلعبه تكنولوجيا الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي تحديدا في حياة الأفراد ومدى تأثيرها على العلاقات الاجتماعية والأسباب الكامنة وراء انتشار العلاقات الافتراضية.

وفق المنهج الوصفي كمنهج للدراسة، وباستخدام تقنية الملاحظة والاستبيان كتقنيات لجمع البيانات، تم اختيار 280 مفردة كعينة قصدية من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي لدراسة عادات وانماط استخدام الفيسبوك، الدوافع والحاجات وراء الاستخدام، وطبيعة العلاقات في خضم الفيسبوك.

أما نتائج الدراسة فتمحورت حول ثلاث نقاط رئيسية؛ عادات وأنماط استخدام الفيسبوك، الدوافع والحاجات وراء الاستخدام، والعلاقات الاجتماعية في خضم الفيسبوك. وجاءت أهمها كالتالي: يشارك 72.07 % من أفراد العينة في المجموعات الافتراضية وفق الترتيب الموالي؛ مجموعات ثقافية بنسبة 39.57 %، ترفيهية بنسبة 25.76 %، اجتماعية بنسبة 18.40 %. أما عن الهوية فيستعمل المستخدمين هويتهم الحقيقية بنسبة 66.03 %، فيما يستخدم 33.33 % هوية مستعارة، وعن سبب استخدامهم لهويتهم الحقيقة فيرجع إلى تسهيل عملية البحث عنهم من طرف معارفهم وكسب ثقة من يتعاملون معهم. بينما ذهب أصحاب الهوية المستعارة إلى أن الدخول بهذه الهوية يمنحهم القدرة على التصرف بحرية الخوف من التعرف عليهم إذا استخدموا هويتهم الحقيقية.

من جهة أخرى وصلت الدراسة إلى أن الفيسبوك نجح في تجسيد ثقافة إلكترونية تواصلية بين الأفراد أنتجت مشاعر جديدة، كما أنه منحهم الفرصة للتواصل أكثر وقضاء وقت أطول مع بعضهم البعض الشيء مكنهم من التعبير عن آرائهم ومشاعرهم بطريقة أفضل.

1-1-5- دراسة "البيئة الرقمية وعلاقتها بالاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين"، دراسة لإيمان نوي، سنة (2015/ 2016):

تأتي أهمية هذه الدراسة بالنسبة لنا في هذا العمل انطلاقها من تصور الثقافة هي كينونة المجتمع وأن لكل مجتمع ثقافته التي يتوارثها عبر الأجيال، وأن تمسك المجتمع بثقافته هي تمسكه بوجوده[1].

[1]- إيمان نوي، البيئة الرقمية وعلاقتها بالاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين: دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر بسكرة المستخدمين لبعدي البيئة الرقمية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورته علوم في علم اجتماع الاتصال والعلاقات العامة، غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سنة 2015/ 2016، ص 18.

وفق المنهج الوصفي استعملت الباحثة أداة الاستمارة مدعمة بمقياس خاص بالبيئة الرقمية ومقياس خاص لاغتراب الثقافي على عينة مكونة من 410 طالب كعينة تمثيلية للمجتمع الدراسة المتمثل في طلبة جامعة بسكرة، وصلت الدراسة إلى نتائج جد هامة تتعلق بالعلاقة بعدي البيئة الرقمية والاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين، ولعل أهمها هي أن التفاعلات بين الممارسين وأبعاد البيئة الرقمية التي يتعرضون لمضامينها الثقافية تساهم في بناءهم وتشكيلهم ثقافيا نتيجة لتلك العمليات الاجتماعية التفاعلية في الفضاءات الافتراضية التي تعتبر محاضن غير رسمية للتنشئة الثقافية، وهو ما يمكننا من اعتبار أن البيئة الرقمية أصبحت مصدرا جديدا لإنتاج القيم والرموز وأداة تشكل الوعي الإنساني والوجدان والذوق[1]، وهو ما يمكن اعتباره بروز هوية جديدة.

وكنتيجة عامة للدراسة توصلت الباحثة إلى أن البيئة الرقمية لا تشكل بالنسبة للثقافة العربية تحديا فحسب بل تشكل أخطار تمس الكيان العميق للأمة فهي تعتبرها نوع من أنواع الهيمنة الثقافية الكاملة وتهديدا للهوية الحضارية العربية بشكل عام[2].

1-1-6- دراسة "الشباب الجزائري والهوية الافتراضية: دراسة ميدانية لعينة من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك"، دراسة لأسمهان كسيرة، سنة (2017/ 2018):

انطلقت الدراسة من إشكالية تبحث في خلفيات تبني الشباب الجزائري لهوية رمزية افتراضية ضمن فضاء الفايسبوك، وركزت تساؤلاتها على البحث في سمات وخصائص إشباعات الهوية الافتراضية، العوامل والخلفيات الكامنة وراء تبني هذه الهوية الافتراضية، ونظرة مستخدمي الفايسبوك إلى ذواتهم المستترة خلف هوية رمزية، وأخيرا هل يمكن لنا اعتبار التخفي وراء هوية افتراضية مجالا لكشف هويتهم الحقيقة[3]؟

ولتحقيق أهداف البحث التي حصرتها الباحثة في كشف أهمية التفاعل الافتراضي وأبعاد الهوية الافتراضية، التعرف على معايير بناء هوية افتراضية في الفايسبوك، معرفة سمات الهوية الافتراضية وأثرها على العلاقات الاجتماعية في الواقع، وأخيرا الكشف عن الانعكاسات المترتبة على استخدام الفيسبوك بهوية رمزية[4]. اختارت عينة قوامها 150 مفردة من الشباب الأكثر استخداما للفايسبوك من مدن جزائرية

---

[1]- المرجع نفسه، ص 398.

[2]- المرجع نفسه، ص 400.

[3]- أسمهان كسيرة، **الشباب الجزائري والهوية الافتراضية: دراسة ميدانية لعينة من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علوم الاعلام والاتصال، غير منشورة، جامعة عبد الحميد ابن باديس بمستغانم، الجزائر، سنة 2017/ 2018، ص 23.

[4]- المرجع نفسه، ص 25.

مختلفة (عنابة، العاصمة، سطيف، مستغانم، معسكر ووهران) وفق الطريقة القصدية. وكان منهجها في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي واستخدام تقنيات الاستمارة والملاحظة لجمع البيانات.

أما النتائج الجزئية فكانت جد ثرية من حيث تقديمها لكم كبير من المعلومات المتعلقة بالبيانات الشخصية والاجتماعية والديموغرافية لوحدات البحث المتمثلة في مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر، مع تركيزها على استخدام البيانات الشخصية كمؤشرات على الهوية الحقيقية أو الهوية الافتراضية، والتي كانت تشير 40.66 % من مجمل المستخدمين إلى استخدام اسمهم الحقيقي، مقابل 31.33 % يستخدمون اسما مستعارا و28% اسما مركبا من اسمهم الحقيقي وشطره مستعارا[1].

فيما يؤكد 62.71 % من مستخدمي الاسم الحقيقي من فئة الذكور أن الفايسبوك محاط بالثقة والجدية، وأرجعوا ذلك إلى الرغبة في الظهور بهوية حقيقية، ليتعرف عليهم الأصدقاء من جهة، وكسب ثقة من يتفاعلون معهم من جهة أخرى. بينما أكدت نسبة 42.85% وهم من المستخدمين لأسماء مستعارة من فئة الإناث، أن ظهورهن بتلك الأسماء لرغبتهن في التصرف بكل حرية، ورغبتهن في تقمص شخصية أخرى عبر هذا الموقع[2]، مما يمنحهن هامشا أكبر من الحرية للتصرف بأريحية أكثر، تملصا من الرقابة الاجتماعية التي يمكن أن تطال الإناث بشكل خاص.

كما قدمت الدراسة تصورا لطبيعة استخدام الفايسبوك من قبل المستخدمين الجزائريين وبنية الهوية الافتراضية لهم ضمن هذا الفضاء ومحاولة بلورة طرح سوسيولوجي لاستخدامه والأثار المترتبة عليه وتمثلاتهم لذلك وهو ما مكنهم من خوض تجارب هوياتية جديدة وفق ما يرغبون فيه، وهو ما يعتبر بناء اجتماعي للهوية الافتراضية في الفضاء السيبيري.

كما عكست الدراسة تمسك مستخدمي الفايسبوك في الجزائر بذواتهم والسعي للمحافظة على هويتهم داخل الفضاء الافتراضي نتيجة لواقعيتهم وتفضيلهم العلاقات الحقيقية التي يعملون على تعزيزها بواسطة التواصل الافتراضي. أما عن عناصر الهوية الافتراضية فذهبت الدراسة إلى أنها محاطة بالغموض فهي من حيث كونها مفهوم مكون من مزيج بين السمات الشخصية الحقيقية ومستويات عرض الذات على شبكات التواصل الاجتماعي وصعوبة التطابق بينهما ينتج نماذج متعددة من الظهور الافتراضي أو ما نعتقد أنه هوية افتراضية[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 173.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 176، 177.

[3]- المرجع نفسه، ص 246.

1-1-7- دراسة "تفاعلية المستخدم الرقمي وتشكيل الفضاء العمومي – دراسة اثنوغرافية على المجموعات الفيسبوكية"، دراسة لكشرود فاطمة الزهراء، سنة (2022) [1]:

تنطلق الدراسة من افتراض رئيسي مفاده أن الفضاءات العمومية الافتراضية تعتبر بديلة للفضاءات الفيزيقية التي يمكن للتفاعلية أن تساهم في تشكلها من خلال تبني بعض المواضيع وتوفير مساحات لمناقشة مختلف القضايا الاجتماعية وهو الشيء الذي من شأنه أن خلق ثقافات فرعية عند الفاعلين عبر هذه الفضاءات الافتراضية.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يعنى بمعايشة الظاهرة المدروسة والكشف عن أبعادها، بالإضافة إلى المنهج الإثنوغرافي الذي يقوم على الملاحظة بالمشاركة، فضلا على الاعتماد على الاستمارة الإلكترونية والمقابلات الافتراضية.

أما التساؤلات فتمحورت حول الكيفية التي تساهم بها تفاعلية المستخدمين الرقميين في تشكل الفضاء العمومي الافتراضي على شبكة 'فيسبوك'، وجاءت على شاكلة: من هم المستخدمين؟ ما دوافعهم وحاجاتهم من خلال استخدام الفيسبوك؟ ما هي عادات وانماط استخدام الفيسبوك؟...

وتهدف الدراسة إلى من خلال الإجابة عن تلك التساؤلات إلى فهم دور التفاعلية من خلال أشكال التفاعل الأكثر شيوعا، ومستويات التفاعل ضمن الصفحات الأكثر متابعة، ومدى مساهمتها في تشكيل فضاء عمومي افتراضي إلى جانب المساهمة في اثراء المحتوى الرقمي.

أجريت الدراسة على عينة قصدية مكونة من 15 مفردة من اجمالي مجتمع البحث لتطبيق أداة الملاحظة، المقابلة واستمارة الاستبيان الإلكترونية.

خلصت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات تخدم الأهداف المسطرة بشكل مباشرة وبينت أن الفضاء الافتراضي عمل على اتاحة مساحات للمستخدمين من جميع المستويات للتفاعل المستمر مع المحتويات المنشورة في هذا الفضاء الافتراضي الذي طبع بنوع من الفوضوية والعشوائية وحشد المستخدمين عن طريق استمالتهم عاطفيا، إلى جانب أن التفاعلية على هذه الفضاءات تعطي أهمية للمواضيع التافهة وبالتالي فهي تساهم في استحداث فضاءات هامشية هجينة يتميز النقاش فيها بالحياد عن العقلانية التواصلية في ظل طغيان أشكال العنف الرمزي الذي طغى عليها في ظل غياب التصريح بالهويات الحقيقية.

[1]- كشرود فاطمة الزهراء، تفاعلية المستخدم الرقمي وتشكيل الفضاء العمومي – دراسة إثنوغرافية على المجموعات الفيسبوكية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث علوم الاعلام والاتصال، بجامعة مستغانم، غير منشورة، 2021. 2022.

1-1-8- دراسة "استعراض الذات في مواقع التواصل الاجتماعي والتمثلات السوسيو ثقافية لبناء الهوية الافتراضية"، دراسة لنزيهة مصباح السعداوي (2020)[1]:

تنطلق الدراسة من كون الفيسبوك وبفضل ما يوفر من خيارات وتطبيقات سهل عملية عرض الذات وبناء هوية افتراضية تخضع لإرادة المستخدم والاشكالية الرئيسية تدور حول كيفية استعراض الذات وهل تتم بوعي من المستخدم أم من غير وعي منه.

طرحت الدراسة العديد من التساؤلات المترابطة والمهمة تمثلت في:

- ما هي أهم ملامح استعراض الذات في مواقع التواصل الاجتماعي؟
- هل هناك تداخل بين العالم الذاتي الخاص والفضاء العالم الخارجي المنفتح والمجهول الحدود؟
- كيف تدار عملية التفاعل في الفضاء الافتراضي؟ هل يبحث الفاعل عن اعتراف الآخرين؟
- ما هي المقومات الأساسية لاستعراض الذات؟ هل غياب الحضور الجسدي للأشخاص في عملية التفاعل له تأثير على عملية عرض الذات؟
- هل الهوية الافتراضية هي حصيلة المعاني التي يرسمها الفرد عن نفسه؟ كيف يتمثل ذاته في عملية بناء الهوية؟
- كيف يتحدد البعد العلائقي بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضية؟
- ما مدى وعي المستخدم بقيمة المعطيات التي يدونها في هذه الفضاءات[2]؟

أما عن أهداف الدراسة فلقد حصرتها الباحثة في العمل على معرفة مدى وعي المستخدم بأهمية البعد العلائقي بين الهوية الافتراضية والواقعية ومعرفة الرهانات المطروحة على الفاعلين في عملية استعراض الذات أثناء التواصل والتفاعل مع الآخرين[3].

أما منهجيا فقد كانت الدراسة تحليلية إثنوغرافية في إطار ما يعرف بإثنولوجيا الويب التي تهتم بدراسة المجتمع الافتراضي عن طريق الإثنولوجيا الرقمية التي تعتمد أدوات خاصة على رأسها الملاحظة بالمشاركة، ومنه فالمقاربة كانت اعتماد المنهج الوصفي، والملاحظة كأداة لرصد التفاعلات اللغوية والرمزية وأنماط السلوك.

أما النتائج فجسدتها الباحثة في التفاعلات بين الفاعلين في الفضاء الرقمي تتم وفق أشكال مختلفة حسب شكل المحتوى نصا كان أو صورة أو فيديو...، وفي نفس السياق فإن التفاعلات وردود الأفعال تختلف على المحتوى الواحد من شخص لآخر فتكون إيجابية أو سلبية أو تقابل بالسخرية والتهكم أو السب والشتم

---

[1]- نزيهة مصباح السعداوي، استعراض الذات في مواقع التواصل الاجتماعي والتمثلات السوسيو ثقافية لبناء الهوية الافتراضية، مجلة سوسيولوجيون، المجلد 01، العدد، 01، مركز فاعلون، سنة 2020. ص ص 70. 87.

[2]- المرجع نفسه، ص 72.

[3]- المرجع نفسه، ص 73.

أو الاعجاب... ويتم التعبير عن ذلك بمختلف الطرق كالتدوين أو استعمال الرموز والعلامات المتوفرة على المتصفح أو التطبيق.

أما فيما يخص الهوية على شبكات التواصل الاجتماعي فقد تم رصد ملامح مختلفة للهويات المنتشرة في هذه الفضاءات وفق المحتوى المنشور المتضمن الحياة الشخصية للفرد المستخدم لهذه الشبكات، مدى تداول هذه المعطيات، معدل التفاعل والنشر وفي الأخير مع من يتم هذا التفاعل والتداول... كما توصلت الباحثة إلى رصد بعض الأنواع البارزة من الهويات المستخدمة على شبكات التواصل الاجتماعي على غرار الهوية المتخيلة والهوية المبتدعة مقابل الأنواع الخمس التي توصل إليها CARDON Dominique؛ الهوية الثنائية، المتعددة، الزائفة، الكثيرة النشاط والمنفتحة.

1-1-9- دراسة "الثقافة الرقمية ورهان الهوية عند الشباب المغربي"، دراسة لهدى كريملي، سنة (2022):

تنطلق الدراسة من مجموعة كبيرة من التساؤلات على رأسها: هل انخراط الشباب في الفضاءات الرقمية أنتج عندهم خطاب ديني جديد يبتعد عن التصورات التقليدية؟ وما هي الخطابات التي يقدمونها بديلا عن تلك التقليدية؟ وكيف يعيشون تجاربهم الدينية في ظل التدفق الثقافي؟ وما يحدد هويتهم الدينية في ظل تنوع السياقات الثقافية؟ وكيف تأثر ثقافة الفضاءات الرقمية على المعارف الدينية والنظرة للذات والعالم عند الشباب المغربي[1]؟

وللإجابة على التساؤلات السابقة افترضت الباحثة أن الشباب يقدم على شبكات التواصل الاجتماعي تصورات جديدة لهوياتهم الثقافية نظرا لكونه أصبح يتمتع بنوع من الفعالية في تشكيل واختيار الهوية الدينية نتيجة للمنطق الجديد الذي تفرضه الثقافة الرقمية في بناء الهوية.

وللتحقق من الفرضيات السابقة اختارت الباحثة عينة عشوائية مكونة من 20 شابا وشابة بين 19 و25 سنة من كلى الجنسين مع تحليل محتوى عشر فاعلين في صفحات دينية تحليلا نحويا دلاليا بغرض استخراج المواضيع المركزية. وفق مقاربة كيفية باستخدام المقابلة شبه الموجهة وتحليل الخطاب كما سبق ذكره.

عرضت الدراسة جملة واسعة من النتائج تمحورت حول الانتقال من الهوية الواقعية إلى الهوية الافتراضية، الهوية الدينية بين العالم الاجتماعي الواقعي والافتراضي، الشباب وبناء الذات في خضم هيمنة النماذج الثقافية، ثم صراع الهوية الدينية في المجتمع الشبكي وأخيرا الهوية الدينية المتعددة للشباب في إطار العولمة.

[1]- هدى كريملي، الثقافة الرقمية ورهان الهوية عند الشباب المغربي، إنسانيات عدد 95، جانفي-مارس 2022، ص 79.

حيث تتحدد الهوية الافتراضية أو الرقمية انطلاقا من ثلاث عناصر؛ هوية تصريحية، فاعلة ومحسوبة، تشترك هذه النماذج الثلاثة في بناء هوية رقمية تتجلى من خلال الرموز والدلالات التي يستخدمها الفرد في التعبير عن نفسه ووجوده في العالم الافتراضي، وتكشف بدورها عن أبعاد الهوية الرقمية المتمثلة في؛ البعد الذاتي، البعد الاجتماعي والبعد المعرفي. حسب هذه الدراسة تداخل هذه الأبعاد في العالم الافتراضي يعكس الهوية الرقمية ويأثر في هويتهم الواقعية فيجدون صعوبة في التمييز بين العالمين الواقعي والرقمي. إلا أن صورة الهوية الظاهرة على شبكات التواصل الاجتماعي تعكس إلى حد ما صورة الهوية الواقعية.

من جهة أخرى توصلت الدراسة إلى أن المؤسسات الاجتماعية التقليدية لم تعد تحتكر أو تهيمن على انتاج نماذج اجتماعية وثقافية وإعادة انتاجها بل أصبح الشباب المغربي أكثر انفتاحا على عالم افتراضي يزخر بقيم جديدة تروج لها الثقافة الرقمية وهو ما يعتبر موردا مهما لبناء الهوية[1].

1-1-10- دراسة "الهوية الرقمية للشباب بين التمثلات الاجتماعية والتمثل الذاتي"، دراسة لصادق رابح، سنة (2013م):

تأتي هذه الدراسة كفصل من فصول كتابه: فضاءات رقمية: قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات، والمصنف ضمن موضوع الدراسات الإعلامية. الذي خصص الفصل الرابع فيه للعنوان المذكور أعلاه والخامس لدراسة الأنترنت كفضاء مستحدث لتشكل الذات.

انطلاقا من اشكالية الشباب والتمثل الذاتي للهوية الرقمية يرى الباحث أن الشباب كان يعاني قبل ظهور الفضاءات الافتراضية من عدم وجود منفذ للمشاركة في الفضاء العام والتعبير عن دواتهم[2]، وحتى في إطار الفضاءات الرقمية تعمل هذه الفئة على إعادة إنتاج الخطاب المعياري الوعظي للآباء، وهو ما يدعم الأطروحات القائلة بإمتلاك "جيل الأنترنت" لوعي مزدوج في نظرته لذاته ونظرة جيل الآباء له. ولفهم الهوية الرقمية للشباب يجب استحضار التجارب الذاتية للفئات الشابة في علاقتها بالتكنولوجيا ومنظور الكبار، ولفهم ذلك يجب تجاوز نظرة الإنبهار بالوسائط التكنولوجية من قبل الباحثين أنفسهم، والأخذ بمقاربات متوازنة تأخذ في الحسبان السياقات السوسيو ثقافية التي تتطور ضمنها هذه الوسائط عن طريق تركيز البحث على الشباب وحاجاتهم الاتصالية في بناء هويتهم بدلا من التركيز على التكنولوجيا، ولتحقيق ذلك تطرح الدراسة أهمية البحث حول مدى ميل الأفراد إلى التستر عن هوياتهم الحقيقية ضمن الممارسات الثقافية الرقمية وما هي الدوافع الكامنة وراء ذلك بدلا من البحث على قدرة الوسائط الرقمية في تمكينه من

[1]- المرجع نفسه، ص 88.

[2]- الصادق رابح، مرجع سابق، ص 105.

ذلك. بالاضافة إلى ضرورة تركيز الباحث على التعرف على أعضاء الجماعة المراد دراستها عبر الملاحظة لفهم منطقها الداخلي ورؤيتها لذاتها[1].

أما الفصل الخامس من هذا الكتاب فينطلق فيه الباحث مما تمنحه الأنثرنت من فرص وإمكانية التحرر من سلطة المكان، الجسد والوضع الاجتماعي، عن طريق قدرة المتصلين من التواصل دون الكشف عن هوية المستخدم إذا لم تكن لهم الرغبة في الإفصاح عنها، وتمكنه من صنع هويات افتراضية يمكنها تجاوز إكراهات الهوية الاجتماعية.

وفي تعريفه للهوية الافتراضية يميزها عن المستخدمة في الألعاب الإلكترونية، فهي تلك التي يظهرها المستخدم في المنتديات وغرف الدردشة الأنترنيتية، والتي يفترض حسب رأيه أن تكون إنعكاسا لهويته الحقيقية، وهو ما ذهبت إليه العديد من الدراسات المهتمة بالإثنوغرافيا الرقمية. فالهوية الافتراضية لا تتحقق إلا عندما تصبح مقبولة وتلقى الاعتراف ضمن علاقات تفاعلية مع الآخر الذي قد يكون هو نفسه افتراضيا، وتكمن فاعليتها في القدرة على الاقناع أنها هوية حقيقية يحرص صاحبها على عدم التناقض أثناء عملية التواصل.

وتحت عنوان فرعي: بناء الذات الفردية باستعارة الذوات الاجتماعية، يقارب الباحث بين ما أسماه "التلاعب بالذات" وتقمص الأطفال للأدوار المختلفة وفق وجهة نظر جورج هربت ميد George Herbert Mead (1863- 1931م) التي ترى أن الطفل يكتشف ذاته من خلال عملية لعب مختلف الأدوار، والعيش في ذوات الآخرين. وإذا كانت المجموعة الاجتماعية حاضرة لكبح تماهي الطفل ببعض الأدوار فهي غائبة في الفضاء الرقمي خلال استعارة المستخدم لمختلف الذوات والقيام بأدوار يعجز على القيام بها في الواقع بهدف تحقيق رغبات عجز عن تحقيقها، فيلجأ إلى استبدال الواقع بالافتراضي والعيش فيه، محاولا التخلص من إكراهات المجتمع ليعيد تشكيل ذاته وفق تصوره الخاص، بشكل أكثر تمثيلا لرغباته وفق مرجعيات متخيلة وليست من الواقع الاجتماعي، وهو ما يشكل في نهاية المطاف مجرد نرجسية لأنه خارج المعالم الاجتماعية أو إعادة بناء الواقع وفق تجارب جديدة استقاها من الافتراضي، لأنه أمام عدم إمكانية تحقيق ذات (هوية) أخرى ضمن حدود الفضاء الاجتماعي الواقعي، فيحاول الفرد أن يكون هو ذاته عن طريق تجريب العديد من الهويات الافتراضية، أي أنه يقوم بمساءلة الهوية العارفة ليخرج من خلالها بتقديم صورة متطابقة مع إلتزامات الجماعة عن هويته، أي تقديم هوية متماثلة مع هويته في الواقع دون الإنكار أن هذه العملية تطمح إلى إعطاء الفرد معنى آخر لهوية مشبعة لرغابته ومتوازنة إجتماعيا مع الإقرار بأن إدارة التوافق بين هوية حقيقية وهوية إفتراضية ليس في متناول جميع المستخدمين أو الأفراد.

[1]- نفس المرجع، ص 201.

وفي الأخير نجد أنه من المهم الإشارة أن في هذه الدراسة تم الاهتمام بالفرد المستخدم، بعيدا عن الافتتان بالتكنولوجيا ووضعها في سياق سسيوثقافي ثم فرضها أن الهوية الافتراضية تكون انعكاسا لهوية الشخص الحقيقية.

2- دراسات أجنبية:

ما يسجل كملاحظة أولية على الدراسات الأجنبية التي تهتم بموضوع الدراسة هي أن الاهتمام بالموضوع كان أسبق من الدراسات المحلية والعربية، كون الغرب عرف الأنترنت والظواهر التي تفرزها، والاشكالات التي تفرضها، في وقت مبكر من المجتمعات العربية، ومنه الاهتمام بها بالدرس والتحليل من قبل الباحثين الغربيين، والمراكز البحثية المختصة، كان قبل اهتمام الباحثين العرب، وإن كان الأنترنت عمل على تسريع الوقت واختصار الزمان، وتقريب الأماكن ودمجها إلى حد إلغاء الفواصل الزمانية والمكانية، وأصبحت الإشكالات التي تطرح في أي مكان في العالم يمكن ان تطرح في نفس الوقت في أي مكان آخر، وأصبحت عملية الاشتراك في الأبحاث على رقعة جغرافية واسعة أمر ممكن، وقد لا تفصل بينه وبين تحقيقه سوى إرادة الباحثين أنفسهم.

في هذا الإطار نلمس العديد من الدراسات المهتمة بدراسة الفضاءات الرقمية من خلال تطبيق المقاربة الإثنوغرافية الرقمية لفهم الظواهر الافتراضية المرافقة لرقمنه الحياة والعيش في الشبكات الافتراضية ضمن ما يسمى الحياة الافتراضية أو الرقمية أو الشبكية...

الدراسة الأولى: دراسة توم بويلستورف[1] Boellestorff, T سنة 2008م:

دراسة ميدانية تحت عون " بلوغ سن الرشد في الحياة الثانية: رحلة أنثروبولوجي في استكشاف الانسان الافتراضي، Coming of Age in Second Life: An Anthropologist Explores the Virtually Human، سنة 2008م"، قام فيها بتحليل تشكيل الهوية الافتراضية وأسس التفاعل الاجتماعي في ظل الحياة الافتراضية، وحاول فيها فهم العلاقة بين التكنولوجيا والثقافة.

من خلال إقامته في ميدان الدراسة لأكثر من عامين تمكن بويلستورف أن يستكشف ويحلل كيف تتشكل العلاقات الاجتماعية في هذا الفضاء الافتراضي، مع تحديده لمفهوم الجماعة الافتراضية، الشخص الافتراضي، العلاقات الافتراضية...، وتطبيقه المنهج الإثنوغرافي قدمت الدراسة رؤية جديدة عن كيفية تشكيل الهوية في الفضاءات الافتراضية.

[1]- توم بويلستورف Boellestorff,T أستاذ الأنثروبوولجيا في جامعة كاليفورنيا، ورئيس تحرير مجلة الأنثروبولوجيا الأمريكية، يهتم بالبحث في العوالم الافتراضية، الجنسانية، العولمة، القومية... يمكن التعرف أكثر على أعماله من خلال ملفه الرابط: https://scholar.google.com/citations?hl=en&user=uFsG9kcAAAAJ

الدراسة الثانية: دراسة زيزي باباشاريسي [1] Dr. Zizi Papacharissi 2011م:

تناولت الدكتورة زيزي باباشاريسي أستاذة الاتصال والعلوم السياسية بجامعة إلينوي بشيكاغو في العديد من الدراسات والأبحاث العواقب الاجتماعية والسياسية لوسائل الإعلام عبر الأنترنت. في الكتاب الجماعي الذي أشرفت على تحريره والمعنون بـ؛ "الذات الشبكية: الهوية والمجتمع والثقافة على مواقع التواصل الاجتماعي" Networked Self: Identity, Community and Culture on Social Network Sites، الصادر سنة 2011م، والذي تناول العديد من المواضيع ذات صلة مباشرة بموضوع دراستنا، كطرق عرض الذات والاتصال الاجتماعي في عصر الرقمي، المعايير السلوكية، الأنماط الروتينية، والتأثير الاجتماعي والخصوصية، والانقسامات الطبقية، الجنسية والعرقية... وبشكل خاص يناقش الجزء الثاني الأنماط الناشئة للتواصل الاجتماعي على مواقع الشبكات الاجتماعية[2].

يرى جاي ديفيد بولتر Jay David Bolter استنادا إلى الأفكار الواردة في هذا الكتاب أنه يقدم رؤى جديدة حول الطرق التي تدفع من خلالها وسائل التواصل الاجتماعي المستخدمين إلى بناء هوياتهم والمحافظة عليها وإعادة عرضها عبر الأنترنت، وهو دليل قوي على أن الثقافة تعيد تشكيل الحياة الاجتماعية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي[3].

تناقش الدكتورة زيزي باباشاريسي وشركاؤها في هذا العمل بشكل الثقافات الناشئة على شبكات التواصل الرقمي وتستكشف الكيفية التي تؤثر بها الشبكات الاجتماعية الرقمية على الثقافة إنتاجا واستهلاكا، وتناقش الملامح الجديدة لأشكال التعبير الثقافي والهوياتي في عصر الشبكة أو العصر الرقمي. حيث عملت على دراسة كيف تتشكل الذات الشبكية، وتركز على تأثير ثقافة الشبكات الاجتماعية على الهوية الرقمية، والكيفية التي يتكيف بها الأفراد مع البيئة الرقمية، وفهم العلاقات المنسوجة في إطار المجتمعات الافتراضية. كل هذا وفق منهج متعدد التخصصات يجمع بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاعلام والاتصال، وفق منهج الإثنوغرافيا الرقمية.

مما سبق يمكن اعتبار اعمال الدكتورة زيزي باباشاريسي حول الهوية والثقافة الإفتراضية إمتدادا لدراسة العلاقة بين الشخصية والثقافة، لكن في إطار شبكات التواصل الاجتماعي والحياة الرقمية، فمفهوم الذات الشبكية هو امتداد لمفهوم الشخصية الأساسية الذي طرحته مدرسة الثقافة والشخصية. هذه المقاربة تمكننا من بناء تصور يمكننا من خلاله دراسة الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي في إطار

---

[1]- يمكن الاطلاع أكثر على سيرتها وأعمالها من خلال موقع جامعة إلينوي بشيكاغو على الرابط: https://comm.uic.edu/profiles/zizi-papacharissi/، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2024/07/20. 20:40.

[2] - Zizi Papacharissi (Edi), Networked Self: Identity, Community and Culture on Social Network Sites. 2011. New York. Routledge.PP, 15-111.

[3] - https://www.routledge.com/A-Networked-Self-Identity-Community-and-Culture-on-Social-Network-Sites/Papacharissi/p/book/9780415801812

مفاهيم نظرية الثقافة والشخصية الأساسية، وحسب هذه الدراسة يفترض في كل مجتمع افتراضي أن يطور نمط معين وفريد من أنماط السلوك والتفاعل. كما أن التركيز على الطبيعة الدينـامية للهوية يظهر بشكل واضح في إطار الشبكات الافتراضية حيث يمكن للفرد الظهور بهويات مختلفة. بالإضافة إلا أن عملية التكيف مع مختلف الثقافات في الفضاء الافتراضي تقودنا إلى دراسة عمليات انتقال الثقافة من مجتمع إلى آخر.

4- تعليق وتحليل الدراسات السابقة:

يعتبر عدد الدراسات السابقة عددا محدودا، مقارنة بالكم الكبير من الدراسات التي تهتم بكل ما يحيط بالعالم الافتراضي وصلته بالثقافة المحلية والهوية والثقافة، إلا أننا حاولنا أن نحصر مجال العرض على ما يمكن لأن يكون مركز بشكل أساسي على الدراسات الأكاديمية التي تهتم بالموضوع خلال فترة زمنية تمتد من بداية الاهتمام بالموضوع إلى حين قيامنا بالدراسة التي نطمح إليها، بالإضافة إلى كون عيناتها تنتمي إلى المجتمع الجزائري ودراسة عينتها من تونس وأخرى من المغرب.

تشترك الدراسات الأولى التي اهتمت بالموضوع في انتمائها إلى الأبحاث الإعلامية لاعتبار المسألة في بادئ الأمر مسألة إعلامية انصب البحث فيها حول ما تقدمه هذه التقنية المتصلة بالأنترنت من إشباعات والدوافع من ورائها استخدامها وانعكاسات ذلك على الفرد. كما ارتبطت التساؤلات الأولى بالقيم الاجتماعية السائدة ومصيرها أمام العولمة، والتأثيرات الحاصلة على مستوى العلاقات الاجتماعية من جراء تأثير الأنترنت دائما.

بعد الاهتمام بدراسة ما سبق ذكره يأتي الاهتمام بخلفية تبني المستخدمين لهوية رمزية وإن اقتصر ذلك على دراستها من الجانب الشكلي المتعلق باسم المستخدم وبعض العناصر الشكلية إلى أن هذا النوع من الدراسات ساهم بمدنا بكم كبير من البيانات حول المستخدمين وساهم إلى حد ما في بلورة الملمح العام للمستخدم، وفي سياق قريب جاء الاهتمام بالبحث في الكيفية التي يساهم بها الفاعلين في تشكيل فضاء عمومي افتراضي... وهو ما يمكن اعتباره الانتقال من التركيز على التقنية وتأثيرها إلى الفاعلين وأدوارهم.

أما الدراسات الأخيرة فتبرز بشكل أكثر عمقا العلاقة بين التقنية والفاعلين من خلال اختبار إرادتهم ومقوماتهم الأساسية في استعراض دواتهم وتشكلها عبر الفضاءات الرقمية ومحاولة فهم الكيفية التي يعيشون بها تجاربهم الجوهرية عبر هذه الفضاءات وبحث البعد العلائقي بين الهويتين الواقعية والافتراضية.

تشابهت الدراسات السابقة في مجملها في اتباع المنهج الوصفي، وباستخدام الاستمارة والملاحظة في الدراسات الأولى لتتحول إلى التحليل الإثنوغرافي والتحليل النحوي الدلالي في الدراسات الأخيرة على عينة صغيرة مقارنة بالدراسات الاولى.

زودتنا نتائج الدراسات السابقة بشكل عام بجملة من البيانات الشخصية والاجتماعية والديمغرافية حول المستخدمين (الفئة العمرية، الجنس، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي...)، وطبيعة نشاطهم على شبكات التواصل الاجتماعي، والأغراض والدوافع من وراء ذلك (تسلية، تعليم، عمل، تواصل اجتماعي، تصفح الأخبار...)، وطبيعة العلاقات (عدم الشعور بالعزلة، شعور بالألفة والانتماء، بناء علاقات اجتماعية جديدة، تعزيز العلاقات الاجتماعية من خلال التواصل مع العائلة والأصدقاء، وتشكل نسيج اجتماعي جديد...)، والمواضيع المدرجة والنقاشات التي تثار حولها (رواج المواضيع الاجتماعية، الراضية، العاطفية مقابل المواضيع لسياسية والدينية...)، وأشكال التفاعل والتعبير (حسب شكل المحتوى، حسب الأشخاص، حسب طبيعة المحتوى...).

أما فيما يتعلق بموضوع الهوية وعلاقته بشبكات التواصل الاجتماعي، فرغم الغياب الصريح لمعالجته كموضوع أساسي في بداية الدراسات المهتمة بالأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، إلا أن العديد من الجوانب التي تلامس أبعاد الهوية كانت حاضرة وبشكل ملفت منذ بداية الاهتمام بالظواهر المتصلة بالأنترنت في الدراسات الجزائرية والعربية، كون البحث في مسألة العولمة وعلاقتها بالمحلي في الممارسات الاتصالية، أو دراسة نسق القيم عند الشباب وثقافة العولمة، هو من جوانب البحث في مسألة الهوية من خلال الكشف عن روابط الانتماء في مواجهة ثقافة الآخر عبر شبكات التواصل الاجتماعي، والتساؤل حول مصير القيم في خضم ثقافة العولمة في إطار ما يطلق عليه صراع الهويات أو صراع الثقافات والقيم، ويرجع ذلك إلى التوجس والمقاومة التي يقابل بها المجتمع كل تحديث وافد.

أمدتنا من جهتها الدراسات التي اهتمت بموضوع الهوية بشكل مباشر بجملة من النتائج الهامة التي مكنتنا بالدرجة الأولى من معرفة حجم الاهتمام بالموضوع، وأمدتنا بمجموعة من البيانات التي مكنتنا من الانطلاق في البحث بناء على نتائجها وجنبتنا الانطلاق من الأحكام المسبقة والتعميم الغير مؤسس، حيث كانت النظرة إلى العولمة نظرة إيجابية مع الإقرار بتأثير وسائل الاعلام الحديثة على القيم المحلية، أما التأثيرات السلبية فجاءت نتيجة لعدم تمسك الشباب بالقيم التقليدية[1]. كما جاء في إحدى الدراسات أن استخدام الهوية الحقيقية جاء بنسبة 66 % مقابل 33% من استخدام هوية مستعارة، وجاء عكس ذلك في دراسة أخرى حيث كانت النتائج غياب التصريح بالهوية الحقيقية[2]، وهذا لا يعني اعتماد هذه النتائج بشكل كلي كمسلمات وإنما الاستعانة بها في مناقشة النتائج والبيانات التي نتحص عليها ضمن دراستنا لعدم تطابق العينات ومجالات الدراسات والمنهج المتبع.

بخصوص تأثير البيئة الرقمية، توصلت الدراسات السابقة إلى أنها تساهم في بناء المتفاعلين وتعيد تشكيلهم ثقافيا، حيث اعتبرت الفضاءات الرقمية بمثابة حاضنات غير رسمية للتنشئة الثقافية ومصدرا بديلا

---

[1]- عبد العالي دبلة، مرجع سابق، ص ص 82، 106

[2]- كشرود فاطمة الزهراء، مرجع سابق، ص 124.

لإنتاج قيم جديدة، وهي بذلك تشكل تهديدا للهوية الأصلية من حيث هي نوع من أنواع الهيمنة الثقافية الغربية[1]، وفي نفس السياق توصلت دراسة أخرى إلى أن المؤسسات الاجتماعية التقليدية لم تعد لها القدرة على احتكار انتاج نماذج اجتماعية أو ثقافية، لأن الشباب وجد في الفضاءات الرقمية فضاءات بديلة وموارد لبناء هويته، أصبح بفضلها أكثر انفتاحا على عالم افتراضي يزخر بقيم جديدة يروج لها رقميا[2]، ويمكنهم من خوض تجارب جديدة متصلة ببناء الهوية بشكل أكثر حرية واحتراما لرغباتهم.

كما جاءت الهوية الافتراضية وفقا لنتائج بعض الدراسات السابقة، موافقة للهوية الحقيقية، وهو ينطبق مع نتائج دراسات أخرى على، غرار النتائج التي توصل لها دانييل ميلر كون مستخدمي الفايسبوك مثلا يتمسكون بذواتهم ويسعون للمحافظة على هوياتهم الحقيقية[3]، وإظهارها كما هي على شبكات التواصل الاجتماعي، كما جاء في نفس الدراسة أن الهوية على شبكات التواصل الاجتماعي يتم عرضها بالمزج بين سمات الشخصية الحقيقية ومستويات عرض الذات على هذه الشبكات.

من النتائج المهمة كذلك تلك المتعلقة بالهوية الافتراضية بشكل مباشر، حيث تم رصد ملامح مختلفة لها وبعض الأنواع البارزة، التي من شأنها أن تساعدنا في تصنيف الأنواع المختلف من الهويات الافتراضية التي نبحث فيها، ونفس الشيء ينطبق على الأبعاد التي تم تحديدها لرسم معالم الهوية الشخصية، وكذلك العلاقة بين الهويتين الحقيقية والافتراضية وكيف تنعكس إحداهما في الأخرى.

أما فيما يخص الإطار النظري، فتتفق ملاحظتنا حول الدراسات السابقة مع طرح نصر الدين لعياضي، عقب دراسته لعينة مكونة من 80 بحث في دوريات عربية محكمة، أين وجد أن الدراسات الكمية التي تحلل وسائل الاتصال الاجتماعي في المنطقة العربية، تكاد تجمع على أن أكثر من 50% بقليل لا تستخدم إطارا نظريا، وما بين 20% إلى 34% من الدراسات تستخدم نظرية أو أكثر، بينما لا تشير الدراسات الأخرى والتي تتراوح نسبتها بين 16 إلى 30% إلا إشارات عابرة. وهذا يرجع إلى أن النظريات التي تدرس وتفسر وسائل الاعلام الاجتماعية ذات منشأ غربي، أو أنها تنتمي إلى حقول معرفية يصعب على الباحثين تطبيقها على هذا النوع من الدراسات الإعلامية، وتقتصر على الدراسات التي تختبر المفاهيم والفرضيات دون استخدام النظرية[4].

---

[1]- إيمان نوي، مرجع سابق، ص 133.

[2]- هدى كريملي، مرجع سابق، ص 85.

[3]- أسمهان كسيرة، مرجع سابق ص 150.

[4]- نصر الدين لعياضي، المفاهيم في بحوث الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية: رهانات التعريفات، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5611 نشر بتاريخ: 2023/04/11م، آخر معاينة بتاريخ: 2024/10/23. 17:42.

خلاصة:

من خلال هذا الفصل، وفي ختامه نكون قد رسمنا الإطار التصوري اللازم لدراستنا المتمحورة حول الهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في السياق المحلي الجزائري، ويتجلى ذلك من خلال الانطلاق من إشكالية تتمحور حول فهم كيفية بناء الهوية الافتراضية، وطبيعة تشكلها وعلاقتها بالهوية الواقعية عند مستخدمي فيسبوك، كما كانت مبررات اختيار الموضوع متشعبة ومتعددة الأوجه، سعت إلى الربط بين العناصر المكونة للهوية الافتراضية ومدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي، في سياق الثقافة المحلية الجزائرية، لفهم التحول الرقمي على خلفية التوجهات المجتمعية، ومدى تأثير الفضاءات الرقمية.

بدورها المفاهيم والمصطلحات التي تكون الإطار المفاهيمي، نالت مكانة مهمة في هذا الفصل كونها تساهم في ضبط الإطار النظري، بالإضافة إلى الدراسات السابقة التي وضحنا من خلالها مكامن نقص الاهتمامات البحثية بمسألة الهوية الافتراضية، والتي سنعمل على محاولة تغطيتها من خلال هذا البحث.

الفصل الثاني

مقاربات دراسة الهوية في العلوم الاجتماعية

الفصل الثاني: مقاربات دراسة الهوية في العلوم الاجتماعية.

تمهيد
أولا: المقاربات الفلسفية.
ثانيا: المقاربات السوسيولوجية في دراسة الهوية.
1- عند إيميل دوركهايم.
1-1- الهوية الاجتماعية.
1-2- الهوية الفردية.
2- عند نوربيرت إلياس.
3- عند ماكس فيبر.
4- توليف الأفكار السوسيولوجية حول مسألة الهوية.
ثالثا: المقاربات النفسية.
1- عند سيغموند فرويد.
2- عند إيريك إركسون.
رابعا: المقاربات الأنثروبولوجية في دراسة الهوية.
1- التوجيهات الإثنية.
2- التطور الاجتماعي وأسس الانتماء الأولية.
2-1- لويس هنري مورغان.
2-2- تايلور إدوارد بورنيت.
3- الانتشارية والنسبية الثقافية.
3-1- اسهامات فرانز بواس.
3-2- الاسهامات الحديثة للانتشارية في موضوع البحث.
4- الدراسات الثقافية والشخصية الأساسية.
4-1- العلاقة بين شخصية الفرد وثقافة المجتمع.
4-2- نشأة الاهتمام بشخصية الفرد في الأنثروبولوجيا.
4-2-1- روث بنديكت.
4-2-2- مارغريت ميد.
4-2-3- رالف لينتون وأبرام كاردينر.
5- تأثير نظرية الثقافة والشخصية في دراسة الهوية الافتراضية.

تمهيد

يعتبر موضوع الهوية موضوعا قديما وأساسيا وممتدا عبر الأزمنة وعبر مختلف التخصصات العلمية والاتجاهات الفكرية، فانطلاقا بالبدايات الأولى للفلسفة الاغريقية القديمة وصولا إلى الدراسات الآنية في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية نلمس الحضور المهم والمكثف للموضوع ولمفهوم الهوية، رغم النقد اللاذع الذي تلقاه ويتلقاه هذا المفهوم الموسوم بالغموض، الأمر الذي وصل حد اقتراح استبداله بمصطلحات أكثر وضوحا خدمة لتوظيفه بشكل أكثر نجاعة[1]. كما ذهب البعض إلى ضرورة الانطلاق من نقده قبل استخدامه، وهو ما ذهب إليه كلود ليفي ستراوس Claude Levi- Strauss (1908- 2009م) في الحلقة الدراسية التي نظمها سنتي 1974 - 1975 م، والتي خصصها لدراسة موضوع الهوية[2]، وهو ما يدل من جهة أخرى على الأهمية البالغة التي حظى بها الموضوع على مر العصور. وعليه سنعمل خلال هذا الفصل على مقاربة مفهوم الهوية في مختلف التخصصات التي اهتمت بالموضوع، وعند أبرز العلماء باختلاف تياراتهم العلمية والفكرية، في مختلف العصور والأزمنة، وكشف محاولة ربطهم للمفهوم بجملة من المفاهيم التي منحته استخدامات مختلفة وأحيانا متباينة، وربطته بمختلف المواضيع والمقاربات الفلسفية، السوسيولوجية، السيكولوجية والأنثروبولوجية، وجعلت منه ضرورة معرفية ملحة في بعض الأحيان رغم صعوبة التعامل معه.

أولا: المقاربات الفلسفية في دراسة الهوية :

تعتبر الفلسفة ركيزة أساسية ومدخلا مهما لفهم العديد من المسائل الهامة التي تعالجها مختلف التخصصات العلمية، وبشكل خاص الدراسات الاجتماعية، كما هو الحال بالنسبة لموضوع الهوية والمسائل المرتبطة بها قديما وحديثا، على غرار المسائل الثقافية، النفسية، الاجتماعية، والتكنولوجية، إلا أنه ورغم المجهودات التي ستبرز في أعمال الفلاسفة والمنظرين الأوائل، لا يزال رأي نوربيرت إلياس Norbert Elias (1897- 1990م) القائل بعجز الفلسفة عن فهم موضوع الهوية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي قائما، إذا تم فصل ما أسماه التأملات الفلسفية حول الأنا عن تحول النحن[3]، وهذا يعني أن

---

[1] - Brubaker Rogers, Junqua Frédéric. **Au-delà de L'« identité »** . In: *Actes de la recherche en sciences sociales*. Vol. 139, septembre 2001. L'exception américaine(2) p 66.

[2]- جليلة المليح الواكدي، **مفهوم الهوية – مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة**، في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، 2010، ص ص 146، 147

[3]- كلود دوبار، **أزمة الهويات - تفسير تحول**، ترجمة: رندة بعث، الطبعة الأولى، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 2000، ص 52

دراسة مسألة الهوية يجب أن يكون في إطار العلاقة بين الفردي والجماعي، وهما مستويين يتم الفصل بينهما في كثير من الحالات التي لم تصل إلى نتيجة مرضية في فهمها للموضوع.

يشير العديد من الفلاسفة قديما وحديثا، إلى كون مفهوم الهوية في الفلسفة مفهوما جوهريا يرجع إلى التيار الفلسفي المسمى "فلسفة الهوية"[1] التي جاء بها "شلنج" Schelling (1775- 1854م) وملخصها ضرورة وجود تطابق بين الوجود ونفسه، فهي وحدة الوجود و"ما يتماهى مع ذاته" عند "بارمنيدس"[2] Parménide (540- 480 ق م)، حيث كانت الهوية موضوعا ميتافيزيقيا في البداية، عملت الفلسفة الوجودية على تمجيده إلى حد جعله قانونا من قوانين العقل يشترط عدم انقسام الذات وانشطارها على نفسها إثباتا للوجود الإنساني[3]، أي أن جوهر الوجود مرهون بتحقق الهوية وتطباق الشيء مع نفسه وعدم الإنشطار.

في الفلسفة اليونانية الكلاسيكية، بدءً بـأفلاطون Plato (427- 347 ق م) عرفت على أنها خاصية نفسية، وأن كان أفلاطون نفسه لا يقر بوحدة النفس والبدن عكس الوجوديين، وتأتي وحدة الذات في نظره كثمرة من ثمرات السيطرة على الذات بالعقل (Logos) أي أولوية العقل، مقابل توقف سيطرة الرغبات، وهي فكرة مثالية. يرجعها إفلاطون إلى القدرة على رؤية الوجود إنطلاقا من الداخل لا من الخارج[4].

أما "أرسطو" Aristotle (334- 262ق.م) فلقد أقره بمعنى الوجود الخالص، الجوهري، قبل أن تعمل الفلسفة العربية بدءً "بالكندي" Alkindus (805- 873 م) ووصولا إلى "ابن رشد" Averroes (1126- 1198 م) على إلصاق المفهوم بمعنى "الذات" وربطه بها.

مع الفلسفة الحديثة انزاح المفهوم من معنى الوجود إلى معنى الذات، أي انه تحول إلى مصدر للوجود، وهو ما أخذ به الفلاسفة من "ديكارت" Descartes (1596- 1650م) إلى "كانط" Kant (1724- 1804م) مع انزياح المعنى من الأنطولوجي (الوجودي)، إلى الابستيمولوجيا[5] (المعرفي)، مع التركيز على فهم خبرات الشعور أو التجربة الذاتية للشخص عند "ديكارت". كما أشار "جون لوك" John Locke (1632- 1704م) إلى الذاكرة التي تمنح الإنسان وعيا وإحساسا متواصلا بالوجود عبر الزمن.

---

[1]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية**، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 532.

[2]- جليلة المليح الواكدي، مرجع سابق، ص 11.

[3]- حسن حنفي حسنين، **الهوية**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص09.

[4]- تشارلز تايلر، **منابع الذات: تكون الهوية الحديثة**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2014، ص ص 188، 199.

[5]- فتحي المسكيني، **الهوية والزمان – تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001. ص ص 07، 08.

من جهتها تشكل أعمال إيمانويل كانط تحولا كبيرا في الفكر الفلسفي عموما وبالتحديد في مقامنا هذا في موضوع الهوية، من خلال منحه للأخلاق طابعا كونيا، وهو ما سمح بتأسيس استقلالية الفرد الأخلاقي من خلال التعامل مع الآخر، كالتعامل مع الذات بوصفها غاية في حد ذاته لا وسيلة.. وبالتالي النظر إلى الهوية الشخصية كمقصدا أخلاقيا[1].

من جهة أخرى يركز "ديفيد هيوم" David Hume (1711- 1776 م) على مبدأي الوحدة والثبات عبر مختلف الأزمنة [2]، أي عدم الاختلاف باختلاف الأزمنة. ومع "فريديرش هيجل" Friedrich Hegel (1770- 1831م) الذي عمل على تكريس مبدأ التعددية الثقافية، وفي ظل الفلسفة المادية الجدلية برزت فكرة النسبية وعدم اليقين على حساب اليقينية، وهو ما دفع إلى الإلحاح على ضرورة التقيد بالمنهج العلمي في مختلف الدراسات بما فيها دراسة الهوية والمسائل المتصلة بها باستخدام المنهج العلمي[3].

ليعرف المفهوم بعدها منعطفا فينومينولوجيا (ظواهريا) على ضوء دراسات: هوسرل Husserl (1859- 1938 م)، هايدغر Heidegger (1889- 1976 م) وسارتر Sartre (1905- 1980 م)؛ إنتقلت خلالها المفاهيم الفلسفية من الوجود إلى حقيقة الوجود في الوقت الحاضر، حيث عملت الفلسفة الفينومينولوجية مع "هوسرل"على إعادة إرجاع الإنسان إلى عالمه من خلال مهمتها الأساسية المتمثلة في فهم الحياة اليومية للإنسان، وهو ما منح مفهوم الهوية طابعها الديناميكي المتجدد، المستمر التنشئة والوجود خارج ذاته[4].

ليسجل الموضوع بعد كل ما سبق ذكره تحولا عميقا في إدراك الذات عن طريق معرفة الآخر حسب "جان بول سارتر" الذي يعتبر؛ "الوجود من أجل الآخر" و"الوجود مع الآخر" مانحا بذلك أهمية للآخر وللإختلاف معه، فإدراك الذات يتحقق بإدراكه لاختلافه عن الآخر. في الجهة المقالبة يأتي "بول ريكور" Paul Ricoeur (1913- 2005) ممثل السيميوطيقا التأويلية الذي انطلق من رفض أفكار "سارتر" في الموضوع مميزا بين الهوية المطابقة أي الشيء نفسه أي الجوهر الثابت الغير قابل لتغيير. والهوية الذاتية من حيث هي القدرة على مساءلة الذات عن كيفية الوجود.. محاولا في التوليف بين الاثنين أن يجد حلا للإشكالية الفلسفية حول الهوية فيما أسماه الهوية السردية التي تعنى بإعادة إنتاج هوية دينامية لا تعطى بل تتشكل باستمرار[5].

---

[1]- كلود دوبار، مرجع سابق، ص 52.

[2]- جليلة المليح الواكدي، مرجع سابق، ص 69.

[3]- فاطمة الزهراء سالم، **نحو هوية ثقافية عربية إسلامية**، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2008، ص 65.

[4]- جليلة المليح الواكدي، مرجع سابق، ص ص 86، 87.

[5]- نفس المرجع، ص 101.

وبهذا يكون موضوع الهوية قد رافق مختلف التيارات الفلسفية وصاحبها في تطورها وكان انعكاسا مباشرا لنظرة الفلسفات المختلفة للإنسان والوجود وعلاقته بذاته وبالآخر، ومركز الجدل بين مختلف الفلاسفة على مر العصور ولا يزال المفهوم على قدر بالغ من الأهمية في الفلسفات الحديثة، مع الإشارة إلى أنه يمكن حصر أهم الأفكار الفلسفية التي جاءت في هذا المجال في التالي:

- موضوع الهوية موضوع جوهري في الفلسفة عرف اهتماما متزايد منذ البدايات الأولى للفلسفة.
- عرفت كمبدأ فلسفي يعنى بوحدة الوجود، المطابقة، وعدم الانقسام.
- عرفت بمعنى الذات أو الأنا كمصدر لمعنى الوجود.
- ربطت بالإحساس المتواصل بالوجود عبر الزمن بواسطة الذاكرة.
- تشير إلى استقلالية الفرد أخلاقيا من خلال التعامل مع الآخرين كالتعامل مع الذات بوصفها غاية لا وسيلة.
- تشير إلى الوحدة والثبات وتكريس مبدأ التعددية في الهوية الثقافية.
- تشير إلى الوجود خارج الذات، الوجود من أجل الآخر، والوجود معه.
- انتهت إلى التمييز بين الهوية المطابقة أي الشيء نفسه، الجوهر الذي لا يتغير، والهوية الذاتية من حيث هي القدرة على المساءلة عن كيفية الوجود ومحاولة التوليف بينهما بما يسمى الهوية السردية التي لا تعطى دفعة واحدة بل تتشكل باستمرار.

ثانيا: المقاربات السوسيولوجية في دراسة الهوية:

في إطار المقاربات السوسيولوجية نتطرق إلى التراث السوسيولوجي الذي يلاحظ فيه عدم التطرق المبكر إلى مفهوم الهوية، فأعمال علماء الاجتماع الأوائل لم تعالج بشكل صريح هذ الموضوع وإن تضمنت بعض الأفكار التي يمكن من خلالها استخلاص ما يمكن اعتباره نظرية للهوية[1]، ولعل ذلك الغياب يمكن ارجاعة إلى أن علم الاجتماع في بدايته وصف بأنه علم جبري، احتمالي تفسيري، يهتم بالمجتمع ككل لا بالفرد الذي يعتبر موضوعا للعلوم التي تدرس السلوك البشري وتفسره وتبحث في دوافعه وأسبابه وبشكل أساسي لعلم النفس الذي تشكل علم الاجتماع التقليدي بالتضاد معه[2]، وإن كان موضوع الهوية لا يعتبر شأنا فرديا من شأن العلوم السلوكية بل هو موضوع العلوم الاجتماعية والسلوكية على السواء ولعل القسط الأوفر من الاهتمام ستحوز عليه الدراسات التي تقاطع هذا بذاك.

---

[1]- هارلمبس وهولبورن، **سوشيولوجيا الثقافة والهوية**، تر: حاتم حميد محسن، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010، ص13.

[2]- كلود دوبار، مرجع سابق، ص 27.

تطور الاهتمام في السوسيولوجيا بمواكبتها التطورات الاجتماعية بموضوع الهوية ليرتبط طرحه دائما بالأحداث الكبرى والمصيرية لشعوب العالم ففي سنوات الستينيات من القرن الماضي عرفت الولايات المتحدة الأمريكية بروزا ملفتا لموضوع الهوية في جميع التخصصات بما في ذلك علم الاجتماع على خلفية تعميم فكرة المجتمع الجماهيري وصعود الحركات العرقية المناضلة ضد التمييز العنصري باختلاف أساسه عرقيا كان أو ديني أو جنسي...، مع ضعف الحركات اليسارية وعدم جدوى الأفكار القائمة على الطبقة الاجتماعية[1]، وتنامي دراسات سوسيولوجيا الهجرة التي تعتبر عوامل حاسمة بالإضافة إلى الأسباب السياسية وتأثير الأقليات في السياق الأمريكي مما أنتج هويات هجينة أو ممزوجة على غرار "الأمير-انديون: هنود أمريكا" أو "الكيجن: أمريكيين من أصل فرنسي" وهو ما جعل موضوع الهوية يبرز بشكل أكبر في الدراسات الإثنية والقومية والهجرة والدين والجنوسة [2].

أما في فرنسا فخلال سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين طرحت مجددا مسألة دينامية الحداثة كنتيجة لسلسلة الأزمات المتشابكة التي ظاهرها اقتصادي لكن انعكاساتها سياسية، اجتماعية وأخلاقية، أفرزت زيادة في البطالة والفقر وتفكك في الأسرة والروابط الاجتماعية وزيادة التهديد بالتهميش، وما صاحب ذلك من تساؤلات حول تعريف الأفراد لذواتهم وانتماءاتهم، وهو ما يمثل بشكل أساسي التساؤل حول الهوية[3].

المسائل السابقة تحيلنا بشكل أو بآخر إلى المفكرين الأوائل وضرورة استنباط ما تتضمن أعمالهم من أفكار ذات صلة بموضوع الهوية وأشكال مقاربتهم للموضوع وهو ما يمثل المدخل السوسيولوجي لدراسة الهوية وعلاقتها بالبنى والأنساق الاجتماعية.

1- عند إيميل دوركهايم:

رغم ما سبق ذكره حول افتقار أعمال علماء الاجتماع الأوائل لأفكار تأسيسية في موضوع الهوية إلا أننا لا ننكر على دوركهايم Emile Durkheim (1858- 1917م) وإن كانت أعماله لا تشير لمصطلحي الثقافة والهوية إلا أنها تتضمن بشكل أساسي مفهوم الوعي الجمعي الذي يتكون من القيم والمثل العليا المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، والتي يتحدد بموجبها الاطار الاجتماعي الذي يتحدد فيه السلوك العام لأفراد في المجتمع، ويقابله "النماذج الثقافية" و"الشخصية القاعدية" عند علماء الأنثروبولوجيا الثقافية

[1] - Brubaker Rogers, Junqua Frédéric. **Au-delà de L'« identité »** . In: *Actes de la recherche en sciences sociales*. Vol. 139, septembre 2001. L'exception américaine(2) p 67.

[2]- كاترين آلبرتين، مرجع سابق، 2010، ص، 22.

[3]- كلود دوبار، مرجع سابق، ص 10، 11.

الأمريكيين باعتبارها نظرية ثقافية[1] تدفعنا للاشتغال على أفكار دوركهايم في هذا الموضوع لاستخلاص ما يمكن أن يشير إلا موضوع الهوية.

اختزل دوركهايم الاجتماعي بالأشكال الجماعاتية حسب تعبير نوربيرت إلياس[2]، مستلهما ذلك من أعمال الألمانيين أمثال "شافيل" و"رينوفيه" في تقريرهم مجموعة من المبادئ على رأسها أن الكل لا يساوي مجموع أجزائه بلغة الرياضيات والفيزياء، وبالتالي فالوعي الجماعي ليس هو الوعي الفردي، بل على العكس الفردي هو من ينبثق عن الجماعي[3] ويبقى خاضع له، وهو ما يعني أسبقية الجماعة والمجتمع وتفوقهما على الفرد الذي تتكون هويته من تعاليم المجتمع أو الجماعة التي ينتمي إليها. وهو أساس نظرية دوركهايم، فالفرد خاضع للمجتمع أو الجماعة، ويرجع هذا لتمتع المجتمع بصفات نوعية تجعل له الأسبقية على الفرد والقدرة على الاستمرار بعيدا عن أفراده[4]، فالمجتمع يحتضن الأفراد ويطبعهم بصفاته الثقافية عن طريق التنشئة الاجتماعية. وهو نفس النهج الذي نهجه الكثير من علماء الاجتماع في فرنسا المعاصرين لدوركهايم أو ممن جاؤوا بعده، حيث كانت الهوية بالنسبة لهم مطابقة للفئة التي ينتمون إليها (سواء أكانت؛ مهنية أو عائلية أو إثنية... إلخ)، وهو ما استمر في السوسيولوجيا الفرنسية والسوسيولوجيا المتأثرة بإيميل دوركهايم حتى خارج النطاق الأوروبي.

من جهة أخرى يميز دوركهايم في تقسيمه للعمل ودراسته لظاهرة الانتحار بشكل أساسي بين نمطين من المجتمعات؛ المجتمعات البسيطة والمجتمعات المعقدة، وتفرز الدراسة المتأنية لكلى النمطين عن تفرد كل منهما عن الآخر بجملة من الخصائص التي تفرز سيطرة الوعي الجمعي وبروز هوية جماعية أو تلاشيها. والجدول الموالي يمكن أن يقدم تصورنا لطرح دوركهايم للموضوع:

---

[1]- دنيس كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة: منير السعيداني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007، ص 48.

[2]- كلود دوبار، مرجع سابق، ص 33.

[3]- أنطوني جدنز، **الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة؛ تحليل كتابات ماركس ودركهايم وماكس فيبر**، الطبعة الأولى، ترجمة، أديب يوسف شيش، دار النشر والتكوين، دمشق، سوريا، د س، ص ص، 120، 122.

[4]- إميل دوركهايم، **في تقسيم العمل الاجتماعي**، ترجمة: حافظ الجمالي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1982، ص98.

جدول رقم 1: جدول يوضح تصور دركهايم لأنماط التضامن الاجتماعي وعلاقته بالهوية.

نمط المجتمع الفوارق	مجتمعات بسيطة (تقليدية)	مجتمعات معقدة (حديثة)
نوع التضامن (التعاون)	**ميكانيكي (آلي)**	**عضوي**
القيمة الأساسية	الأخلاق العامة	المصلحة الشخصية
الإلتزام	القواعد الاخلاقية	القوانين
الثقافة	وحدة ثقافية	تعددية ثقافية
الوعي الجمعي	مهم وقوي	غير مهم وضعيف
العواطف والمعتقدات	مشتركة	متعددة
التنويع بين الأفراد	قليل	أكثر
بروز الشخصية	جماعية ـ تماثل بين الأفراد	فردية ـ فروق بين الأفراد
شكل الهوية	هوية اجتماعية	هوية فردية

المصدر: الجدول إنجاز شخصي بالاعتماد على: أنطوني جدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة؛ تحليل كتابات ماركس ودركهايم وماكس فيبر، الطبعة الأولى، ترجمة، أديب يوسف شيش، دار النشر والتكوين، دمشق، سوريا، د س، ص ص، 133، 135.

يضع دوركهايم إذا مجموعة من الفوارق الجوهرية بين نمطين من المجتمع، بتتبع الفوارق بينهما نصل في النهاية إلى شكلين أساسيين مختلفين من أشكال الهوية.

1-1- الهوية الاجتماعية:

حسب دوركهايم يهيمن نوع من التعاون الآلي يتجه من الفرد إلى الجماعة في المجتمعات التقليدية البسيطة، التي تتكون من تجمعات أولية طبيعة الروابط بها تكون عائلية[1] نتيجة لحالة وجدانية عامة بين جميع أفراد الجماعة، يلتزم فيها الفرد ويدعن للقواعد العامة الاجتماعية ذات الطبيعة الأخلاقية التي تشكل القيمة الأساسية في ظل الوحدة الثقافية، التي تشمل الجميع وتجعل بين الأفراد تماثل أو تشابه وتقضي على التنوع والفوارق بينهم، وهذا راجع إلى امتثالهم للوعي الجمعي المهم والقوي والذي يفرض سيطرته على الأفراد، وفي هذا الصدد يقول دركهايم: " كلما كانت المجتمعات أقرب إلى البداءة، كان التشابه بين الأفراد الذين يؤلفونه أعظم"[2] وهي فكرة كلاسيكية عند الفلاسفة وعلماء الأنثروبولوجيا يقوم دوركهايم بإعادة طرحها ومحاولة الاستدلال على صحتها حيث تم طرحها وتداولها من قبل فلاسفة وعلماء آخرين أمثال

[1] ـ إميل دوركهايم، مرجع سابق، ص126.
[2] ـ نفس المرجع، ص156.

أبقراط في كتابه "في الهواء والأمكنة" وهمبولت في كتاب "الإسبانيون الجدد" وقايتز في كتاب "أنثروبولوجيا الشعوب الأصلية"، والتي تذهب كلها إلى طرح وجود هوية مشتركة في سماتها عند أفراد المجتمعات التقليدية تتمثل أساسا في الهوية الاجتماعية.

وفي السياق ذاته يرى اليس ميكشللي في كتابه المعنون بـ: "الهوية" أن ربط الهوية الاجتماعية بمجموعة من المعايير التي يمكن من خلالها للفرد أو للجماعة اكتساب سمات وخصائص مجتمعه يسمح بتعريفهم في إطار ذلك المجتمع[1] وهو ما يسميه أنتوني غدنز الهويات المشتركة، وهي دليل على تشابه الأفراد لتضمنها أبعادا جماعية تعطي دلالات على أن الأفراد متشابهين[2] في أنماط سلوكية وطرق تفكير...، يجمعهم نموذج ثقافي موحد عكس الهوية الذاتية أو الشخصية كما يسميها.

هذه الآراء تمثل الأطروحة التي تركن إلى التسليم بأن الهوية هوية اجتماعية، تستمد أبعادها ومقوماتها من الثقافة الخاصة بكل مجتمع[3]، ففي إطار الجماعية تتحدد أطر التفكير، السلوك والممارسات ويبنى عالم الرموز، وينمو الذوق، أنماط الاستهلاك، العادات والقواعد الدينية والأخلاقية.

1-2- الهوية الفردية:

في هذا الصدد يقول أنتوني غدنز: " تشير إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح متميزة لأنفسنا ولعلاقتنا مع العالم حولنا"[4]. وهو يقر في قوله هذا بوجود مجهود شخصي مستقل ومتمايز عن الجماعة وإكراهاتها، وفي شرحه لكيفية تشكلها يرى دوركهايم أن المجتمعات المعقدة أو الحديثة التي تنشأ عن جملة من الوظائف الخاصة والمختلفة عن تفاعل مجتمع أكبر نسبيا من الأول تكون شبكة العلاقات أكثر تعقيدا فتنتج التعاون العضوي بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض بحكم القوانين[5] التي وضعت لتحقيق مصالح شخصية مختلفة في ظل تعددية ثقافية وعدم انسجام ثقافي - اجتماعي يسمح ببروز الفردية أو ما يجعل من الفرد مستقلا، متمايزا ومختلفا عن باقي أفراد المجتمع، وهو ما يرى فيه أنتوني غدنز تحررا للفرد في تكوين هويته من العوامل الموروثة المتأثرة بالانتماء إلى الجماعة والطبقة والجنسية والتقاليد

---

[1] - اليس ميكشللي، **الهوية**، ترجمة علي وطفة، الطبعة الأولى، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، 1993، ص 111.

[2] - أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصباغ، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2005، ص ص 90 - 91.

[3] - جليلة المليح الواكدي، نفس المرجع، ص 154.

[4] - أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصباغ، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2005، ص 91.

[5] - إميل دوركهايم، **في تقسيم العمل الاجتماعي**، ترجمة: حافظ الجمالي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1982، ص 150.

الموروثة وتمتعه بفرص غير مسبوقة لتشكيل هويته المتميزة[1] وبروز الفردانية، ومنه تكون الهوية الفردية هي الهوية التي تميز الأفراد عن بعضهم وتجعلهم مختلفين.

إلا أن دوركهايم في كلى الشكلين يمجد الجماعة على حساب الفرد ففي الأول تسيطر الجماعة عن طريق الوعي الجمعي القوي وفي الشكل الثاني وأن ضعف الوعي الجمعي فالغلبة للجماعة بواسطة القانون الذي يحفظ الحقوق ويلزم بالقيام الواجبات.

2- عند نوربيرت إلياس:

في دراساته حول الهوية وديناميتها والعلاقة بين الفرد والمجتمع يعتبر نوربيرت إلياس (1897-1990م) استثناء بالنسبة للدراسات المؤسسة في علم الاجتماع ، فهو يعتبر ديناميات العلاقة أساس دراسة علم الاجتماع[2] حيث يرى أن الوظيفة الأساسية لعلم الاجتماع هي دراسة كل من الفرد والمجتمع على حد السواء دون الفصل بينهما مع سعيه عبر أطروحاته إلى تجاوز التقابل بين الفرد والمجتمع كمتعارضين، فسيرورة الحضارة وهي الموضوع الرئيسي عنده قائمة على دمج الفردانية مع التاريخ الاجتماعي للمجتمع البشري أي الربط بين "النحن والأنا" مع منح الأولوية لهوية الأنا على هوية النحن[3] عكس دوركهايم الذي مجد الاجتماعي ومنحه الأسبقية على حساب الفرد، فالأمر عنده يتعلق بوجهين لعملة واحدة إلغاء أي منهما يعني فقدان العملة ككل لقيمتها وبالتالي عجزها عن القيام بوظيفتها وتحقيق أهدافها. فباجتماع الأفراد (اللاعبين/الفاعلين عند بورديو) – كما يسميهم- يتشكل الواقع الاجتماعي أو (اللعبة/ الحقل عند بورديو) بناء على خبرات سابقة يتم استلهامها من المجتمع أو تعاليم الجماعة الأسرة، المدرسة، المؤسسات، ... والدولة عن طريق آليات التنشئة الاجتماعية، ويتم تناقلها عبر الأجيال. وهو ما أسماه الهابيتوس Habitus، المصطلح الذي سيكون فيما بعد أساسيا عند بيار بورديو.

إذا الوضعية الاجتماعية أو المركز الاجتماعي للفرد – اللاعب – داخل المجتمع- اللعبة- هي التي تحدد دوره ووظيفته وهو من يحرك اللعب وفق ما تقتضي اللعبة نفسها من جهة ووفق الخبرات التي تزود بها من قبل، وهنا تبرز الهوية الفردية هوية الأنا من خلال المركز والدور والهوية الجماعية هوية النحن من خلال الأدوار وضرورة التكامل بينهما، ووظيفة السوسيولوجيا هنا هي دراسة العلاقة الموجودة بينهما بين المراكز والأدوار، مع التركيز على التواصل والعلاقات كمكونين أساسيين من مكونات العلاقة بين الكل والجزء، أي بين المجتمع والفرد وهو ما يعرف بالتفاعلية، وبالمقابل لا يولي أهمية للسجال القائم بين

---

[1] - أنتوني غدنز، مرجع سابق، ص 92.

[2] - نوربرت إلياس، **مجتمع الأفراد**، ترجمة هاني صالح، ط 4، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2014، ص09.

[3] - كلود دوبار، مرجع سابق، ص 42.

المجتمع كغاية والفرد كوسيلة أو العكس ويراها مجرد شعارات[1] في سياق نقده للتيارات الفكرية السوسيولوجية وحتى السيكولوجية.

إلا أننا نلمس إقراره بتفوق هوية "الأنا" على هوية "النحن" أي الانتقال من الأشكال الجماعية إلى أشكال فردانية (سيطرة الأنا بدل النحن) مع استحالة تحقق هوية الأنا دون هوية النحن[2]، والعكس صحيح. مع اعتبار أن هوية الأنا تتحقق من خلال بناء الوعي الذاتي في تفاعل الفرد مع معايير الجماعة وفق التنشئة الاجتماعية.

3- عند ماكس فيبر:

يرى ماكس فيبر Max Weber (1864- 1920م) في كتابه الاقتصاد والمجتمع أن مهمة علم الاجتماع هي الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي[3]، ويعتبره الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع، الأمر الذي يتطلب فهم الفعل الاجتماعي معنى الأفراد لأفعالهم وفهمه كفعل لفاعل موجه ضمن الجماعة تتوقع منه أفعال معينة، وهو هنا يتقاطع مع نوربرت إلياس وجورج زيميل Simmel فيما سيشكل أسس النظرية التفاعلية.

في موضوع الهوية يتفق ماكس فيبر مع دوركهايم ويخالف نوربرت إلياس في عدم استخدامه لمصطلح الهوية. وعلى العموم يفرق ماكس فيبر في دراساته بين نمطين مؤسسين للعلاقات الاجتماعية؛ النمط المبني على الشعور ويسميه النمط الجماعاتي، والنمط المبني على العقلنة وهدفه المصالح ويسميه تطويعي، مع تغليبه للعقلنة لاحتوائها على النمط الجماعاتي[4]. نحاول من خلال تتبعنا لكلى النمطين معرفة الخصائص التي تميز كل نمط ونوع المجتمع وعلاقته بمسألة الهوية، والجدول الموالي محاولة لجمع أهم الأفكار والتصورات بخصوص هذه المسألة.

---

[1] - نفس المرجع، ص ص 23، 24.

[2] - كلود دوبار، مرجع سابق، ص ص 39، 41.

[3] - أنطوني جدنز، **الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة؛ تحليل كتابات ماركس ودركهايم وماكس فيبر**، الطبعة الأولى، ترجمة، أديب يوسف شيش، دار النشر والتكوين، دمشق، سوريا، د س، ص 263.

[4] - عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهوية: جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2017، ص ص 47، 48.

جدول رقم 2: يوضح تصور ماكس فيبر للعلاقات الجماعاتية والتطويعية وعلاقتهما بموضوع الهوية

المعايير	أشكال جماعاتية	أشكال تطويعية
طبيعة المجتمعات	الأكثر قدما	الحديثة والأكثر حداثة
نوع التجمعات	جماعات ثابتة	هيئات متعددة ومتجددة
مكانة الأفراد	محددة مسبقا، ثابتة ودائمة ومورثة	غير محددة مسبقا، غير دائمة، تقدم الفرصة لكل الأفراد لشغلها وتسييرها
الانتماء	رئيسي، ثابتة وحيوية للوجود الفردي.	متعدد ومتغير، أولوية الفرد على انتماءاته الجماعية
مماثلة الذات	الأولوية للغير للجماعة	الأولية للذات
مصادر الهوية	مجموعات الانتماء	الايمان بالهوية الشخصية

المصدر: إنجاز الطالب بالاعتماد على كلود دوبار، أزمة الهويات ـ تفسير تحول[1].

يميز ماكس فيبر إذا بين شكلين من العلاقات التي تبنى الجماعات وفقا لهما وعلى ضوئهما تتشكل الهوية وفقا للمصادر التي يمنحها كل شكل، فالشكل الجماعاتي السائد عند المجتمعات القديمة التي يفترض أن تكون صغيرة نسبيا، تسود فيه علاقات الدم والروابط العائلية والعشائرية التي تحدد للفرد مكانته مسبقا، وتفرض مماثلة ذاته وتشابهها مع الجماعة التي ينتمي إليها، حيث يصعب عليه الاختلاف والتميز عن باقي أفرادها، ومنها يستلهم أفعاله وسلوكه وأفكاره وبالتالي هويته المنسجمة مع قيم الجماعة، أما الشكل التطويعي الذي يقع على الطرف المقابل للجماعاتي فيظهر عند المجتمعات الأكثر حداثة أين ينتمي الفرد لهيئات ومؤسسات متعددة لوقت محدد ولمهام معينة ينتهي انتماؤه لها ليتجدد فيها أو في غيرها متى دعت الضرورة، كما أنها مجتمعات لا تحدد فيها الأدوار والمراكز مسبقا حيث يجد الفرد الفرصة أمامه للعب مختلف الأدوار وشغل مختلف المراكز، لهذا تقل أهمية الانتماءات للجماعة لأنها متغيرة ومتجددة وغير أساسية، فتبرز أهمية الفرد وانتماءاته الجماعية، وهو ما يجعل من الايمان بالهوية الشخصية المتميزة عن الجماعة مهم حسب اتجاه ماكس فيبر.

على ضوء أفكار ماكس فيبر ونظرته لأشكال العلاقات الاجتماعية يستخلص كلود دوبار Claude Dubar (1945- 2015م) الأبعاد العلائقية والأبعاد السيرية التي تتضافر معا خلال مسيرة حياة الفرد لتنتج أشكال الهوية، التي ما هي إلا محاولة "لمماثلة الأفراد مع الآخرين وعبرهم"[2]، أي أن الهوية هي عملية بناء دائمة مستمر طيلة حياة الفرد، الهدف من وراء هذه العملية هو الانسجام مع الجماعة، عن طريق الوسائل التي تفرضها، فتنجح من خلال الشكل الجماعاتي في إعادة إنتاج نفسها على حساب الفرد الذي

[1] - كلود دوبار، مرجع سابق، ص ص 22، 23.

[2] - كلود دوبار، **أزمة الهويات**، مجلة إضافات، العدد السابع، صيف 2009، ص 40.

ينتصر على حساب الجماعة التقليدية في الشكل التطويعي الذي يبنيه مقابل تدميره للشكل الجماعاتي[1]، أي أن الهوية تبنى من خلال الصراع بين الفرد والجماعة.

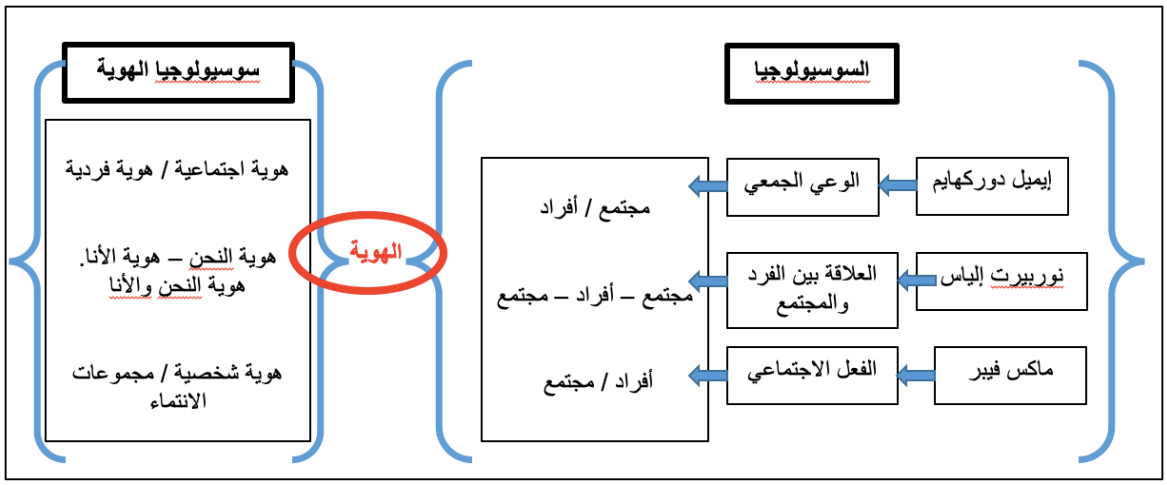
من جهة أخرى يلاحظ أن ماكس فيبر يتفق مع دوركهايم في هذا التقسيم الذي يحيلنا إلى بروز هوية جماعية وأخرى فردية مع فارق أساسي عند ماكس فيبر الذي لم يمنح الأولوية المطلقة للجماعة، بل يتفق فكره في هذا السياق مع نوربرت إلياس الذي استحال تحقق أي من هوية الأنا أو النحن في غياب الآخر.

4- توليف الأفكار السوسيولوجية حول مسألة الهوية:

يتضح مما سبق أن مسألة الهوية مسألة أساسية في علم الاجتماع وان لم تظهر بشكل صريح في دراسات العلماء المؤسسين إلا أن أفكارهم حملت فعلا تصورات يمكن البناء عليها للتأسيس لنظريات سوسيولوجية حول الهوية.

من خلال مناقشة مسألة الهوية عند كل من إيميل دوركهايم، ماكس فيبر ونوربرت إلياس وإن كان حضورها بشكل ضمني في أعمالهم – باستثناء نوربرت إلياس - إلا أنه يعتبر أساسي ويلاحظ أنه يلعب دورا محوريا في التأسيس لأغلب الأعمال التي طرحت وناقشت فيما بعد مسألة الهوية في الفكر السوسيولوجي وحتى الأنثروبولوجي الحديث بتطوير جملة من العوامل والمفاهيم المتصلة بالهوية والتي ترتكز على الأفكار الأساسية للمؤسسين الأوائل كما هو موضح في الشكل الموالي:

شكل رقم 1: مخطط يوضح تأثير أفكار رواد السوسيولوجيا في مسألة الهوية.



المصدر: إنجاز الطالب.

[1] - نفس المرجع، ص 44.

تركز سوسيولوجيا الهوية –الدراسات السوسيولوجية حول مسألة الهوية – في بدايتها حول المقابلة فرد / مجتمع (جماعة)، وهو ما يعتبر اليوم اتجاهات كلاسيكية في الدراسات السوسيولوجية حيث لم تعد المواجهة بين ما هو فردي واجتماعي تثير الجدل بشكل كبير، كما لم يعد الفرد يعرف بإسناده لانتماءاته المباشرة والمحددة سلفا، حيث اصبح ينظر للهوية في علم الاجتماع على أنها مفهوم متعدد الجوانب، يمكن فهمه من زوايا متعددة، وحتى العلاقة بين نوعي الهوية الاجتماعية والذاتية لم تعد جدلية تستلزم إلغاء إحداهما كشرط لتحقق الأخرى، بل أصبح هناك إقرار من قبل علماء الاجتماع على الترابط الوثيق بينهما[1]. فالعمل على الهوية من المنظور الاجتماعي أصبح اليوم يبحث فيها انطلاقا من كونها البحث فيما يجعل أفراد المجتمع متشابهين أو متماثلين (ما يجمع بين أفراد المجتمع) من جهة ومختلفين من جهة أخرى عن أفراد مجتمع آخر (ما يميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى)، مع أخذ عنصر الوعي الذاتي بهذا التشابه والاختلاف، وفي هذا الصدد تقدم الدراسات الاجتماعية الهوية على أنها:

" علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال؛ فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها. وليس شخصا أو شيئا آخرا[2] ".

ويبتعد تقديم الهوية بهذا الشكل ابتعاداً كليا عن تلك المقابلات بين الفرد والجماعة كما سبق ذكره، بل كان جل تركيزه حول تطابق الفرد أو الجماعة مع الحالة التي عرفت عليها. ويتطابق هذا التقديم مع ذلك الذي قدمه محمد سبيلا في الموسوعة العربية، حيث يقول:

" الهوية في العلوم الاجتماعية هي حفاظ جماعة بشرية ما على نفس قوامها وكيانها عبر قرون[3] "، مع الإشارة إلى أن هذا القوام ثقافي في المقام الأول كون الرموز والدلالات هي أكثر ما يمز المجتمعات عن بعضها.

في نفس السياق يشير أنتوني غدنز Anthony Giddens (1938م) إلى الهوية الاجتماعية على أنها الدليل على التشابه بين أفراد المجتمع الواحد[4]، أي أنها مجموع الصفات التي تجمع بين الأفراد المنتمين لمجتمع ما، وتجعل لهم معالم انتماء تجمعهم، كما يربطها أليس ميكشيللي بنفس الشكل تقريبا على أنها مجموعة من القيم والمعايير التي تسمح لفرد ما أو جماعة معينة بالتميز على نحو اجتماعي[5].

---

[1] - أنتوني غدنز، **مرجع سابق**، ص 90.

[2] -طوني بينيت (وآخرون)، **مفاتيح إصطلاحية – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، تر: سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2010، ص700.

[3] - محمد سبيلا، **هوية**، في: نخبة من علماء العرب في علم الاجتماع، **الموسوعة العربية لعلم الاجتماع**، الدار العربية للكتاب، تونس، 2010، ص 838.

[4] - أنتوني غدنز، مرجع سابق، ص 91.

[5] - أليس ميكشللي، **الهوية**، ترجمة علي وطفة، الطبعة الأولى، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، 1993، ص 111.

في هذا الاطار السيوسيولوجي إذا يتشكل مفهوم الهوية بوصفها:

- مسألة اجتماعية خالصة تتشكل ضمن مختلف العلاقات.

- تجمع الفرد بالجماعة التي ينتمي إليها[1].

- في سبيل تشكيل الهوية تعمل الجماعة من خلال وسائل الضبط الاجتماعي، على الفرد طبع الفرد بخصائصها وتجعله منه ما تريده أن يكون.

- الغرض من الهوية هو الحفاظ على استمراره الجماعة وتفردها.

- من خلالها تأسس الجماعة لهويتها الخاصة، وترسم حدود الانتماء إليها.

- من خلال الهوية هناك تأكيد على وضعية البناء الاجتماعي لجميع الهويات وتجاوبها مع التغيرات التي تطرء عليه اجتماعيا وتاريخيا، وهو ما يفسر عدم ثباتها وتعرضها المستمر لإعادة التصوير[2].

- الهوية الواحدة على صلة وطيدة بغيرها من الهويات المختلفة عنها حتى يمكن تعريفها وتمييزها.

- يعود الفضل لأصحاب النظرية التفاعلية الرمزية لمنح مفهوم الهوية مكانة هامة ضمن مصطلحات السوسيولوجيا. بالإضافة إلى نظرية الأدوار الاجتماعية والجماعات المرجعية التي نجد لها ارتباطا وثيقا لفهم موضوع الهوية في علم الاجتماع[3].

ثالثا ـ المقاربات السيكولوجية في دراسة الهوية:

إذا كان موضوع الهوية موضوعا أساسيا في العلوم الاجتماعية المعاصرة فإنطلاقته في ذلك كانت من علم النفس، حيث استفادت التيارات المشتغلة على هذا المفهوم بشكل كبير من الدراسات السيكولوجية في التأسيس لنظريات تهتم بشكل أساسي بالهوية، حيث يعتبر إريك إركسون Eric Erikson (1902-1994م) الأب المؤسس لمفهوم الهوية ضمن تيار التحليل النفسي في أوروبا ومدرسة الثقافة والشخصية في الولايات الامريكية المتحدة، والتي اهتم في إطارهما بالعلاقة بين المجتمع والطفل، وهو موضوع كتابه المعنون؛ "الطفولة والمجتمع" الصادر سنة 1950م. كما قام بتفسير أثر التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية والتاريخية والنمائية في تكوين الشخصية، وكتابه: " الهوية؛ الشباب والأزمة " المنشور سنة 1968م يعتبر مرجعا مهما للتنظير حول تكوين الهوية وقياسها[4]. انطلاقا من دمج تصورات التحليل النفسي

---

[1]- جليلة المليح الواكدي، مرجع سابق، ص 154.

[2]- طوني بينيت (وآخرون)، المرجع السابق، ص 703.

[3]- كاترين آلبرتين، في: كاترين آلبرتين (وآخرون)، **الهوية والهويات: الفرد- الزمرة- المجتمع**، تر: إياس حسن، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2010، ص، 20.

[4]- محمد السيد عبد الرحمن، **مقياس موضوعي لرتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص 13.

التي حملت الكثير من الأفكار التوجيهية لموضوع الهوية مع مضامين علم النفس الاجتماعي. وهو ما يجعل من التعريج على أعمال التحليليين الأوائل أمر بالغ الأهمية وعلى رأسهم أعمال سيغموند فرويد.

1- عند سيغموند فرويد:

كانت لأعمال سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856- 1939م) ضمن تيار التحليل النفسي الأثر الكبير في التأسيس لمفهوم "الشخصية القاعدية" عند الانثروبولوجيين لاحقا إنطلاقا من أفكاره حول "بناء الشخصية"[1]، التي ساهمت في بلورت قضايا الثقافة والشخصية المتعلقة بمحاولة فهم السلوكات الفردية في إطار ثقافة المجتمع أو الجماعة المحلية عن طريق الدراسات التي تدخل ضمن مباحث التنشئة الاجتماعية، وهو ما يجعل من المقاربة السيكولوجية لدراسة الهوية أمر بالغ الأهمية في دراستنا.

بالرجوع إلى تصور سيغموند فرويد حول الحياة النفسية نجد أنه أولى للسنوات الأولى من حياة الفرد أهمية كبيرة، وبشكل كبير لسنوات الطفولة المبكرة - السنوات الثلاث الأولى من عمره- التي تشكل حسب رأيه أسس الحياة النفسية للفرد من خلال الدور الذي يلعب فيه الصراع خلال تلك السنوات بين عوامل ذاتية بيولوجية وأخرى اجتماعية وتاريخية دورا أساسيا في حل الصراعات بين مكونات الجهاز النفسي كما تصوره وتسوية النزاعات النفسية بين عناصر ذلك الجهاز المكون من متطلبات الأنا الأعلى ورغبات الهو ومنه النمو السليم للأنا الذي يمثل الشخصية وبالتالي التطور الايجابي للهوية، واتباعا لهذا الطرح يدرس علماء النفس الشخصية كمحصلة للخبرات الأولى في حياة الانسان[2].

كما أن تركيز فرويد في دراساته حول النمو السيكو-جنسي في إطار عضوية الطفل[3]، كان من خلال فروضه المتمحورة حول القوى الخلاقة من داخل الفرد، فجميع رغبات الطفل واهتماماته المحورية اللا واعية في مراحل نموه الثلاثة وبعدها، مرتبطة بالعضوية - فمية، شرجية وقضيبية-، ولم يكن اهتمامه بالعالم الخارجي كبيرا، فهو يصف الشخصية وصفا بيولوجيا ميكانيكيا بإيعازها إلى الجهاز النفسي أين تحل الصراعات وتسير الدوافع والرغبات بعيدا عن العالم الخارجي[4].

إلا أن أعماله في إطار مدرسة التحليل النفسي كانت مصدر إلهام لأعمال أنصار التيار المهتم بالثقافة والشخصية، الذي أسهب في دراسته للهوية انطلاقا من أعمال التيار السيكو-ثقافي المتشبع بأفكار التحليلين بداية بسيغموند فرويد وإيريك إركسون.

---

[1] - عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهوية: جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2017، ص 68.

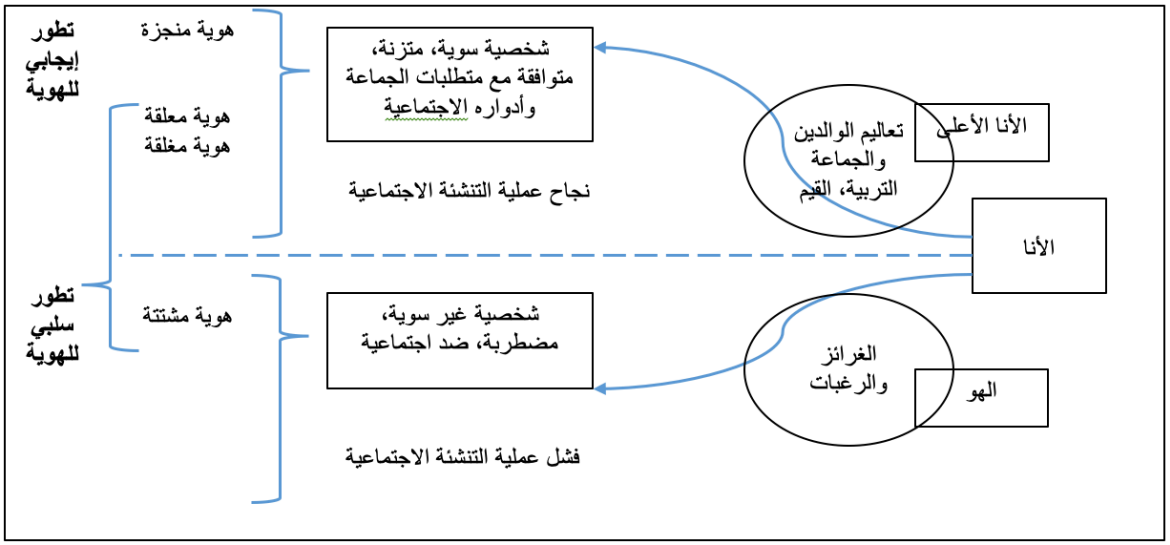
[2] - محمد حسن غامري، **المدخل الثقافي في دراسة الشخصية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 26.

[3] - سامي سلطي عريفج، **مقدمة في علم النفس التربوي**، ط1، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص 129.

[4] - بيتر كونسن، **البحث عن الهوية: الهوية وتشتيتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله**، الطبعة الأولى، ترجمة سامي جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين، الامارات العربية المتحدة، 2010، ص 48.

والشكل الموالي – شكل رقم 2- نحاول من خلاله عرض أشكال الهوية حسب مستويات تشكل الهوية الاجتماعية على ضوء محددات الشخصية عند فرويد.

شكل رقم 2: مخطط يوضح أشكال الهوية حسب مستويات تشكلها على ضوء محددات الشخصية عند فرويد.



المصدر: إنجاز الطالب.

يفترض فرويد أن الصراع بين مكونات الأنا الأعلى المتكون من تعاليم الوالدين وما يتضمن من قوانين وأعراف وسلوكات مستهجنة وأخرى مستحسنة من طرف الجماعة، والهو الذي يحمل الرغبات والغرائز وبشكل عام كل ما هو مستهجن ومحاصر اجتماعيا، الصراع بين هذه المكونات يقع على عاتق الأنا، الذي إما ينجح في تسيير الصراع ويعمل على اقتصاد طاقته النفسية عن طريق الكبت فتكون الشخصية سوية ومتزنة ومتوافقة اجتماعيا وهو ما يمكن من منح هوية منجزة، حسب مستويات تشكل الهوية الاجتماعية تعبر عن نجاح عملية التنشئة الاجتماعية والتطور الايجابي للهوية، أو يفشل الأنا في حل هذا الصراع فيستهلك جميع طاقته النفسية ويفشل الكبت فتظهر الأعراض المرضية والسلوك المضاد للمجتمع، وهو ما يعتبر فشل في عملية التنشئة الاجتماعية فتكون الهوية معلقة، مغلقة أو مشتتة حسب مستويات تشكل الهوية الاجتماعية دائما، أي التطور السلبي للهوية الذي تنتج عنه هويات سلبية تمس بسلامة كل من الفرد والمجتمع وتخلق الشعور بعدم الانتماء، هذا الشعور يقف عائقا أمام قيام الفرد بأدواره الاجتماعية المنتظرة منه[1]، والملاحظ هنا أن الأفكار المستخلصة من النظرية الفرويدية حول الهوية لم تتخلص من حدود الصراع بين مكونات الجهاز النفسي عند فرويد والمكون أساسا من الأنا الأعلى، الأنا والهو، والتي تختزل الصراع بين رغبات الفرد وغرائزه ومتطلبات الجماعة وإكراهاتها.

[1] - فريال حمودة وعيسى الشماس، **مستويات تشكيل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27 – الملحق، 2011، ص 557.

2- عند إيريك إركسون:

يعتبر إريك إركسون Eric Erikson (1902- 1994م) مؤسس مفهوم الهوية ضمن تيار التحليل النفسي في أوروبا ومدرسة الثقافة والشخصية في الولايات الامريكية المتحدة، طرح نموذجا شاملا لمراحل الحياة من الميلاد حتى الشيخوخة والموت موسعا بذلك نظرية النمو النفس التحليلية التي اكتفت بمراحل النمو في الطفولة عند فرويد. كما ميز بين هوية فردية، وهوية اجتماعية نفسية تضم كل انتماءات الانسان للجماعة، ورسم حدود تشابك الهوية الفردية والهوية الجماعية، كما بين العلاقة العميقة بين الفرد والمجتمع وميل كل من الأنا والمؤسسات الاجتماعية نحو التنظيم المتبادل[1]، بالإضافة إلى تركيزه على دور التفاعلات الاجتماعية في بناء وتشييد الهوية الشخصية مخالفاً بذلك سيغموند فرويد الذي اعتبر العوامل الاجتماعية عوامل كابحة وضاغطة على الأنا في نموه وتطوره[2].

انطلق إيريك إركسون من التحليل النفسي في أوروبا، ونهل من علم النفس الاجتماعي الناشئ أنداك في الولايات المتحدة الأمريكية، لتبرز أفكاره في إطار مدرسة الثقافة والشخصية، وهو ما جعل من أعماله ذات أهمية بالغة في الدراسات الأنثروبولوجية التي عالجت موضوع الهوية على غرار أعمال الأنثروبولوجيين أمثال مارغريت ميد Margaret Mead (1901- 1978م) وأبرام كاردينر Abram Kardiner (1891- 1981م) وغيرهم.

في محاولته المزاوجة بين النفسي والاجتماعي يضع إركسون خيط رفيع بين ما أسماه هوية فردية (هوية الأنا) والهوية الاجتماعية النفسية التي تشمل كل ما هو منسجم أو غير منسجم من خلال انتمائه للجماعة، فالهوية عنده هي عملية اجتماعية نفسية شديدة التعقيد لا يمكن فيها فصل ما هو نفسي عما هو اجتماعي انطلاقا من كون الإنسان والجماعة قد تطورا معا، ووجود كليهما يبرر وجود الآخر والعكس صحيح[3]. وفي ذلك يقول إركسون: "لتحقق الهوية يجب أن يتحقق حوار مستمر بين الفرد والجماعة"، وهو يشير بذلك إلى مجموعة معقدة من التفاعلات أسماها؛ مجموعة من الانعكاسات والملاحظات، المتزامنة والضرورية لكل تعايش اجتماعي، يستعمل فيها الفرد مجموعة من الخبرات الذاتية حول شخصه، يدركها نفسيا ويستمد جزء كبير منها من المجتمع، هذه الخبرات تطبعه في النهاية بشكل تجعله معرف بشكل معين ومتفق بشأنه وله شيء من الثبات في الزمن[4].

---

[1]- بيتر كونسن، **مرجع سابق**، ص ص 10، 11.

[2]- كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان (تحرير)، **الهوية والهويات: الفرد- الزمرة- المجتمع**، ترجمة: إياس حسن، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2010، ص 19.

[3]- بيتر كونسن، **مرجع سابق**، ص ص 54،55.

[4]- نفس المرجع، ص 94.

وقد وضع إركسون عدة تعريفات للهوية في خضم اهتمامه بنمو الأنا، الذي يعتبر وظيفته الأساسية في الحالة السوية هي الشعور بالهوية وتحقيقها. ومن هذه التعاريف نجد:

" هوية الأنا هي إدراك الحقيقة بأن هناك تماثل ذاتي self sameness واستمرارية continuity في طريق الأنا التكاملية، وفي نمط الفردية الشخصية، وأن هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرارية للمعنى الشخصي كما يدركه الآخرين الذين يمثلون أهمية في الوسط الاجتماعي لهذا الفرد[1] ".

رابعا ـ المقاربات الأنثروبولوجية في دراسة الهوية:

1- التوجيهات الإثنية:

لا يختلف الأمر في الأنثروبولوجيا عنه في علم الاجتماع حيث لم يعثر على مصطلح "هوية" في الكتابات الأولى للآباء المؤسسين للأنثروبولوجيا[2]، عكس بعض المصطلحات التي جعلت منها الأنثروبولوجيا موضوعها الأساسي كالقرابة، القبيلة، العرق والثقافة... إلا أن العديد من هذه المواضيع التي تعالجها الأنثروبولوجيا ترتبط بشكل كبير بموضوع الهوية ضمن مجالات بحثها الأساسية وبشكل مباشر مع نهاية الخمسينيات من القرن الماضي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي سياق برزت فيه الحركات التحررية، وحركات مناهضة التمييز العنصري، والمسائل المرتبطة بالأقليات الإثنية. حيث شكلت الإثنية في حد ذاتها وفي شكلها أو معناها الثقافي مرجعية لموضوع الهوية في الدراسات الأنثروبولوجية عند أنصار التيار البنيوي الوظيفي، مع الإشارة إلى أن الجماعة الإثنية ذات طبيعة بيولوجية[3]. فالعرق مصطلح يرتبط استخدامه الأكثر شيوعا غالبا وتلقائيا بأساس بيولوجي تمثيلاته وراثية تصف روابط الأسلاف بين الأنساب البشرية على أساس الدم أو التحيز للون البشرة أو المظاهر الجسدية الوراثية[4]. وأمام صعوبة تحديد الأمم نفسها من قبل تتبع روابط السكان الأصليين لعدة أجيال وبروز تفسيرات أخرى للانتماء على أساس الروابط الاجتماعية والصلات الثقافية والحضارية، فتح المجال للنقاش حول الكيفية التي يمكن من خلالها قراءة موضوع الهوية وأسس الانتماء في مختلف التيارات الأنثروبولوجية؟ وكيف يتشكل هذا الموضوع

---

[1]- محمد السيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 14.

[2]- ماثيو أنجيلكه، **كيف تفكر كأنثروبولوجي**، ترجمة: عومرية سلطاني، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2020، ص 167.

[3]- بيار بونت وميشال إيزار، مرجع سابق، ص 990.

[4] - Jean-Luc Bonniol, Élodie Edwards-Grossi et Simeng Wang, **Introduction au dossier « Race et biologie**, Cahiers de l'Urmis [En ligne], 20 | juin 2021, mis en ligne le 29 juin 2021, consulté le 01 juillet 2021. URL : http://journals.openedition.org/urmis/2278 ; DOI : https://doi.org/10.4000/urmis. 2278.p1.

في ثنايا الاهتمامات الأنثروبولوجية بشكل عام، وفي ظل العولمة والمجتمعات الرقمية التي أفرزتها الفضاءات الرقمية بشكل خاص؟

2- التطور الاجتماعي وأسس الانتماء الأولية:

مع انطلاقتها الأولى وهي تكتشف الآخر الموسوم بالبدائي اكتشفت الإثنوغرافيا في بادئ الأمر اختلافا وتباينا في البنية الجسدية بين أفراد مختلف المجتمعات البشرية[1] التي اهتمت بدراستها والمجتمعات الأوربية التي ينتمي إليها الباحثين، كانت الأسئلة حينها تدور حول تلك الاختلافات التي ترجع في منشئها إلى الروابط البيولوجية المتوارثة، وهو ما جعل من القرابة، روابط الدم، العائلة والروابط الوراثية الفرضيات الأساسية التي تدور في فلكها جميع التفسيرات، بما فيها مسألة الانتماء والتشابه وتفسيرها ضمن سلالات النشوء والارتقاء، مستلهمة بذلك مفاهيم النظرية التطورية. ويذكر أن ابن خلدون قبل ذلك قد شدد على الدور الهام للقرابة في الحدود وتأسيس روح التضامن عند الجماعة وأسس العصبية، قبل أن يطرح الأمر عند إميل دوركهايم وتابعيه من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا[2].

في هذا السياق تشكلت أول مقاربة رئيسية في الأنثرولوجيا، ويتعلق الأمر بالمقاربة التطورية الاجتماعية التي استلهمت من نظرية تشارلز داروين Charles Darwin (1809- 1882م) في التطور البيولوجي مبادئها الأولية، يذكر أن التطورية كانت في أواخر القرن التاسع عشر لغة العلم التي يحاول الجميع الاستعارة منها لما قدمته من موضوعية ضمن المنهج التجريبي بعيدا عن التأملات الفلسفية، فكانت أعمال الأمريكي لويس هنري مورغان Lewis Henry Morgan (1818- 1881م) والبريطاني إدوارد بيرنيت تايلور Edward Burnett Tylor (1832- 1917م) وقبلهم البريطاني هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820- 1903م) تشدد على المساواة بين التاريخ الطبيعي والاجتماعي، لأن نظرتهم تقتضي أن شجرة الحياة الداروينية تمكننا من فهم وتصنيف المجتمعات ثقافيا من خلال دراسة نظم القرابة وأشكال التنظيم السياسي والديني ومختلف المنجزات والمقتنيات المادية والتقنية[3]، وهو ما مكن للأنثروبولوجيا في تلك الحقبة من تقديم كم هائل من البيانات المونوغرافية في وصف الشعوب التي أطلقوا عليها اسم الشعوب البدائية، ثم السكان الأصليين فيما بعد. في هذا الإطار تندرج أعمال الاتجاه البيو- ثقافي الذي يجعل من وظيفة الأنثروبولوجيا الأساسية دراسة الإنسان في سياق الاتجاه التطوري الذي يرى أن الإنسان يحاول التعبير عن أنماطه السلوكية في صورة تلك المنتجات الثقافية التي ترتبط بشكل مباشر بالبيئة الطبيعية وما

---

[1]- بيار بونت (وآخرون)، **معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 'مجد'، بيروت، لبنان، 2006، ص 888.

[2]- توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، الطبعة الأولى، ترجمة لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص 15.

[3]- ماثيو أنجيلكه، **مرجع سابق**، ص ص 42، 43.

تمنحه من إمكانيات، وإن كان خلص إلى أهمية معرفة القدرة على الابتكار والتراكم الثقافي فإن بداية هذا الاتجاه كانت بدراسة السمات المورفولوجية[1].

2-1- لويس هنري مورغان:

ضمن هذه المقاربة تندرج أعمال لويس هنري مورغان حول القرابة، حيث اكتشف أن النسق القرابي عند "قبيلة الآركواز"، التي اتخذها نموذجا للدراسة يتشابه ويختلف مع غيرهم من القبائل، مما جعله يعتمد طريقة الدراسة المقارنة كنهج أساسي في الدراسات الأنثروبولوجية، خلص فيها إلى نتائج حول العائلة البشرية نشرها سنة 1870م في كتابه الموسوم بـ "أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية" متخذا من موضوع القرابة كموضوع الاهتمام الرئيسي للأنثروبولوجيا[2]، أي الموضوع الذي تندرج ضمنه جميع المسائل المتعلقة بهذا الحقل، ومنه كل الدراسات التي تهتم بالإنسان، وهو النهج الذي واصل البحث فيه العديد من الأنثروبولوجيين ودمغ الأنثروبولوجيا بدراسته كموضوع أساسي لا تنفك جميع المسائل أن تدور في فلكه بما فيها دراسة مجالات الهوية وأسس الانتماء.

يؤكد مورغان كأمثاله من التطوريين على الوحدة النفسية والعقلية لجميع البشر من حيث امتلاكهم جميعا لنفس القدرات الكامنة للنشوء والارتقاء في سلم الحضارة، التي يضع لها ثلاث مراحل كبرى، أسماها المراحل الرئيسية للتطور الثقافي أو الحضاري حسب معايير أساسها تقني في أغلب الأحيان، فالبشرية حسب مورغان دائما ما تنتقل من الهمجية التي ترتبط الحياة فيها بالصيد وجمع الثمار، إلى البربرية القائمة على الزراعة والرعي ثم المدنية أين تتشكل الدولة ويعرف الانسان الظاهرة الحضرية التي نعيشها الآن، وما المجتمعات البدائية إلى مرحلة سابقة عن المجتمعات المتحضرة المعروفة اليوم، وما يميز هذه عن تلك هو استعمال مجموعة من المواد والوسائل التقنية التي تعمل الدراسات الأنثروبولوجية على تحديدها لاكتشاف مدى تطور مجتمع عن غيره (الفخار مثلا)، هذا التطور الذي شكل في مرحلة ما من حياة مورغان العلمية والعملية هاجسا من شأنه أن يقضي على تراث المجتمعات الأقل تطور وهو ما برز من خلال إلحاحه على ضرورة تسجيل تراث الآركواز والسكان الأصليين في أمريكا المهدد نتيجة للتدفق الأوروبي في إطار ما يسمى الأنثروبولوجيا الملحة التي تعمل على تسجيل التراث المهدد للمجتمعات المحلية[3].

---

[1]- محمد عباس إبراهيم، **الثقافات الفرعية: دراسة أنثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الإسكندرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005، ص 278.

[2]- توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **مرجع سابق**، ص ص 36، 37.

[3]- نفس المرجع، ص 36.

عمل لويس مورغان إذا في إطار النظرية التطورية أو نظرية النشوء على فهم التاريخ البشري، من خلال رده أولا إلى العائلة من خلال تأسيسه لدراسة نظام القرابة كموضوع أساسي للأنثروبولوجيا وفي هذا الإطار وجد أن الأنساق القرابية تتمايز إلى نسقين؛ النسق الوصفي الذي تعرفه العائلة في وقتنا الراهن من حيث تفريقها بين خطي القرابة الصاعد والنازل، والنسق التصنيفي الذي اكتشفه عند سكان الآركواز والذي لا يفرق بين خطي القرابة، وتحليل هذا على ضوء التطور والمسألة الهوياتية يأخذنا إلى القول أن المجتمعات تتخلص من النسق التصنيفي لصالح الوصفي كلما ارتقت في سلم التطور الاجتماعي هذا الأخير الذي يمر حسب مورغان عبر ثلاث مراحل تحدد هويات المجتمعات؛ مجتمعات همجية، مجتمعات بربرية ومجتمعات مدنية. ما يحدد الهوية والانتماء لأي مرحلة من هذه المراحل هو مجموع الوسائل التقنية المستخدمة، نمط العيش والإنتاج ونظام القرابة. وهو ما جعل أعمال مورغان وبشكل خاص أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية (1870م) تستمر في أعمال أكثر تأثيرا كأعمال كارل ماركس Karl Marx (1818- 1883م) وفردريك إنجلز Friedrich Engels (1820- 1895م)، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، الصادر سنة 1884م.

2- 2- تايلور، إدوارد بورنيت (1832- 1917):

مزامنة مع ظهور أعمال لويس مورغان وعلى نفس الخط الافتتاحي برز تايلور، إدوارد بورنيت (1832- 1917م) كمدافع آخر لصالح التطورية الثقافية، حيث وضع في كتابة "الثقافة البدائية" (1971م) أشهر تعريف للثقافة، وهو التعريف الذي لايزال معتمدا حتى يومنا هذا كأشمل تعريف للثقافة، وهي المسألة التي اهتم بها بشكل أساسي، فكتبه تحتوي على وصف شامل للأعراف والتقنيات والعقائد السائدة في ثقافات مختلفة وكيف تغيرت بإرجاعها إلى التطور[1]، مع اهتمامه بالبحث في "البقاء الثقافي"، وهي السمات الثقافية التي فقدت وظائفها الأساسية لكنها استمرت في البقاء كممارسات لا وظيفة واضحة ومفهومة لها، وهو ما اعتبره دليل على أن المجتمع تطور من مجتمع بدائي، أي أن العلاقة بين المجتمعات الحديثة والبدائية هي علاقة ارتقائية.

يعود الفضل إلى تايلور في تركيز اهتمام الأنثروبولوجيا على مفهوم الثقافة والمسائل المرتبطة بها وجعلها موضوع أساسيا من مواضيع البحث الأنثروبولوجي، فالتطور الإنساني حسب تايلور يعاد بناؤه من خلال دراسة السمات الثقافية التي استخدم المقارنة بين كل سمة بعد عزلها عن النسق الاجتماعي التي تنتمي إليه[2].

---

[1]- أجنر فوج، **الانتخاب الثقافي**، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص 20.

[2]- ماثيو أنجيلكه، **كيف تفكر كأنثروبولوجي**، ترجمة عومرية سلطاني، الطبعة الاولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2020، ص ص 44.

بالرجوع إلى الدراسات الأنثروبولوجية المهتمة بالثقافة نجدها تعالج بشكل مركز موضوع الهوية كون المقاربات الأنثروبولوجية يرتبط فيها مفهوم الهوية بشكل وثيق بمفهوم الثقافة حتى أنهما يشيران إلى نفس الشيء من زاويتين مختلفتين عند الكثير من المهتمين بكلى الموضوعين الهوية والثقافة[1]، فنحن نتحدث عن ثقافة تتجسد في هوية، وهوية تُجسد تلك الثقافة. من جهة أخرى وحسب كلايد كلوكون Clyde Kluckhohn (1905- 1960م) الثقافة هي؛ الميراث الاجتماعي الذي يكتسبه الفرد من جماعته، وهي الطريقة التي يتصرف بها شعب ما، والطريقة الكلية لحياته، ومخزن المعارف المشتركة، وهي السلوك المكتسب[2]، وهي بذلك أسلوب أو طريقة لحياة الأفراد في جماعة معينة تتحدد من خلالها هويتهم بالرجوع إلى ما يميزهم كجماعة عن غيرها من الجماعات[3]، وفي هذا ما يرمي إلى التشابه والثبات بين أفراد الثقافة الواحدة –وهو ما يقودنا إلى تيار الثقافة والشخصية- من جهة والاختلاف عن غيرهم من الأفراد والجماعات من الثقافات الأخرى – هنا إشارة إلى النسبية الثقافية - وهو موضوع الهوية بشكل مباشر.

افترضت التطورية إذا بزعامة روادها الأوائل أمثال مورغان وتايلور أن جميع الشعوب تمر بنفس التسلسل للوصول إلى قمة التطور الذي افترضت أن الحضارة الغربية تمثله مدفوعا بالتقدم التكنولوجي والاقتصادي، متجاهلة بذلك التعقيدات والقيم الخاصة بالثقافات غير الغربية كأحد أهم الانتقادات الموجهة لهم، فقد يكون لشعوب متواضعة تقنيا نظاما اجتماعيا جد متطور. وهو ما شكل نقطة فاصلة عند بعض الأنثروبولوجيين، بما فيهم بعض التطوريين، وحجةً للانقلاب على مبادئ النظرية التطورية، والبحث في اتجاهات تفسيرية أخرى لانتقال السمات الثقافية وانتشارها وبناء الهويات الثقافية والاجتماعية، وإن كان هذا لا يعني التخلص من كل ما قدمت النظرية التطورية التي أسست لظهور دراسات أنثروبولوجية جد مهمة أسست لدراسة الثقافة كموضوع أساسي للأنثروبولوجيا، ودور العوامل المادية في تشكيل مختلف الكيانات بما فيها الهويات، وهو ما يدفعنا في إطار هذه النظرية التساؤل كيف للهويات الافتراضية ان تتطور من شكلها الأول البسيط إلى تمثيلات تزداد تعقيدا يوما بعد يوم تحت تأثير عوامل منها التكنولوجي إن لم يكن على رأسها، وما تأثير الفجوة الرقمية، تقنياً وبشرياً على ذلك؟

من جهة أخرى يمكننا أن نجد بعض المفاهيم الأساسية للتطورية لا تزال تتداول في الأبحاث الأنثروبولوجية المعاصرة المهتمة بالمسألة الرقمية، على سبيل المثال الباحثة جنيفر سيرنز Jennifer Cearns من المعهد الملكي للأنثروبولوجيا وجامعة لندن، ناقشت موضوع؛ "القرابة كرمز توليد الشخصية

---

[1]- دنيس كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة: منير السعيداني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007، ص 13.

[2]- كيلفورد غيرتز، **تأويل الثقافات؛ مقالات مختارة**، ترجمة: محمد بدوي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص 81.

[3]- طوني بينيت (وآخرون)، مرجع سابق، ص 233.

والحياة الآخرة من خلال الذكاء الاصطناعي[1]"، في مركز الأنثروبولوجيا الرقمية بلندن والذي لا يزال يضم قسم الأنثروبولوجيا التطورية والبيئية، كما أنها تشتغل على موضوع؛ "المادية والثقافة الرقمية والبناء الثقافي للحدود الجيوسياسية والرأسمالية[2]". ويمكننا في سياق دراستنا الاستفادة من المفاهيم التي اشتغلوا عليها بالبحث في الكيفيات التي تطورت وفقها الهويات الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي، من صفحات صغيرة خالية من أي ملمح هوياتي إلى صفحات قد تجمع بين منشوراتها مختلف المعالم والأبعاد المكونة للهوية الثقافية للأفراد والجماعات، والكيف التي تجسد بها الصراع الهوياتي من أجل البقاء، والكيفية التي تبرز بها ذلك.

3 – الانتشارية والنسبية الثقافية:

مع استقرار البحث في الثقافة كموضوع أساسي للأنثروبولوجيا وبداية تصدع النهج التطوري مع نهاية القرن التاسع عشر بدأ البحث في ثقافة الشعوب البعيدة حول السمات الثقافية المتفرعة والمنتشرة من ثقافة أصلية واحدة، وكان هذا هو أساس فكرة الانتشار الثقافي.

يقودنا البحث في الانتشارية إلى أفكار العديد من الباحثين الألمان أمثال ليوبولد فون شرودر (1851-1920) Leopold Von Schroeder الذين حاول إثبات وجود صلة بين الثقافة الألمانية من العصر الهند-جرماني إلى العصر الحديث[3]، وأدولف باستيان Adolf Bastian (1826- 1905) صاحب كتاب "الإنسان في التاريخ (1860)"، الذي بدأ في تدريس النظرية التطورية الخاصة به بناء على افتراض الوحدة النفسية للبشر، متسائلا حول أصل الأفكار الأولية مع التركيز على تأثير العوامل الجغرافية والمناخية على التقدم الثقافي، كما أنه لم يستبعد تأثير الاتصال بين الشعوب المختلفة على مسارها التطوري، مع رفضه لتتابع التطور الخطي الذي يمليه الصراع من اجل البقاء[4]. أي مع رفض مبادئ التطور والتأسيس لنظرية تقوم على جملة من المبادئ الخاصة، على رأسها المبدأ القائل أن لجميع الثقافات أصل مشترك واحد انتشرت منه، وأن التفاعل والاتصال بين الثقافات هو مصدر التطور الحضاري.

من جهة أخرى نجد أعمال كل من ألفريد هادون Alfred Cort Haddon (1855- 1940م)، وليام ريفرز William Halse (1864- 1922م) و تشارلز سليجمان Charles Gabriel Seligman

---

[1]- موقع مركز الأنثروبولوجيا الرقمية، جامعة كوليج لندن، على الرابط: https://www.ucl.ac.uk/anthropology/research/centre-digital-anthropology آخر مشاهدة بتاريخ: 2024/10/25. 16:35

[2] - Jennifer Cearns, Digital Anthropologist, In: https://www.jennifercearns.com/anthropology. 25 oct. 24, 16:46.

[3]- Schroedor, L,V. **Osterreichisches Biographisches Lexikon**. Austrian Centre for Digital Humanites and Cultural Heritage. In: https://www.biographien.ac.at/oebl/oebl_S/Schroeder_Leopold_1851_1920.xml .25.Oct.2024, 17:05

[4]- Reinhard Johler, Christian Marchetti, Monique Scheer (eds.), **Doing Anthropology in Wartime and War Zones :World War I and the Cultural Sciences in Europe**, transcript Verlag, Bielefeld, 2010. P 75.

(1873- 1940م) خلال بعثة توريس، التي نظمتها جامعة كمبردج ابتداء من سنة 1898م إلى مضيق توريس بين أستراليا وغينيا الجديدة، والتي تظهر خليطا ثقافيا بين سكان المنطقتين، أين لاحظوا العديد من العناصر الثقافية المشتركة بين السكان الأصليين للمناطق المتجاورة مما دعم فرضيتهم حول انتشار الثقافات من مصادر أصلية، وقد تناولت البعثة مختلف الجوانب الثقافية والممارسات والمعتقدات التي مست كل مناحي الحياة مما ساعدهم على فهم عمليات الانتشار الثقافي[1].

3- 1- إسهامات فرانز بواس (1855- 1942م):

في الولايات المتحدة الأمريكية حمل لواء الانتشارية مبكرا الجغرافي التكوين فرانز بواس Franz Boas (1855- 1942م) انطلاقا من نقده اللاذع للتطورية[2]، بدء بنقد التطور الخطي للثقافات البشرية، والتي ترى أن جميع الثقافات تمر بنفس المراحل المتسلسلة من البدائي إلى المتحضر. اقترح بواز بدل ذلك أنها تسير وفق مبدأ الخصوصية التاريخية الذي يقتضي أن لكل ثقافة مسارها التاريخي الخاص، وهو ما يمنح تعددية الممارسات الثقافية في العالم قيمة جوهرية لا يمكن تقويضها أو القضاء عليها وأن أي محاولة لذلك هي من الأمور الغير ممكنة[3]، وأن مهمة الأنثروبولوجي هي إيجاد علاقات أو صلات بين الثقافات المختلفة من جانب التاريخ والجغرافيا وهي الفكرة التي طرحها ودافع عنها في العديد من أعماله وهو ما جعله يقترح مجموعات المناطق الثقافية التي تجمع أنماط ثقافية متشابهة قادته بعدها إلى الخرائط الجغرافية للانتشار وهي خرائط جغرافية لتتبع انتشار المظاهر الثقافية المختلفة. حيث تستمد كل ثقافة خصائصها الرئيسية من الثقافات الأخرى المجاورة لها من خلال الاتصال والانتقال الثقافي، ومنه فإن انتشار العناصر الثقافية لا تنشأ بشكل مستقل بل تنتشر جغرافياً من مراكز أصلية معينة. وهو ما يجعل من الاتصال والهجرة المحرك الرئيسي لانتقال وانتشار الثقافات بين المجتمعات أساسا لتفسير الاختلاف الثقافي بين الشعوب.

ويعتبر فرانز بواس أب الأنثروبولوجيا الأمريكية أستاذا ومكونا للجيل اللاحق من الأنثروبولوجيين الأمريكيين البارزين الدين اشتغلوا تحت إدارته في مجال البحث الأنثروبولوجي أمثال؛ ألفريد كروبر، روبرت لوي، إدوارد سابير، مارغريت ميد وروث بنديكت... مما مكنه من جمع مادة إثنوغرافية جد غزيرة

---

[1] - Torres Strait Islands and Papua New Ginea, 1898, Collection overview, Research by Vicky Barnecutt and Rebekah Hayes, British Library, with Don Niles, IPNGS, and Grace Koch, AIATSIS. https://www.true-echoes.com/1898-torres-strait-and-new-guinea/ ,13Aout2024. 14:25.

[2]- يمكن الرجوع إلى المقال الذي نشره فارنس بواز سنة 1896 تحت عنوان:

-Franz Boas, **The Limitations of the Comparative Method of Anthropology**, Science, vol. 4, no. 130.

[3]- توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، الطبعة الأولى، ترجمة لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص 66.

تهتم في الأساس باللغويات وعلم الآثار والثقافة الشيء الذي قاده إلى استنتاج أن لكل مجتمع ثقافة تفهم على أساس تاريخه الخاص إضافة إلى الخصائص الجغرافية لكل منطقة، وتبني فكرة النسبية الثقافية[1].

وبهذا يكون فرانز بواس قد وضع الأنثروبولوجيا على سكة البحث المنهجي باستعماله المنهجية العلمية لفهم الحضارات الإنسانية كما يرى كيلفورد غيرتز[2] من خلال الانتقادات التي قدمها للمنهج المقارن التقليدي في الأنثروبولوجيا وإلحاحه على ضرورة تطويره وجهوده في سبيل توضيح الفوارق بين المفاهيم البيولوجية والثقافية للعرق. في كتابه؛ العرق، اللغة والثقافة (1940) (Race, Language, and Culture)، قدم تفنيد للآراء الشائعة حول ارتباط اللغة بالعرق أو الثقافة، كما عمل على إثبات أن اللغات البدائية معقدة وغنية مثل أي لغة أخرى ونادى بالتحليل التاريخي للتنوع اللغوي والتطور الثقافي للشعوب. كما كان له الفضل من خلال أفكار الانتشار والنسبية الثقافية في الإقرار بتعدد الثقافات، تنوعها ونسبيتها. ونقد النظريات العنصرية والتحيز العرقي والثقافي وأسطورة تفوق الحضارة الغربية. وهو ما يستدعي احترام كل الثقافات وعدم الحكم عليها وتصنيفها بين بدائية ومتحضرة، فلكل ثقافة مظهرا يتماشى مع المشكلات المطروحة في الزمان والمكان الذي جاءت فيه[3]، وفي ذلك دعوة إلى احترام تنوع الشعوب ثقافيا ودراستها في سياقاتها الزمانية والمكانية. وهو ما دعا إليه في كتابه "الأنثروبولوجيا والحياة الحديثة" (1928م) Anthropology and Modern Lif من خلال الحاجة إلى فهم أفضل للتنوع الثقافي والعادات المختلفة في كل المجتمعات، فحتى المجتمعات التقليدية لديها أنظمة معرفية وفلسفية راسخة والتقدم التكنولوجي لا يعني تفوقًا عقليًا حضاريًا لأن القدرات العقلية الأساسية متشابهة لدى جميع البشر.

بشكل عام كان لأفكار بواس وأعماله تأثيرا كبيرا على تطور حقل الأنثروبولوجيا وطريقة دراسة وفهم الثقافات المختلفة والتحول نحو نهج أنثروبولوجي أكثر تنويرًا وموضوعية خلال القرن العشرين، كما عمل على دراسة تأثير الحضارة الصناعية والتكنولوجيا على الثقافات والمجتمعات التقليدية مع التأكيد على التأثيرات البيئية والثقافية في تحديد السلوك البشري. لقد ساهم بشكل كبير في نقد النظريات العرقية المتحيزة وتوسيع الاهتمام بدراسة التنوع الثقافي ودفع بطلبته إلى التفكير وفق أطر معرفية أوسع مما جعلهم يضعون أسس تيار الثقافة والشخصية.

---

[1] - Raymond Scupin, **Culture: the use and abuse of an anthropological concept**, In Frisby, - Craig L. and William T. O'Donohue, **Cultural Competence in Applied Psychology: An Evaluation of Current Status and Future Directions**. Cham, Switzerland: Springer Nature. (Chapter 11, pp. 243-268), p. 252. (Eds.) 2018.

[2]- كيلفورد غيرتز، **تأويل الثقافات؛ مقالات مختارة**، ترجمة: محمد بدوي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص ص 33، 34.

[3]- عند الغني عماد، **سوسيولوجيا الهوية**: جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء، ص ص 65, 66.

3- 2- الإسهامات الحديثة للانتشارية في موضوع البحث:

يذكر أن التيار الانتشاري لا يزال يحتل مكانة مرموقة في المجامع العلمية العالمية، على غرار معهد الثقافة والمجتمع بجامعة ويسترن سيدني بأستراليا، حيث يبحث هذا المعهد في التحولات الثقافية والاجتماعية في سياق التغيرات العالمية المعاصرة، ويدعم المركز البحوث التعاونية في العلوم الانسانية والاجتماعية من أجل عصر رقمي آخذ في العولمة. حيث نسجل في هذا سياق على سبيل المثال بحث "الحدود والتنوع" Borders and diversity وهو بحث اجتماعي نقدي حول التنوع الثقافي المعاصر، وبحث "البنية التحتية الثقافية" Cultural Infrastructures الذي يسعى إلى تطبيق تقنيات رسم الخرائط الثقافية لتفسير تراث المهاجرين ودراسة صنع التراث من قبل المهاجرين الجدد من الصين والهند في باراماتا، كما تستكشف أعمال المشاركة المدنية بين المجتمعات الثقافية المتنوعة[1].

أما فيما يتعلق بموضوع بحثنا فيمكن الإشارة إلى أعمال البروفيسور دانيال ميلر Daniel Miller وهو أنثروبولوجي بريطاني، يعتبر أحد أبرز الباحثين في مجال دراسة تأثير التكنولوجيا والأنترنت على مختلف الثقافات والمجتمعات. تميز بنهجه الإثنوغرافي المكثف في دراسة الرقميات وتأثيراتها على الحياة اليومية لمختلف المجتمعات البشرية. كما ركز على تتبع الاستخدامات المادية والاجتماعية لهذه التقنيات عبر الثقافات لفهم علاقة الإنسان بالتكنولوجيات الجديدة.

من أبرز أعماله في مجال الرقميات؛ دراسة بعنوان "وسائل التواصل الاجتماعي في قرية إنجليزية (2016)، (Social Media in an English Village) وهي دراسة إثنوغرافية حول كيفية استخدام سكان قرية إنجليزية لوسائل التواصل الاجتماعي، يكشف من خلالها ميلر الاستخدامات المحلية لوسائل الاتصال الرقمية وما تقدمه من الفرص والتحديات بين ما هو عام وما هو خاص.

كيف غير العالم وسائل التواصل الاجتماعي (2016) How the World Changed Social Media، هو مؤلف جماعي يقدم تحليلا مقارنا لتأثير وسائل التواصل الاجتماعي على السياسة والجنس والتعليم والتجارة... ويتساءل عن نتيجة التركيز المتزايد على التواصل البصري، ويضع فرضيات تمكن الباحثين من اكتشاف كيف يمكن لأفراد مختلف المجتمعات عبر العالم من تحويل وسائل التواصل الاجتماعي بطرق غير متوقعة[2].

انطلاقا من الأفكار المؤسسة للانتشار الثقافي، النسبية والخصوصية التاريخية والأعمال التي تشتغل في نفس سياق موضوعنا، والتي استفادت من تلك الأسس والنتائج المحصلة، يمكن القول ان أفكار التيار

[1]-Western Sydney University, ICS, Research Programme, https://www.westernsydney.edu.au/ics/research/research_programs . 18 Aout 2024. 01:15.
[2]- UCL, UCL Anthropology, https://www.ucl.ac.uk/anthropology/people/academic-and-teaching-staff/daniel-miller , 18Aout 2024. 14:45.

الانتشاري بالإضافة إلى مساهمتها الفعالة في التأسيس لتقاليد البحث الأنثروبولوجي الشامل الذي ساهم في تأسيس التيارات الفكرية التي تأتي بعدها على غرار "الثقافة والشخصية"، فقد ساهمت في إثراء المقاربة الأنثروبولوجية لدراسة موضوع الهوية بصفة عامة وبعدها الهوية الافتراضية على النحو التالي؛

- الاستفادة من مفهوم النسبية الثقافية في دراستنا لكيفية تشكل الهويات الافتراضية وفقًا للخلفيات الثقافية المختلفة للمستخدمين، وهذا يدعم الطرح القائلة بتشكل الهويات الافتراضية في سياق يحترم الهوية الثقافية الأصلية التي ينتمي إليها صاحب الهوية الافتراضية. ومنه إمكانية اختلاف هذه الهويات باختلاف المناطق أو الخلفيات الاجتماعية والثقافية.
- دراسة تنوع الهويات الافتراضية على خلفية الإقرار بتعدد الثقافات يكون انعكاسا لهذا التنوع ولا يعتبر بالضرورة انتقاصا من قيمة أيا من هذه الثقافات التي يمكن أن تمثل الهوية الافتراضية لأفرادها تحديا للعنصرية، وللمركزية الغربية من خلال إبرازها للخصوصية الثقافية لمجتمعاتها، وإبراز صورة تعكس تلك الثقافة من منظور أصحابها، والابتعاد عن الصور النمطية للمجتمعات المحلية، وهو ما يدعم الرأي القائل بوقوف هذه الهويات كبؤر مقاومة في وجه تيار العولمة الثقافية.
- إبراز كيف أن هذه الهويات تعكس السياقات التاريخية، الاجتماعية والثقافية للمجتمعات التي ينتمي إليها أصحابها، فتبرز بذلك مبدأ الخصوصية التاريخية للثقافة، وهو ما يوافق الفكرة القائلة أن المنخرط في هذا الفضاء الافتراضي يحمل خصوصية أو رأس مال ثقافي، يستند عليه في خضم الممارسات الواقعية والافتراضية.
- هذا الفضاء بوصفه فضاءً للتواصل والاتصال فهو يعكس انتشار مختلف الأنماط الثقافية عبر الهويات بين المستخدمين، ويكشف عن العناصر الثقافية المتداولة في شكلها المادي والرمزي.
- بشكل عام يمكن استخدام هذا الإطار النظري لفهم تجليات الهويات الافتراضية وديناميكيتها في سياق ثقافة المجتمع عن طريق النشر والتفاعل على صفحات وجدران الفيس بوك.

4 – الدراسات الثقافية والشخصية الأساسية:

4-1- العلاقة بين شخصية الفرد وثقافة المجتمع:

كان لفرانز بواس أثر بالغ في التطور العلمي للنهج الأنثروبولوجي من خلال اسهاماته في العمل الميداني من جهة، والأكاديمي من جهة أخرى. من خلال مرافقته وتوجيهه لجيل كامل من الطلبة الذين تمكنوا فيما بعد من تقديم نقدا بناء لأعماله، الشيء الذي مكنهم من مواصلتهم العمل في النهج الذي سطر أسسه، حتى أنه هو نفسه تراجع عن العديد من المواقف التي تبناها في بادئ الأمر.

من النقاط الهامة التي شكلت نقدا أساسيا لأفكار بواس الأولى على سبيل المثال أن اعتبار التركيز على العوامل البيئية الخارجية في توجيه السلوك البشري عاملا مهما في فهم الأنثروبولوجيا للتنوع الثقافي

الإنساني، إلا أنه يحمل في طياته إغفالا لدور الأفراد والجماعات في إحداث التغير. فالانتشار لا يحدث بصفة آلية نتيجة للاتصال الثقافي، ومنه فالعوامل الثقافية الوافدة لا تقبل ببساطة بل تقابلها مقاومة التغيير، وقد تقبلها أوساط اجتماعية معينة وترفضها أخرى، وحتى لو قبلت فقد تتعرض للمواءمة حتى تصبح توافق متطلباتهم الثقافية والاجتماعية[1] بما يتماشى والمعتقدات والقيم السائدة داخليا، ولا تقبل أو ترفض جملة وتفصيلا. كما أنها أغفلت بذلك التطور المحلي بإفراطها في التركيز على أن جميع التغيرات نتيجة دائما إلى الافراط في تمجيد العوامل الخارجية فقط.

من هذا المنطلق جاءت دراسة الشخصية كمتغير سيكولوجي أولي وموضوعا رئيسيا للدراسات الأنثروبولوجية[2] تحت تأثير مدرسة التحليل النفسي لسيغموند فرويد مع بداية القرن العشرين على يد طلبة فرانز بواس بشكل خاص أمثال مارغريت ميد، روث بنديكت، أبرام كاردينر ورالف لينتن Ralph Linton (1893- 1953م) وإن كان هذا الأخير ليس من تلامذة بواس. حيث شكل التركيز على العلاقة المتبادلة بين الثقافة وتشكل شخصية الفرد، والصراع حول طبيعتها، الاهتمام الأولي لتيار أنثروبولوجي ناشئ، ليتحول مع الوقت هذا الاهتمام إلى دراسة كيف تؤثر ثقافة المجتمع في تكوين شخصية الأفراد، وكيف تؤثر شخصيات الأفراد بدورها في تشكيل وبناء الثقافة انطلاقا من خلفيات سيكولوجية. وفي هذا السياق يرى إدوارد سابير Edward Sapir (1884- 1939م) أن فهم الجوانب والسمات الشخصية بشكل أعمق مطلبا ضروريا للفهم المتكامل للثقافة في مختلف جوانبها، مشيرا بذلك إلى الأسباب السيكولوجية المرتبطة بتفسير وفهم مختلف الأشكال الثقافية[3]، أو ما سيسمى لاحقا الأنماط الثقافية.

وفي نفس السياق ركزت كل من مارغريت ميد (1901- 1978م) وروث بنديكت (1887- 1948م) على العلاقة بين جملة من العوامل السيكولوجية، كالعواطف الخاصة والشخصية من جهة، ومجموع الظروف الثقافية كالتنشئة الاجتماعية والقيم... من جهة أخرى، وهي المواضيع التي لم تكن تطرح من قبل في الدراسات الأنثروبولوجية ولم يكن لها حيز ضمن الاهتمامات الأنثروبولوجية[4]، وفي نفس السياق دائما شددت كل من ميد وبنديكت على أهمية نماذج وتوجيهات الجماعة، وأكدتا على أن الفرد مطبوع كليا بثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه[5]، بشكل يتفق مع ما ذهب إليه إيميل دوركهايم في هذا الشأن، وهذا يدعونا إلى

---

[1] - فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس إبراهيم، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2016، ص 66.

[2]- محمد عباس إبراهيم، **الثقافات الفرعية: دراسة أنثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الإسكندرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005، ص 277.

[3]- نفس المرجع، ص 282.

[4]- - توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، الطبعة الأولى، ترجمة لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص 95.

[5]- بيار بونت (وآخرون)، **معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 'مجد'، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 428، 431.

الإقرار معهم أنه لا مجال للحديث عن ما هو فردي دون إدراجه ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية، فأغلب الناس كما أشار "رونان لو كواديك Ronan Le Coadic": " يتعرفون على أنفسهم بوصفهم ينتمون إلى ثقافات تتضمن مفهوم الشخص بصورة متنوعة[1]" أي أن الأفراد يكونون مفهوم هوياتهم كما هي متضمنة في المجتمع الذي ينتمون إليه، وأيضا يعرفونها من خلاله.

4-2- نشأة الاهتمام بشخصية الفرد في الأنثروبولوجيا:

في هذا الإطار الفكري واستنادا على أعمال ميدانية واسعة، ارتكز التنظير الأنثروبولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص انطلاقا من عشرينيات القرن الماضي مكثفا من جهوده لدعم هذا الطرح، متأثرا بأعمال سيغموند فرويد في التحليل النفسي وجهود فرانز بواس في الأنثروبولوجيا. ففتح هذا الطرح آفاقا جديدة لفهم العلاقات المعقدة بين الفرد، المجتمع والثقافة. وأثر بشكل كبير على تطور الأنثروبولوجيا من خلال اقتراح مفاهيم جديدة مثل الشخصية الأساسية، والأنماط الحضارية.

ويذهب مؤسسي هذا التيار إلى أن التنشئة الاجتماعية هي المسؤولة على تشكل أنماط الشخصية، حيث تعمل على تشكيل معتقدات الفرد وأفكاره وسلوكاته، مما يسمح له في النهاية ومن خلال هذه العملية بالاندماج، والعمل مع باقي أفراد المجتمع كأعضاء منتجين في المجتمع الذي يحتضنهم. كما أوضحوا أن اختلاف طرق التنشئة الاجتماعية وأسسها الثقافية يؤدي إلى إختلاف في أنماط الشخصية[2].

في هذا السياق نذكر العديد من الانثروبولوجيين، المدافعين على هذا الطرح والمؤسسين لهذا التيار، وعلى رأسهم:

4- 2- 1- روث بنديكت (1887- 1948م):

في كتابها "أنماط الثقافة" (1934م) الذي اعتمدت فيه على الأبعاد النفسية للأشخاص، قامت روث بنديكت بتحليل تأثير الثقافة على الشخصية والسلوك البشري. وأوضحت من خلال دراساتها الميدانية أن الأفراد من ثقافات مختلفة يفسرون الحياة بشكل مختلف، وأنه لا يمكن للمرء أن يحكم على ثقافة ما بأنها متفوقة على ثقافة أخرى، في هذا الصدد كان بواس يرفض المركزية العرقية ويرى أن الفرد يرى العالم من خلال نظرته الخاصة. كما أكدت على دور الثقافة التي تعمل على منح الأفراد أنماطا متماسكة من التفكير

[1]- كلود دوبار، **أزمة الهويات ـ تفسير تحول**، ترجمة: رندة بعث، الطبعة الأولى، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 2000، ص 58.

[2] - Petrinq Kelly (and all), **Culture and Personality**, The University of Alabama, In: ttps://anthropology.ua.edu/theory/culture-and-personality/ 15 Sept 2024, 20 :20.

والسلوك، كما أنها تؤثر عليهم نفسيا وتشكل سمات الشخصية الفردية وتؤدي إلى إظهار أعضاء الثقافة الواحدة سمات مماثلة مثل الميل إلى العدوان أو الهدوء على سبيل المثال[1].

من خلال أعمالها التي ساهمت في تطوير الأساليب العلمية للبحث الأنثروبولوجي في مجال الدراسات الثقافية، من خلال ربطها بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس، وهو الشيء الذي عمل على تطوير الأنثروبولوجيا النفسية فيما بعد، أسست روث بنديكت "نظرية أنماط الثقافة" التي يمكن تلخيصها في أن لكل ثقافة القدرة على تكوين نمط معين فريد من السلوكات والقيم عند أفرادها، هذه الأنماط تشكل القوام الثقافي، الذي يجمع عناصر مختلفة تعمل على تطوير تكامل داخلي بينها، هذا التكامل يؤثر على شخصية الأفراد المنتمين لهذه الثقافة، ولهذا فالقيم والسلوك يجب أن يفهم في السياق الثقافي الخاص بكل ثقافة، والذي يختلف عن باقي السياقات المشكلة لثقافة الشعوب الأخرى، وهو ما أدى ببنديكت إلى رفض المعايير الأخلاقية العالمية المطلقة وإنكار وجودها من أصله لنسبية الثقافة البشرية، ومنه ضرورة نقد النظرية الغربية المركزية حول الذات في فهم ثقافات الشعوب الأخرى غير الأوروبية، الشيء الذي يمكننا في الأخير من فهم مختلف الثقافات في سياق العلاقات الدولية أو العلاقات بين الشعوب.

4- 2- 2- مارغريت ميد (1901- 1978م):

لا تختلف مارغريت ميد كثيرا عن أستاذتها وزميلتها روث بنديكت في مسألة العلاقة بين الثقافة والتنشئة الاجتماعية، ودورها في تشكيل الشخصية الفردية، إلا أنها ركزت بشكل أكبر على دراسة تجارب المراهقة، والتحول من الطفولة إلى الشباب، حيث قدمت في كتابها؛ البلوغ في ساموا الذي نشر سنة (1928م) رؤى جديدة حول الكيفية التي تأثر بها الثقافة على خبرات المراهقة، وفي كتابها؛ النشأة والبلوغ في غينيا الجديدة الذي نشر سنة (1930م) حللت بدقة الدور المحوري للثقافة في تشكيل شخصية الطفل خلال مختلف مراحل النمو من الطفولة إلى البلوغ، لتوسع في دراستها؛ الجنس والمزاج في ثلاث مجتمعات بدائية، المنشور سنة (1935م) من نظرتها المستمدة من علم النفس وتأثير الثقافة على تشكيل الشخصية، وتغير المزاج بتغير السياقات الثقافية، بفهم التنوع الثقافي حول تصورات الجنس والنوع، مما زاد من يقينها بأن اختلاف الأنماط الشخصية داخل المجتمع نفسه أو في مجتمعات مختلفة ناتج في المقام الأول عن تمايز العمليات الثقافية.

وكخلاصة لأفكار ميد فهي تلح على ضرورة الاستعانة بفهم الجوانب النفسية عند دراستنا للثقافة، ويظهر ذلك جليا عند دراستها للشخصية القومية وتأثير الثقافة على الشخصية القومية النموذجية، حيث شكل

[1] - Laura Nader, **The history of Anthropological ideas**. In: Nina Brown, **perspectives: an open introduction to cultural anthropology**, 2eme ed, American Anthropological Association. ARLINGTON, 2020, P339.

الدور الذي تلعبه الثقافة في تنميط الشخصية محل اتفاق بين علماء هذا التيار الأنثروبولوجي، وإن كان الاختلاف سائدا حول موقف الفرد من ذلك، ودور العملية التربوية في كل هذا[1].

عملت ماغريت ميد، وروث بنديكت إذا على بناء نهج مختلف عما هو سائد في عصرهما في الأنثروبولوجيا البريطانية، التي كانت تركز على الجوانب الاجتماعية والسياسية، بينما كان تركيز ميد وبنديكت على العوامل السيكولوجية ومحاولة ربطها بالثقافة[2]. وهذا كان جزءا من تيار جديد ناشئ في الأنثروبولوجيا الأمريكية والمعروف بتيار الثقافة والشخصية، وهو تيار يعنى بفهم الكيفية التي تشكل بها الثقافة شخصية وسلوك الأفراد.

من جهة أخرى ساهمت كل منهما من خلال الدراسات المقارنة لمختلف الثقافات في دفع التفكير الأنثروبولوجي نحو إعادة النظر في الافتراضات القائمة حول مسألة الطبيعي والمكتسب في السلوك البشري، وإحداث العديد من التصدعات في الثقافة الغربية الراسخة القائمة على الإثنومركزية المهيمنة في ذلك الوقت. كما أن تركيزهما على العلاقة بين الثقافة والعوامل السيكولوجية والشخصية قدم نظرة وجيهة في فهم التنوع الإنساني في الجوانب الثقافية وساهم في فهم أعمق للطبيعة البشرية.

4- 2- 3- رالف لينتون وأبرام كاردينر:

تعتبر اسهامات كل من رالف لينتون وأبرام كادينر جوهرية في التأسيس الفعلي لنظرية الثقافة والشخصية. خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، من خلال العمل معا في الجلسات التي كان ينظمها أبرام كاردينر بداية من سنة 1936م. وهي السنة التي تصادف تأليف رالف لينتون لكتابه الأساسي "دراسة الإنسان"، يليه سنة 1939م تأليف كاردينر لكتاب الفرد والمجتمع، ليشتركا معا سنة 1945م في تأليف "الحدود العلمية والنفسية للمجتمع"، الذي اقترحا من خلاله نظرية تقر أنه في مرحلة الطفولة تتكون شخصية أساسية تجمع السمات النمطية التي تكون الطابع الاثنـي والوطنـي[3]، وقدما من خلاله مفهوم الشخصية الأساسية الذي يشير إلى مجمل السمات النفسية التي يشترك فيها أفراد الثقافة الواحدة، هذا المفهوم يعتبر جوهريا في فهم الكيفية التي تقوم من خلالها الثقافة بتشكيل هوية الفرد والجماعة. فأفراد المجتمع المشتركين في ثقافة واحدة يشتركون في البناء الأساسي للشخصية؛ وهو تلك السمات المشتركة للشخصية التي تعمل على التشكل في مراحل الطفولة المبكرة[4]، ومنه فكل ثقـافة تنتج نمطاً معيناً من الشخصية يجمع كل أفراد المجتمع. في الوقت الذي ركز فيه لينتون على دور الأنظمة الاجتماعية والثقافية في تكوين هوية الفرد، نجد

---

[1]- محمد عباس إبراهيم، **مرجع سابق**، ص 283.

[2]- توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **مرجع سابق**، ص 95.

[3]- بيار بونت (وآخرون)، **معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 'مجد'، بيروت، لبنان، 2006، ص 431.

[4]- يحيى خير الله عودة، **مدرسة الثقافة والشخصية، محاضرات نظام التعليم الإلكتروني**، الجامعة المستنصرية، العراق، قدمت يوم 2020/05/05. على:ttps://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/8/8_2021_11_14!11_34_57_AM.pdf، آخر معاينة بتاريخ: 15. 01. 2024. 10:45.

كاردينر يركز على البحث في الكيفية التي تشكل بها الممارسات الثقافية البنى السيكولوجية للأفراد. إلا أنهما يتفقان حول تقسيم المؤسسات إلى أولية كالأسرة التي تطلع إلى تربية الأطفال، والثانوية كالنظم الاقتصادية والدين والفن مثلا، ودورها في تشكيل شخصية الفرد. كما يتفقان حول التمييز بين المكانة الاجتماعية أو الوضع، والسلوك المتوقع ممن يشغل الوضع وهو الدور. من جهة أخرى لا تخلوا أعمالهما من التركيز على مفهوم النسبية الثقافية من خلال التركيز على ضرورة دراسة الثقافات وفهمها في سياقها الخاص، ودراسه عملية التغير الثقافي – التثاقف- كنتيجة للتواصل بين مختلف الثقافات.

بالإضافة إلى تطويرهما نظرية تربط بين أنماط الثقافة وتكوين الشخصية، عزز رالف لينتون وأبرام كاردينر التكامل بين؛ العلوم الاجتماعية –الأنثروبولوجيا- والعلوم السلوكية -علم النفس- من خلال استخدام نظريات التحليل النفسي والأنثروبولوجيا من أجل فهم العلاقة بين الشخصية والثقافة التي تنشأ فيها باستخدام المفاهيم التحليلية من جهة، والتقنيات الإسقاطية من جهة أخرى، مما دفع إلى تطوير أساليب دراسة "الثقافة والشخصية" ميدانيا.

هذه الإسهامات كان لها دورا كبيرا في تطوير فهم العلاقة المعقدة بين؛ "الثقافة والشخصية"، مما جعلها تستمر في التأثير على الدراسات الأنثروبولوجية والنفسية المعاصرة، ودلل الطريق نحو فهم أكثر عمقا للكيفية التي تشكل الهوية فردية كانت أو جماعية مع احترام التنوع الثقافي، بما في ذلك سياق دراسة الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي.

5- تأثير نظرية الثقافة والشخصية في الدراسات المهتمة بالهوية الافتراضية:

لاتزال الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة في أكبر المعاهد والجامعات تنهم من أفكار نظرية الثقافة والشخصية لا سيم في مجال البحث في الهوية عموما والهوية الافتراضية بشكل خاص، حيث قدم الأوائل من مؤسسي هذا التيار الإطار النظري الذي حدد العلاقة بين الشخصية والثقافة وبنى الأسس العلمية القوية لفهم كيف تتشكل الهوية في إطار الثقافة ومنه كيف تتشكل الهوية الافتراضية في سياقات شبكات التواصل الاجتماعي.

نلمس في العديد من الدراسات أن الأنثروبولوجيا تنزع حديثا إلى الاهتمام بدراسة الفضاءات الرقمية من خلال تطبيق المقاربة الإثنوغرافية الرقمية لفهم الظواهر الافتراضية المرافقة لرقمنه الحياة والعيش في الشبكات الافتراضية ضمن ما يسمى الحياة الافتراضية أو الرقمية أو الشبكية...، في هذا السياق نجد أعمال ' توم بويلستورف[1] 'Boellestorff, T الذي ساهم بوصفه أنثروبولوجي بتطوير المنهج الإثنوغرافي

[1]- توم بويلستورف Boellestorff,T أستاذ الأنثروبوولجيا في جامعة كاليفورنيا، ورئيس تحرير مجلة الأنثروبولوجيا الأمريكية، يهتم بالبحث في العوالم الافتراضية، الجنسانية، العولمة، القومية... يمكن التعرف أكثر على أعماله من خلال ملفه الرابط: https://scholar.google.com/citations?hl=en&user=uFsG9kcAAAAJ

وتطبيقه لفهم العوالم الافتراضية من خلال انغماسه الكامل في المجتمع المدروسة لمدة سنتين مع مشاركته في الأنشطة الافتراضية التي يقوم بها المبحوثين على شبكات التواصل الاجتماعي[1] مع تطبيقه للملاحظة بالمشاركة، وهو النهج الإثنوغرافي الذي عرفت به مارغريت ميد في دراستها بساموا بغينيا الجديدة، وروث بنديكت في دراساتها الميدانية بغرب أمريكا.

عمل كذلك توم بويلستورف في العديد من الدراسات والأبحاث على استعارة مفهوم الأنماط الثقافية من أعمال بنديكت وميد، مثلا في دراسته للحياة الثانية – الافتراضية- في؛ " بلوغ سن الرشد[2] في الحياة الثانية: رحلة أنثروبولوجي في استكشاف الانسان الافتراضي، سنة 2008" نلمس ذلك بشكل أساسي. وهذا لتحليل تشكيل الهوية الافتراضية وأسس التفاعل الاجتماعي في ظل الحياة الافتراضية، وفهم العلاقة بين التكنولوجيا والثقافة على خلفية فهم العلاقة بين البيئة والثقافة عند ميد وبنديكت، مع احترام مبدأ النسبية الثقافية عند الانتقال بين المجموعات الافتراضية محل الدراسة.

بالإضافة إلى ما سبق تمكن بويلستورف من خلال إقامته في ميدان الدراسة لأكثر من عامين أن يستكشف ويحلل كيف تتشكل العلاقات الاجتماعية في هذا الفضاء الافتراضي، مع تحديده لمفهوم الجماعة الافتراضية، الشخص الافتراضي، العلاقات الافتراضية... مستلهما العديد من المفاهيم القاعدية من رواد تيار الثقافة والشخصية وعلى رأسهم مارغريت ميد وروث بنديكت. وهو ما مكنه ومن خلال تطبيقه للمنهج الإثنوغرافي من تقديم رؤية جديدة عن كيفية تشكيل الهوية في الفضاءات الافتراضية. وبذلك يكون توم بويلستورف عمل على توسيع نطاق الدراسات والأبحاث الأنثروبولوجية لتشمل المجتمع الافتراضي في ضوء تيار الثقافة والشخصية.

في نفس السياق تناولت ' الدكتورة زيزي باباشاريسي [3] 'Dr. Zizi Papacharissi أستاذة الاتصال والعلوم السياسية بجامعة إلينوي بشيكاغو في العديد من الدراسات والأبحاث العواقب الاجتماعية والسياسية لوسائل الإعلام عبر الأنترنت. في الكتاب الجماعي الذي أشرفت على تحريره والمعنون بـ؛ "الذات الشبكية: الهوية والمجتمع والثقافة على مواقع التواصل الاجتماعي" والذي تناول العديد من المواضيع ذات صلة مباشرة بموضوع دراستنا، كطرق عرض الذات والاتصال الاجتماعي في عصر الرقمي، المعايير

[1] - Boellstorff, T. **Coming of Age in Second Life: An Anthropologist Explores the Virtually Human**. Princeton University Press. 2008. P20.

[2] - العنوان في حد ذاته يبدو أنه مستوحى من عمل مارغريت ميد، بلوغ سن الرشد في ساموا (1928).

[3] - يمكن الاطلاع أكثر على سيرتها وأعمالها من خلال موقع جامعة إلينوي بشيكاغو على الرابط: https://comm.uic.edu/profiles/zizi-papacharissi/، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2024/07/20. 20:40.

السلوكية، الأنماط الروتينية، والتأثير الاجتماعي والخصوصية، والانقسامات الطبقية، الجنسية والعرقية... وبشكل خاص يناقش الجزء الثاني الأنماط الناشئة للتواصل الاجتماعي على مواقع الشبكات الاجتماعية[1].

يرى جاي ديفيد بولتر استنادا إلى الأفكار الواردة في هذا الكتاب أنه يقدم رؤى جديدة حول الطرق التي تدفع من خلالها وسائل التواصل الاجتماعي المستخدمين إلى بناء هوياتهم والمحافظة عليها وإعادة عرضها عبر الأنترنت، وهو دليل قوي على أن الثقافة تعيد تشكيل الحياة الاجتماعية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي[2].

تناقش الدكتورة زيزي باباشاريسي وشركاؤها في هذا العمل بشكل الثقافات الناشئة على شبكات التواصل الرقمي وتستكشف الكيفية التي تؤثر بها الشبكات الاجتماعية الرقمية على الثقافة إنتاجا واستهلاكا، وتناقش الملامح الجديدة لأشكال التعبير الثقافي والهوياتي في عصر الشبكة أو العصر الرقمي. وبشكل غير مباشر نجد العديد من الروابط الفكرية بين عملها هذا وأفكار رالف لينتون وأبرام كاردينر في إطار الثقافة والشخصية، والشخصية الأساسية. حيث عملت زيزي باباشاريسي على دراسة كيف تتشكل الذات الشبكية، وهو ما يمكن اعتباره امتدادا لدراسة مفهوم الشخصية الأساسية. وأن كان كاردينر ولينتون ركزا على تأثير الثقافة التقليدية على الشخصية، علاقة الفرد بالمجتمع في السياق الثقافي وتكيفه مع هذا السياق، فباباشاريسي تركز على تأثير ثقافة الشبكات الاجتماعية على الهوية الرقمية، وتكيف الأفراد مع البئية الرقمية وفهم العلاقات المنسوجة في إطار المجتمعات الافتراضية. كل هذا وفق منهج متعدد التخصصات يجمع بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاعلام والاتصال، على خطى كاردينر ولينتون في جمعهما بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس في أبحاثهم.

مما سبق يمكن اعتبار اعمال الدكتورة زيزي باباشاريسي حول الهوية والثقافة الإفتراضية إمتدادا لدراسة العلاقة بين الشخصية والثقافة في إطار شبكات التواصل الاجتماعي والحياة الرقمية، فمفهوم الذات الشبكية هو امتداد لمفهوم الشخصية الأساسية الذي طرحته مدرسة الثقافة والشخصية. هذه المقاربة تمكننا من بناء تصور يمكننا من خلاله دراسة الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي في إطار مفاهيم نظرية الثقافة والشخصية الأساسية، فكل مجتمع افتراضي يفترض أنه يطور نمط معين وفريد من أنماط السلوك والتفاعل. كما أن التركيز على الطبيعة الدينامية للهوية يظهر بشكل واضح في اطار الشبكات الافتراضية حيث يمكن للفرد الظهور بهويات مختلفة. كما أن عملية التكيف مع مختلف الثقافات في الفضاء الافتراضي تقودنا إلى دراسة عمليات التثاقف وانتقال الثقافة من مجتمع إلى آخر. وبهذا إذا يمكن تطبيق

[1] - Zizi Papacharissi (Edi), **Networked Self: Identity, Community and Culture on Social Network Sites**. 2011. New York. Routledge.PP, 15-111.

[2] - https://www.routledge.com/A-Networked-Self-Identity-Community-and-Culture-on-Social-Network-Sites/Papacharissi/p/book/9780415801812

مفاهيم هذا التيار لا سيم الشخصية الأساسية لفهم السمات المشتركة التي تجمع بين أفراد المجموعة الواحدة على صفحات شبكات التواصل الاجتماعي.

انطلاقا مما سبق، يمكن القوب أن الدراسات الأنثروبولوجية تولي أهمية خاصة للثقافة بوصفها الحقل الذي تتشكل فيه الهوية، وبشكل أكثر تركيز يندرج موضوع الهوية في الدراسات الأنثروبولوجية التي تهتم بالثقافة وعلاقتها بالشخصية حيث تعتبر الثقافة أحد أهم الحوامل لتنشئة الفرد وتشكيل هويته، وموضوع الثقافة هو الموضوع الأساسي الذي ظهر فيه الاهتمام بالهوية فردية كانت أم جماعية من خلال تشابك الوظائف النفسية مع قيم وأخلاق المجتمع[1].

فإذا كان علم الاجتماع يهتم بالهوية في شقها الاجتماعي وعلم النفس بالهوية الفردية فالأنثروبولوجيا تهتم بالجوانب الثقافية في هوية الفرد والمجتمع معا، وفي إطار الاهتمام الأنثروبولوجي بالثقافة بصفة عامة يبرز موضوع الهوية كمطلب محوري ملح في دراسة الإنسان منفردا أو في جماعته أو عند مقابلته بالآخر في أماكن وأزمنة مختلفة. ولما كانت الثقافة في الدراسات الأنثروبولوجية تضم منظومة القيم والعقائد والتصورات والأخلاق والعادات.. ومختلف الموضوعات التي تشكل الحياة اليومية[2] وتنعكس على الهوية بشكل مباشر وهو ما جعل "كاردينر Kardiner " يعتبر الهوية نظام من الفعل وعمليات التكيف مع الوسط المحيط بالفرد[3]، كما يرجع "باتسون Batson" وأنصار الاتجاه الأنثروبولوجي الثقافي الثقافة إلى نسق مكون من مجموعة من الأطر التي تسمح بتحليل التصورات والسلوكيات والعواطف التي تشكل المنطق الموضوعي الأساسي لثقافة ما[4]. وبالتالي تنصهر كل من الهوية والثقافة في وعاء واحد كالمركب الكيميائي الذي يتشكل من عنصرين الفصل بينهما يؤدي إلى زوال المركب ككل.

ترجع الأنثروبولوجيا الهوية إلى سياقات ثقافية لا تنفصل عنها وتفسر ضمنها حيث قدمت القضيتين اللتين تؤسسان للنسبية، إنطلاق من أن كل ثقافة متمركزة حول نفسها أي تفهم تبعا للنموذج الذي تنبثق عنه، وما من نموذج يمكن الحكم عليه انطلاقا من نموذج آخر. كما أنه لا يوجد قياس معياري للثقافة، فهناك تصور للثقافة كمطلب ثابت[5].

والجدول الموالي نحاول من خلاله حصر أهم العناصر الفكرية التي بررت الاختلافات بين الأنثروبولوجين في نظرتهم لمسألة الهوية.

---

[1]- كاترين آلبيرن (وأخرون)، **الهوية والهويات: الفرد- الزمرة- المجتمع**، ترجمة: إياس حسن، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2010، ص 12.

[2] - اليس ميكشللي، **الهوية**، ترجمة علي وطفة، الطبعة الأولى، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، 1993، ص 27.

[3] - اليس ميكشللي، **مرجع سابق**، ص 36.

[4]- نفس المرجع، ص 28.

[5]- كاترين آلبيرن (وآخرون)، **مرجع سابق**، ص 104.

جدول رقم 3: جدول يوضح التيارات الأنثروبولوجية الكبرى المنظرة لمسألة الهوية.

التيارات الأنثروبولوجية الكبرى المنظرة لمسألة الهوية

التيار التاريخي الثقافي	**تيار العلاقة بين الثقافة والشخصية**	**تيار الأنثروبولوجيا البنيوية**	**التيار الأنثروبولوجي المنفتح**
Boas – Herskovits – Linton – Redfield-Lesser	Sapir –Ruth Bendict –Linton –Kardiner	C.L.Strauss	Roger Bastide – Georges Balandier – Jacques Berques
- درست التثاقف ونادت بالاستمرارية التاريخية في الثقافة. **- التثاقف: ظاهرة عامة، تنشأ عن احتكاك مباشر ومتواصل بين جماعات من ثقافات مختلفة.** **- تحدث تغيرات في أنماط الثقافة الأصلية لكل تلك الجماعات.** **- نسبية الثقافة: لا يمكن اطلاق أحكام قيمية على ثقافة أخرى انطلاقا من تجربة في حدود ثقافة خاصة**	- هناك علاقة أساسية بين الثقافة والشخصية: الأنماط الشخصية تؤثر في تفكير وعمل المجموعة/ السلوك الاجتماعي يترسخ في الأنماط المختلفة للشخصية. - الشخصية الأساسية: مجموع العناصر التي يهدف المجتمع إلى ترسيخها في أفراده. - إهمال دور الفروق التكوينية في تحديد بناء الشخصية الأساسية. - التأكيد على وحدة الثقافة واستمرارها عبر الزمان وتماسكها وتجانسها الداخلي. - اختلاف الشخصية الأساسية من ثقافة إلى أخرى يرجع إلى امتلاك كل ثقافة تركيبا نفسيا فريدا. - التغير الناتج عن التثاقف لا قيمة إيجابية له فلكل ثقافة طريقتها في إدراك التغير ومعايشته.	- يستند في تفسير الثقافة على نظريات الاتصال الحديثة منطلقا من النموذج اللساني. - مفهوم البنية مفهوم أساسي للوصول إلى جوهر الوقائع. - الثقافة هي الحقل الذي تتشكل فيه الهوية وهو حقل متنوع. - واقع المجتمعات لا زماني يتميز بإعادة إنتاج نفسه في عملية اجترارية لا متناهية. - لا وجود لهوية جوهرية خالدة وثابتة بل هو مفهوم متشظي أو مجزئ إلى العديد من العناصر الأولية التي يعاد تشكيلها طبقا لكل ثقافة. - الهوية ليست شيئا جاهزا بل هي شيء ينتظر أن ينجز ويشكل. - الهوية بؤرة وهمية يجب الرجوع إليها من أجل تفسير العديد من المسائل.	- تصور مفهوم الهوية في إطار التثاقف وعلاقة التحديث بالتقليد. - حركية الهوية وديناميكيتها تتجلى من خلال عملية التثاقف التي تتجاوز شروط المجتمع الأصلي وتضع قيم ثقافة الأنا والآخر محل تساؤل ونقد. - هناك قيم كونية وجميع الثقافات تتساوى لكن لكل منها عقلانية خاصة ومنطق داخلي. - على كل ثقافة حماية هويتها ضد مخاطر المثاقفة. - تعتبر المثاقفة عملية مجادلة بين الأنا والآخر، وبمقدار ما يكون الأنا منفتحا على الآخر يحقق إنسجامه وتناغمه مع ذاته. - التركيز على إنتاج الهوية أكثر من التركيز على إعادة إنتاج النموذج.

	- تحدد الشخصية الأساسية درجة انتماء الفرد للكل الثقافي وقدرته على تثبيت معاييره لإدماج أفراده.		- لا هوية دون تحول، فالفاعل التاريخي المتمثل في الذات الجماعية الثقافية تؤثر وتتأثر وهي بذلك تأمين لعملية التغير وتحافظ على الهوية أي استمرارية الوجود الاجتماعي.

المصدر: إنجاز الطالب

6- الأبعاد الأنثروبولوجية لدراسة الهوية الافتراضية:

تنطلق الأنثروبولوجيا في دراسة الهوية من موضوع الثقافة، التي ترى أنها نسق عام مشترك بين جميع أفراد المجتمع يجمع العديد من الأطر وتشمل هذه الأطر العقائد والمعايير والقيم والتصورات المشتركة والعادات والأخلاق وغيرها من العناصر، والهوية نظام يشمل الأفعال والتصورات والعواطف التي تتحرك وسط النسق الثقافي وضمن أطره المرجعية لضمان التكيف الاجتماعي، ويقسم هذا النظام إلى مجموعة من العناصر التي يمكن أن نعرفها بالعناصر الخاصة بالهوية[1]، وفق مجموع الأبعاد التالية:

- المعايير التأسيسية:

المعايير الاجتماعية: القوانين والأعراف – الجماعة تعلي من مكانتها – تحدد السلوك الصحيح أو المناسب للهوية - الالتزام تجاه الجماعة، الممارسات أخلاقية، إدراك الحدود والممارسات المميزة للجماعة، الوعي بالمعايير، التعود والاستيعاب: مدى انخراط الفرد في المجتمع، استبعاد سلوكات أو نبذها لعدم موافقتها للهوية، تقليص مستوى الوعي في الاختيار (الحس العام)، منطق التعود والتلقائية في الممارسات، وتعتبر إلتزام بممارسات تعيد تشكيل الجماعة.

- الأغراض الاجتماعية:

تتمثل في الغايات التي تريد الجماعة تحقيقها معتمدة على كينونتها انطلاقا من الهوية الفاعل حيث تضفي أغراض الجماعة على سلوكات معينة وتمكن من بروز مصالح الجماعة وأهدافها وتفضيلاتها في سلوك الفرد وتتلخص في الالتزام بمجموعة من الممارسات لتيسير تحقيق مجموعة من أهداف الجماعة.

[1]- اليس ميكشللي، **مرجع سابق**، ص ص 18،20.

- المقارنة بين العلاقات:

تتحقق من خلال مقارنة الهوية بهويات أخرى – بروز تلك المقارنة (الأنا والآخر) – فهم المرء لذاته في علاقته بالآخرين ومدى رفض الفرد لإمكانية حمل هوية أخرى، الوضع النسبي للهوية مقارنة بهويات أخرى، والكشف عن وجود قدر من العداوة من جانب بعض الهويات الأخرى ووجود سلوكيات تنافسية مع جماعات خارجية.

- النماذج المعرفية:

تعتبر رؤية شاملة للعالم أو إطار عام يسمح لأعضاء الجماعة بفهم الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ارتباط العضو في الجماعة بتفسير العالم ووصف الواقع الاجتماعي للجماعة، النظريات المعرفية التي تتبناها الجماعة، الإدراك والفهم الذاتي للماضي المجتمعي، الرؤية الشاملة للعالم وتقلباته، فهم الإنسان لذاته وللجماعة وللآخر، إدراك الشرعية والمصالح المشتركة والخيارات السياسية وتفضيل زعيم أو حزب.

- بعد الجدل:

يتجلى الجدل حول الهوية ومكوناتها.. فالأفراد دائما يقترحون ويصوغون المعاني الخاصة بالجماعة التي ينتمون إليها[1].

- مصادر الهوية حسب تصنيف هنتكتون:

-يمكن أن تتضمن مصادر الهوية وإنتاجها لدى الأفراد العناصر التالية:

-السمات الشخصية: تشمل العمر، السلالة، الجنس، القرابة (قرابة الدم) القرابة البعيدة (العرق).

-السمات الثقافية: وتشمل :العشيرة، اللغة، القومية، الدين، الحضارة.

-السمات الإقليمية: وتشمل:الجوار، القرية، البلدة، المدينة، الإقليم، الولاية، المنطقة، البلد، المنطقة الجغرافية ، القارة، الكرة الأرضية.

-السمات السياسي: وتشمل: الانشقاق ضمن الجماعة، الزمرة، القائد، الجماعة ذات مصلحة معينة، الحركة، القضية، الحزب، الأيديولوجيا، الدولة.

-السمات الاقتصادية : وتشمل: الوظيفة، الشغل، المهنة، مجموعة العمل، المستثمر، الصناعة، القطاع الاقتصادي، الاتحاد العمالي، الطبقة.

---

[1]- عمر حمداوي، **الهوية الجماعية لأفراد الأسرة وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية الحديثة**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 19، جوان 2015. جامعة ورقلة، ص 97.

-السمات الاجتماعية : وتشمل الأصدقاء، النادي، الفريق، الزملاء، مجموعة وقت الفراغ، المكانة.

وعليه يمكننا حصر العناصر التي يمكن دراستها من الناحية الأنثروبولوجية، والتي تعبر عن الهوية فردية كانت أو جماعية، في مجموعة من العناصر المتشابكة، بها جوانب مادية وأخرى غير مادية، سنحاول عرضها في الجدول الموالي.

جدول رقم 4: جدول يوضح العناصر والفئات الرئيسية المكونة للهوية.

العناصر	الفئات	المكونات
العناصر المادية	الحيازات والممتلكات	الاسم كحامل لدلالات ثقافية
	السكن وباقي الممتلكات	كرمز لزمرة الانتماء
	القدرات المادية	مهارات جسدية وعقلية يعرف بها صاحبها
	الانتماء للمكان	هوية ريفية، حضرية، أوروبية...
عناصر تاريخية	الأصول والتراث	النسب العائلي، القبلي، المهاجرين
	الأحداث والرموز	الحروب والاستعمار، الآثار والمعالم
عناصر نفس اجتماعية	الأسس الاجتماعية	الجنس، العمر، المهنة، التخصص
	القيم وأساليب التكيف	القيم والمعايير الاجتماعية، التهجين الثقافي
عناصر ثقافية	النظام الثقافي	الدين، المعتقدات، الفنون، اللغة...
	العادات والنظرة إلى الآخر	الطقوس والممارسات التقليدية، الصور النمطية
النظام المعرفي	الذاكرة الجمعية	التاريخ والذاكرة
	التمثلات الاجتماعية	صورة الذات والجماعة

المصدر: إنجاز الطالب

إن القراءة في معطيات هذا الجدول تبرز أن الهوية تتعدى الانتماءات الضيقة إلى شبكة معقدة واسعة من العناصر المادية والمفاهيم الرمزية، تعمل بشكل متضافر على تشكيل وعينا لذواتنا وللعالم، وتعمل على تموضعنا وفقا لذلك الوعي الذي يشتغل وفق مبدأ دراسة الكل لفهم الأجزاء المكونة له، فالفرد يعرف هويته بمجموع تلك العناصر والمكونات المادية، التاريخية والثقافية، التي تشكل في النهاية وعيه لهويته، والهويات المتجانسة والمختلفة.

خلاصة

في خلاصة هذا الفصل يمكن القول أننا عملنا على تقديم مفهوم الهوية من المنظور الفلسفي، السوسيولوجي، النفسي والأنثروبولوجي. من خلال تطوره التاريخي الذي أظهر أن له جذورا فلسفية عميقة، حيث سعت الفلسفة إلى تحديد ما هيتها، كما كشف التحليل السوسيولوجي عن الدور الكبير الذي تلعله التفاعلات الاجتماعية في تشكيلها، بدورها الدراسات النفسية أعطت للأبعاد السلوكية والذاتية زخما في الموضوع، أما المقاربات الأنثروبولوجية فكانت أشمل بدراسة الأبعاد الثقافية وانتشارها وتطورها وأثرها المباشر والغير مباشر في تطور الهويات.

من خلال هذه المقاربات تظهر الهوية كمسألة معقدة تجمع المتقابلات من الفردي إلى الجماعي، الذاتي بالموصوعي والثابت بالمتغير، وتبرز بشكل ديناميكي أهمية مختلف السياقات الثقافية والتاريخية، وهو ما يجعل منها موضوعا متجددا بالموازات مع التغيرات الاجتماعية المتسارعة في ظل شبكات التواصل الاجتماعي وصعود الفضاءات الرقمية، التي ساهمت في تسريع عجلة العولمة.

الفصل الثالث

العولمة والهوية الثقافية

في العصر الرقمي

الفصل الثالث: العولمة والهوية الثقافية في العصر الرقمي

تمهيد.

أولا- دراسة العولمة من منظور أنثروبولوجي.

1 - ظهور مصطلح العولمة.

2- المواقف من العولمة، مع أو ضد.

3- مفهوم العولمة في ظل القبول والرفض.

4- بداية الاهتمام بالعولمة في الأنثروبولوجيا.

ثانيا- العولمة والهوية الثقافية:

1- تحول مفهوم الهوية في عصر العولمة

2- ظهور الهويات العابرة للحدود الوطنية

3- تحديات الحفاظ على الخصوصيات الثقافية

ثالثا: العولمة والفضاء الافتراضي:

1 - دور التكنولوجيا الرقمية في تسريع عمليات العولمة.

2 - تشكل المجتمعات الافتراضية العالمية.

3 - تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الهويات المحلية والعالمية

رابعا: الهجانة الثقافية في العصر الرقمي.

1- مفهوم الهجانة الثقافية وعلاقته بالعولمة.

2 - تشكل الهويات الهجينة في الفضاء الافتراضي.

3 - دراسات حالة لمجتمعات افتراضية متعددة الثقافات.

4 - استراتيجيات المقاومة الرقمية للهيمنة الثقافية العالمية.

خلاصة

الفصل الثالث: العولمة والهوية الثقافية في العصر الرقمي

تمهيد:

يتعرض هذا الفصل بالتحليل إلى التفاعلات المعقدة للعولمة والتحول الرقمي، بوصفهما من أبرز العوامل التي تعمل على تشكيل مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية ومنه تشكيل الهوية في العصر الحالي، وسنعمل على ذلك وفق منهجية متعددة الأبعاد وفق المنظور الأنثروبولوجي. فالعولمة تعدت الأطر الاقتصادية والسياسية، وأصبحت ظاهرة تشمل إعادة تشكيل الأسس التقليدية للهوية الثقافية في عصر التحول الرقمي.

إنطلاقا من وضع الأسس المفاهيمية للعولمة، بتتبع المصطلح منذ ظهوره إلى أن اصبح مفهوما مركزيا في البحوث والدراسات المعاصرة، سنحوال مناقشة الجدل الذي اكتنف آليات اشتغال العولمة وتأثيراتها المتسارعة على جميع الأصعدة، مع التركيز على الأبعاد الأنثروبولوجية التي تعالج الظاهرة بناء على النقد الموضوعي من جهة، التحليل المعمق لتداعياتها متعددة الأقطاب على الشعوب والثقافات، مع تفكيك دور الفضاءات الرقمية وتأثيرها على الهويات في ظل العولمة، هذه الأخيرة التي أعادة تشكيل المجتمعات وتجاوزت الأطر الكلاسيكية التي تأطر الهويات المحلية، بفضل التدفقات الثقافية العالمية عبر شبكة الأنثرنت، وما نتج عنه من أشكال للمقاومة على شاكلة الهجانة الثقافية على شبكات التواصل الاجتماعي، والتي تقف في وجه الهيمنة الثقافية كنموذج للمقاومة.

أولا: دراسة العولمة من منظور أنثروبولوجي:

01 ـ ظهور مصطلح العولمة وتطوره:

"العولمة"، Globalization في اللغة الإنجليزية، وفي الفرنسية Mondialisation تستخدم على نطـاق واسع في مختلف التخصصات العلمية (العلوم السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية،...) لدلالة على تعميم الشيء واستخدامه في العالم بشكل كلي[1]، وهذا يشر إلى تحول العـالم إلى قرية في تقاربه من جهة، وإلى النظام الواحد الذي يحكمه من جهة أخرى، ولقد برز الاهتمام بها منتصف الستينيات من القرن الماضي مع جملة من المفـاهيم المبتكرة كـ "القرية الكونية Global village" مثلا لمارشال ماكلوهان Marshall Mcluhan سنة 1962م في كتابه The Gutenberg Galaxy: The Making of Typographic Man، وأسهب في شرحه في كتابه Understanding Media: The Extensions of Man سنة 1964م. ليأسس بذلك لما يعرف لاحقا بالعولمة، إلا أن الخطابات المروجة لها عرفت بعض الفتور في بداية تسعينيات القرن الماضي بانهيار الاتحـاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة

[1]- محمد الجابري، **العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، ضمن كتاب: العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، مصر، 1998، ص 300.

والنظام الدولي ثنائي القطب، وتزايد التوقعات الإيجابية حول انتصار النموذج الغربي في نشر الديمقراطية اللبرالية والرأسمالية والسوق الحرة في أنحاء العالم على غرار أطروحة نهاية التاريخ والإنسان الأخير لفرنسيس فوكوياما سنة 1992م[1] الذي كان جد متفائل بخصوص حدوث تجانس وتقارب ثقافي بين شعوب المعمورة، وإن كان هذا الكتاب لا يتناولها بشكل مباشر إلا أنه ساهم بشكل كبير في توجيه الخطابات حول العولمة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. وهو ما تجلى مجددا مع محاولة دول الغرب وعلى رأسهم الولايات الأمريكية المتحدة فرض نظام عاملي جديد أحادي القطب.

من جهة أخرى غالبا ما توصف العولمة على أنها ظاهرة اقتصادية في المقام الأول من حيث منشأها وسيرورتها، حيث عملت الولايات الامريكية المتحدة منذ البداية على تعزيز مكانتها الاقتصادية في الساحة الدولية، فعملت على تحرير التجارة العالمية، وتأسيس منظمة التجارة الدولية. وزيادة الاستثمارات الأجنبية وظهور الشركات المتعدة الجنسيات. وكل هذه الحركية الاقتصادية تدخل ضمن النزعة الليبرالية التي تعتبر انتقالا نحو رأسمالية كونية تمنح فرصة الاحتكار لمجموعة من الشركات والمؤسسات للسيطرة على الاقتصاد والإنتاج والمجتمعات البشرية بصفة عامة[2]، ويتم هذا بموجب جملة من العمليات على الصعيد الاقتصادي، الفكري السياسي والتقني المعلوماتي. وفي هذا السياق يرى جان بودريار Jean Baudrillard أن العولمة تخص التكنولوجيا والسوق والسياحة والمعلوماتية، فيما العالمية تنحو نحو القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافة الديمقراطية، لهذا يفضل استخدام مصطلح العالمية Universality بدلاً من العولمة Globalization[3] للتأكيد على أنها تشير إلى جملة من العمليات التي تزيد من التكامل والترابط بين مختلف أنحاء وجهات العالم، وتضم إضافة إلى تدفق السلع والخدمات انتقال الأفكار وحركة الأشخاص وتبادل التكنولوجيا والمعلومات بين مختلف الدول والشعوب عبر العالم.

02 – مفهوم العولمة والموقف منها:

في الموقف من العولمة اصطف الباحثين عموما، والمهتمون بالشأن الاقتصادي والسياسي وحتى الثقافي والبيئي ضمن فريقين:

الفريق الأول: فريق مؤيد للعولمة، يرى؛ أن العولمة تقدم العديد من الفرص على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي، فهي تفتح الأسواق العالمية، وتسهل التجارة الدولية للأفراد والشركات، وتسهل الحصول على التكنولوجيا، ونشر الابتكارات عبر العالم، وتعزز التنوع الثقافي بين

---

[1]- سفيان لعقاب، **فرانسيس فوكوياما والتأسيس الفيلو- بوليتيك لنهاية التاريخ**، مجلة متون، المجلد 09، عدد 01، 2016، ص 68.

[2]- عبد الإله بلقزيز، **العلومة والممانعة: دراسات في المسألة الثقافية**، الطبعة الأولى، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، 2011، ص ص 9 - 10.

[3] - Boudrillard, J : **Qu'est-ce que la mondialisation ?** GRASSET, Paris, 1998.P73.

شعوب العالم. وما لكل ذلك من انعكاس على تحسين المستوى المعيشي للأفراد في الدول النامية بشكل أساسي.

يمثله على سبيل المثال لا الحصر؛ توماس فريدمان Thomas Friedman، جاغديش بهاغواتي Jagdish Bhagwati، مارتن وولف Martin Wolf، آن كروجر Anne Krueger، جيفري ساكس Jeffrey Sachs، ديفيد دولار David Dollar.

في هذا الصدد نجد على سبيل المثال أعمال **توماس فريدمان Tomas Friedman** وعلى رأسها كتاب؛ "العالم مستوٍ: موجز تاريخ القرن الواحد والعشرين (سنة 2005م)"[1]، والذي يطرح من خلاله أطروحته المشجعة للعولمة، مفادها أن هذه الأخيرة في المرحلة الحالية تعيش التحديث الثالث للعولمة، أين تتمحور حول الأفراد الذين منحتهم فرصة متساوية للمشاركة في نطاق عالمي، وتمكينهم من تحسين وضعيتهم والقضاء على الفقر، من خلال إعطائهم القدرة على التنافس والتواصل والتشبيك كأفراد. ويضع فريدمان عشر خطوات أو قوى كما يسميها، تعمل متضافرة على تشكيل ما أسماه العالم المسطح (كناية عن العولمة)، حيث يمنح فرص متساوية للتعاون والتنافس أيضا، ويركز دائما على جملة من هذه القوى المرتبطة بشكل مباشر بالاقتصاد، والتطور التكنولوجي المرتبط بالأنترنت، كإطلاق النتسكيب Netscape سنة 1995م، التي أتاحت الأنترنت للجميع، بالإضافة إلى إمكانية التحميل المتاح Open-sourcing، وزيادة كفاءة سلاسل التوريد، وتنسيق العمليات عبر الشركات عن طريق برمجيات تسيير الأعمال وبرامج تدفق العمال[2]. وفي نفس الوقت فريدمان لا يغض الطرف على سلبيات العولمة ويرى أنها رهانات تقف في وجه التطبيق الأمثل للعولمة أو تسوية العالم وتسطيحه بشكل أمثل، مما يسبب بعض الانتكاسات هنا وهناك بسبب الحروب مثلا[3]، والإرهاب والتحديات الأمنية العالمية التي لها تأثير كبير على تعميم العولمة أو تسطيح العالم على حد تعبيره. وهو يرى أن هذه التحديات لم تحد من العولمة أو توقفها ولكنها جعلتها اكثر تعقيدا ولبسا، فالاهاب يتطلب المزيد من الحاجة إلى الأمن ويعيق الحركية التجارية التي تتطلب المزيد من الحرية، والمزيد من التعاون الدولي، ويشرح فريدمان نظرته حول هذه التحديات في نسخته المحدثة من كتاب تسطيح العالم والتي جاءت تحت عنوان؛ العالم في عصر الإرهاب[4].

جاغديش بهاجواتي Jagdish Bhagwati يعتبر بدوره من المؤيدين بقوة للعولمة والتجارة الدولية، وهو أمريكي من أصل هندي، يشغل منصب أستاذ الاقتصاد والسياسة بجامعة كولومبيا الأمريكية،

---

[1] - Friedman, T.L. The World Is Flat: A Brief History of the Twenty-first Century. Farrar, Straus and Giroux, New York. 2005.

[2]- توماس فريدمان، **العالم مستوٍ: موجز تاريخ القرن الواحد والعشرون**، ترجمة حسام الدين خضور، د م، د س ط، ص ص 57-197.

[3]- توماس فريدمان، نفس المرجع، ص 416.

[4]- توماس فريدمان، **العالم في عصر الإرهاب**، ترجمة: محمد طعم، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، بغداد، 2006.

كما شغل العديد من المناصب السامية منها مستشار للسياسة والاقتصاد ومستشاراً خاصاً بشؤون العولمة بالأمم المتحدة، ومستشارا لمنظمة التجارة الدولية[1]. في كتابه "دفاعا عن العولمة" (2004) In Defense of Globalization يتولى بهاجواتي الرد على منتقدي العولمة، ويوضح كيف أنها إذا أديرت بشكل صحيح، كشرط أساسي، فستكون أكبر قوة لتحقيق الخير والمنفعة الاجتماعي في العالم بأسره.

انطلاقا من معرفته بخبايا الاقتصاد الدولي، يوضح بهاجواتي كيف تعمل العولمة على الحد من المشاكل الاجتماعية في الدول النامية، وذلك بشكل غير مباشر، من خلال زيادة فرص العمل، والتعليم مثلا، وبالتالي فالعولمة هي جزء من الحلول للمشاكل الموجودة مسبقا وليس هي المسبب لتلك الآفات[2].

بدوره **مارتن وولف Martin Wolf** وهو اقتصادي وصحفي بريطاني معروف بدفاعه عن العولمة، دعا إلى إدارة العولمة بشكل أفضل مما هي عليه، إذا كان يراد لها الاستمرار، فهي قوة إيجابية لنمو الاقتصاد العالمي، لكنه يعترف أن أمامها العديد من التحديات التي يجب عليها أن تواجهها، ففي كتابه "التحولات والصدمات (2014 م) The Shifts and the Shocks[3]"، يقدم وولف تحليلا عميقا لأصول وتداعيات الأزمة المالية التي ضربت العالم سنة 2008م، وتفاعلها مع العولمة والاختلالات العالمية التي عملت على ضرب الاستقرار الدولي، كما يشرح في الكتابة ذاته كيف فشلت الاجراءات المتبعة لإصلاح الأنظمة المالية والنقدية بعد تلك الأزمة، ويقترح خططا وإجراءات بديلة انطلاقا من ايمانه بأن الخطأ ليس في الاقتصاد بقدر ما هو في بنية السلطة السياسية المالية التي تسيره، والرهان الحقيقي يتمحور حول كيفية جعل التفكير الاقتصادي السليم قابلا للتنفيذ سياسيا والتحرر من سلطة المصالح الخاصة التي تسعى إلى الحفاظ على النظام في شكله الحالي. في المقابل يقدم الكتاب حلولاً أكثر إيجابية ونجاعة، كفرض ضرائب على الثروة العالمية وعلى المداخيل المرتفعة، وتحميل البنوك مسؤولية أكبر لخلق العملات في جميع أشكالها، ودعمها الكامل لكل ما تقرضه، وهو الأمر الذي يعتبر مجازفة جدرية ويشكل مقاومة كبيرة من قبل البنوك والمؤسسات المالية، الأمر الذي يتطلب قبل كل شيء إصلاحات سياسية قبل أن تكون اقتصاديا[4].

---

[1]- موقع جامعة كولومبيا بنيويورك، على الرابط: https://polisci.columbia.edu/content/jagdish-n-bhagwati آخر مشاهدة بتاريخ: 2024/09/13، 23.00.

[2]- تقديم كتاب دفاعا عن العولمة، مركز جرينبيرج للدراسات الجيواقتصادية، على الرابط: https://www.cfr.org/book/defense-globalization ، نشر بتاريخ: 2004/03/01م، شوهد بتاريخ: 2024/09/14، 01:20.

[3] - Martin wolf. **The Shifts and the Shocks: What We've Learned-and Have Still to Learn-from the Financial Crisis**. New York: Penguin Press. 2014.pp, 25-31.

[4] - Richard Toye, **The Shifts and the Shocks by Martin Wolf review – what weve learned frm the crash**. Book Review, In: https://www.theguardian.com/books/2014/oct/02/shifts-and-the-shocks-martin-wolf-review-financial-crisis. Thu 2Oct 2014 12.00 BST, vu 16 Sept 2024. 01:30.

من جهة أخرى طور **جيفري ساكس Jeffrey Sachs** – مدير مركز التنمية المستدامة في معهد الأرض بجامعة كولومبيا [1]- موقف معقد ومتعدد الأوجه من العولمة، حيث يدعو إلى "العولمة الإنسانية"، التي لن تتحقق إلا إذا توفرت إدارة حقيقية للعولمة وبشكل صحيح. وتتمحور أغلب أعماله الأكاديمية وتجاربه الميدانية حول التنمية المستدامة، القضاء على الفقر، الاهتمام بالبيئة، ودعوة دول الغرب والولايات الأمريكية المتحدة بالانخراط في عالم متعدد الأقطاب.

في كتابه نهاية الفقر: الإمكانيات الاقتصادية في عصرنا (2005م) The End of Poverty: Economic Possibilitier for Our Time[2]، قدم ساكس في إطار دفاعه عن العولمة ، تحليلاً عميقا لأسباب الفقر في العالم، واقترح خطة للقضاء النهائي عليه بحلول سنة 2025م، وهو ما لن يتحقق حسب رأيته إلا بالإدارة الصحيحة للعولمة، تتم من خلال جملة من الإجراءات، لدعم والالتزام بأهداف التنمية المستدامة حتى سنة 2050م، واحترام الرزنامة الزمنية لإعادة توجيه الاقتصاد العالمي برمته نحو الاستثمارات الواجبة والضرورية، لتمكين الدول الفقيرة من الحصول على التمويل الكافي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ومواكبة التحولات التكنولوجية اللازمة، لتحقيق مجتمعات خضراء ورقمية شاملة.

من جهة أخرى يركز ساكس على السلام والأمن الدوليين، وهو يرى أنهما ركيزتين أساسيتين لتحقيق العولمة نتائجها في مستقبل أفضل، ويقترح لذلك تعزيز المبادئ الأساسية لعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة، وإصلاح النظام المالي العالمي، وعلى رأسه ألغاء الشروط المجحفة والمدمرة للقروض التي تمنحها المؤسسات المالية العالمية للدول الفقيرة، والسائرة في طريق النمو.

في كتابه عصور العولمة: الجغرافيا والتكنولوجيا والمؤسسات The Ages of Globalization: Geography, Technology, and Institution (2020)، يشرح جيفري ساكس الوضع الراهن للعولمة[3]، ويرى أنها المرحلة السابعة في مسار العولمة، وتعرف هذه المرحلة بالعصر الرقمي، الذي يوفر إطارا مناسبا، يدعونا إلى ابتكار طرق أكثر فعالية لحكم عالم أكثر ترابطا، وذلك يستدعي في المقام الأول اتباع نهج أكثر شمولية للحكم يجمع الأهداف الاقتصادية، الاجتماعية والبيئية[4].

الفريق الثاني المتوجس من العولمة لحد رفضها عند البعض والدعوة إلى إعادة النظر فيها عند آخرين وتطويرها بشكل أكثر عدالة، حيث يرى أصحاب هذا الطرح أن العولمة محفوفة بالعديد من المخاطر

---

[1]- أنظر الملف الشخصي بـ CSD مركز التنمية المستدامة في معهد الأرض بجامعة كولمبيا على الرابط: https://csd.columbia.edu/sachs آخر معاينة بتاريخ: 2024/10/19. 22:20.

[2] - Jeffrey D. Sachs, **The End Of Poverty: Economic Possibilities Of Our Time**, Penguin Press, 2006.

[3]- جيفري ساكس، **عصور العولمة: الجغرافيا والتكنولوجيا والمؤسسات**، ترجمة ربيع وهبة، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2022، ص ص، 193- 194.

[4]- نفس المرجع، ص ص 219 -220.

وغير مضمونة النتائج ولها العديد من السلبيات على الصعيد الاقتصادي[1]، الاجتماعي والثقافي وحتى البيئي. كونها تعمل على القضاء على الخصوصية الثقافية المحلية أينما وجدت جراء هيمنة نموذج الثقافة الغربية والأمريكية بشكل خاص مما يؤدي إلى عدم الاستقرار وتفكك المجتمعات المحلية أو التقليدية، وما ينجر على ذلك من فقدان للهوية والسيادة الوطنية. عدم المساواة الاقتصادية وتغول الشركات الكبرى على الدول والحكومات وهو ما يؤدي إلى بروز ظاهرة استغلال العمالة وانهيار القدرة الشرائية وانتشار الفقر واتساع الهوة بين دول وشعوب غنية وأخرى معدمة. في هذا الصدد نجد العديد من الأسماء على سبيل المثال؛

جوزيف ستيغليتز Joseph Stiglitz خبير اقتصادي أمريكي، صاحب جائزة نوبل في الاقتصاد لسنة 2001م عن أعماله حول اقتصاد المعلومات، قدم نقداً لاذعاً للنظريات الليبيرالية الجديدة، وأصول السوق، والمؤسسات المالية العالمية على رأسها صندوق النقد الدولي، والكيفية التي تدار بها العولمة من قبل تلك المؤسسات المالية.

في كتابه "خيبات العولمة (2002م)" Globalization and Its Discontents، يرى أن العولمة في شكلها الحالي قصيرة النظر، وغير متوازنة، وتزيد من عدم المساواة[2]، وتوسع الهوية بين ثلة قليلة من الأغنياء وغالبية شعوب العالم، بما فيها الدول الكبرى التي كتبت قواعد النظام العالمي لصالحها في بادئ الأمر، ويدعو بالمقابل إلى؛ ضرورة إعادة كتابة ما أسماه القواعد التي تحكم العولمة حاليا من الصفر[3].

وإن كان ستيغليتز لا يرفض العولمة جملة وتفصيلا، فهو لا يقبلها بشكل كلي ومطلق، حيث يرى أن من يهاجمها متجاهلا مزاياها العديدة، وبالمقابل من يمجدونها ليسوا أكثر عدلا ممن يرفضونها[4]، وإن كان يراها جد سيئة، بالنسبة للفقراء في مختلف بقاع العالم، وتضر بالاستقرار العالمي. إلا أنه يناقش الامكانات الإيجابية التي يمكن أن تقدمها، ويشرح الكيفية التي يمكن أن تفيد بها البلدان النامية، إذا ما أديرت بشكل جيد، فالمشكل ليس في العولمة بل في كيفية إدارتها، والدليل نجاحها في بناء دول آسيا الشرقية،

---

[1]- من عواقب العولمة أنها كانت سببا في أزمة وول ستريت سنة 2008م وبفضلها انتقلت بسرعة وبشكل سلس تلك الأزمة من الولايات المتحدة إلى مراكز مالية أخرى عبر العالم. للمزيد حول الموضوع، أنظر:

- داني رودريك، **معضلة العولمة: لماذا يستحيل التوفيق بين الديمقراطية وسيادة الدول والأسواق العالمية؟**، ترجمة رحاب صلاح الدين، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014، ص 15.

[2] - Stiglitz, J. E. **Globalization and Its Discontents**. W.W. Norton & Company, New York. 2002.

جوزف إ ستيغليتز، **خيبات العولمة**، ترجمة ميشال كرم، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2003.

[3] - Paul Hockenos, **Globalization and Its Discontenes Revisted**, Mie en ligne sur Ips-journal, 02/05/2018. https://www.ips-journal.eu/book-reviews/globalization-and-its-discontents-revisited-2708/

[4]- جوزف إ ستيغليتز، **مرجع سابق**، ص27.

وتوسع المبادلات التجارية العالمية، وخلق مجتمع دولي أكثر حيوية وتعاون في مسائل البيئة والصحة، مجتمع دولي يناضل من أجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية[1].

من جهة أخرى، يحلل ستيغليتز كيف فشلت العولمة في تحقيق وعودها للدول النامية، وأجبرتهم على تبني خيارات اجتماعية واقتصادية معينة، وحاولت على الدوام فرض نهج واحد على جميع الدول دون منحها الوقت الكافي للتكيف ثقافيا[2]، وهو الأمر الذي انجر عنه العديد من المشاكل والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أدت إلى انهيار العديد من المجتمعات تحت طائلة الشروط المجحفة للمؤسسات المالية الدولية، التي قضت على القطاع العام وسعت إلى خوصصت مؤسساته، مما دفع بالمزيد من تسريح العمال نحو البطالة ومنه المزيد من الفقر.

في الأخير يدعو جوزيف ستيغليتز إلى عولمة أكثر عدالة من خلال ضرورة اصلاح النظام الاقتصادي العالمي، وبشكل خاص إعادة النظر في نهج تسيير المؤسسات المالية العالمية بشكل أكثر شفافية وديمقراطية، ومراعاة خصوصية كل دولة في تطبيق سياسات الإقراض والمساعدات المالية، وهو يرى أن ذلك يجب أن يتم إذا أرادت المؤسسات الاستمرار.

نعومي كلاين[3] Naomi Klein، في كتابها "لا شعار (1999م)" No Logo الذي يعتبر كتابا رائدا في نقد العولمة الاقتصادي بشكل خاص، توثق نعومي للممارسات الاقتصادية التي تغزو المجتمعات، وتسلط الضوء على الآثار الاجتماعية المدمرة للشركات الكبرى ضد اقتصاد المجتمعات النامية، وثقافتهم الاستهلاكية، وتركز عملها على وجوب مواجهاتنا لعالم مشبع بالعلامات التجارية الاستغلالية، وتدعو في الأخير إلى ضرورة إقامة نموذج اقتصادي أكثر عدالة واستدامة[4].

أما كتابها الذي لقي أكثر اهتمام، هو "عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث - The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism " الذي نشر سنة 2007م، أظهرت فيه بعد تقصي تاريخي على مدار أربع سنوات، ومن خلال دراسات ميدانية، ومتابعة تقارير ميدانية في مناطق تعاني من الكوارث[5]، أظهرت من خلاله كيف أن رأسمالية الكوارث بدأت في سبعينيات القرن الماضي، بتوجيه من

---

[1]- نفس المرجع، ص301.

[2]- نفس المرجع، ص ص 31، 32.

[3]- أستاذة في العدالة المناخية بجامعة كولومبيا البريطانية، مناهضة للسياسات النيولبرالية وسياية الشركات المتعددة الجنسيات في ظل العولمة واستغلال الكوارث لصالح الشركات وأجنداتها التجارية، الموقع الإلكتروني https://naomiklein.org/about-naomi/، آخر معاينة بتاريخ: 2024/10/24. 00:40.

[4]- الكتاب متاح في طبعته الثانية على الرابط https://ia903201.us.archive.org/17/items/audio-books_202006/Naomi-Klein-NO-LOGO-Taking-Aim-at-the-Brand-Bullies.pdf آخر اطلاع عليه من طرفنا بتاريخ: 2024/08/08.

[5]- نعومي كلاين، **عقدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث**، ترجمة نادين خوري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2011. ص ص، 90- 110.

ميلتون فريدمان (1912- 2006م)، وتلاميذه الذين أسسوا لليبرالية الجديدة، التي تعمل على تحرير السوق، وخصخصة المؤسسات العمومية، وتقليص الإنفاق الحكومي، بكل الوسائل، ولو تحت التهديد بالقوة العسكرية، وتقدم نعومي العديد من الأمثلة عن أحداث شائعة سنوات السبعينيات من القرن الماضي، ابتداءً بقلب نظام الحكم في الشيلي، وتنصيب نظام حكم دكتاتوري بقيادة الجنرال 'أغستو بينوشي'[1]، وما تبعه من تحول رأسمالي وصف بالأكثر جذرية في العالم، كان عرابه ميلتون فريدمان مستشار الدكتاتور بينوشي. مرورا بالحرب على العراق التي طبقت فيها عقيدة الصدمة والترهيب العسكري. والإسراع في تطبيق برامج الخصخصة في يوغوسلافيا بعد هجوم حلف الناتو على بلغراد سنة 1999م. وعقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001... ولعل آخرها في حياة فريدمان كانت الانتقال إلى التعليم الخاص في نيو أورينز بعد إعصار كاترينا الذي دمر المدينة سنة 2005م[2].

تقوم العولمة الاقتصادية إذا حسب نعومي كلاين على عقيدة الصدمة التي تعمل على تمكين عدد قليل من الشركات الكبرى والمؤسسات المالية الدولية بالتحالف مع طبقة من السياسيين الأكثر نفودا في كل دولة وتمكنهم من التغلغل في الدول وتفكيك أنظمتها وتوجيه سياساتها الاقتصادية والاجتماعية وخنق القطاع العام والقضاء عليه باستغلال حالات الأزمات أو خلقها أو تحت طائلة القوة العسكرية من أجل السيطرة والاستغلال تحت شعار إعادة الإعمار، وهو ما تعتبر نعومي الشكل الجديد من أشكال الاستعمار، وهذا ما جنته البشرية من العولمة وتحرير السوق والبحث عن المزيد الأسواق ومجالات النفوذ.

أما بخصوص الحلول المقترحة، ومصير العولمة في شكلها الليبرالي المتوحش، فلا تكتفي نعومي بالتنظير، بل هي عضو نشط في حركة مناهضة العولمة التي تأسست بسياتل سنة 1999م مزامنة مع انعقاد مؤتمر مجموعة الدول الصناعية الثمانية، كما تعمل على عقد العديد من النشاطات في مختلف دول العالم، لإثارة النقاش حول الكيفية التي يمكن أن تحول بها الشعوب الأزمات الرامية لإحداث الصدمات والأزمات إلى فرص للتغيير، وبانطلاقها من أحداث تاريخية فإنها ترى أن التضامن الاجتماعي وتقديم المساعدة هي مقاومة لتلك لشركات، بالإضافة إلى الحركات الاحتجاجية، الاعتصامات، والرفض الصريح لمخططات الصدمة على غرار الاحتجاجات ضد إجراءات صندوق النقد الدولي بالأرجنتين سنة 2001م، واعتصام اللبنانيين في الساحات العامة بالعاصمة بيروت سنة 2007م احتجاجا على عبئ الدين، الناتج عن سياسة إعادة الاعمار أو ما يطلق عليه "فقاعات السوليدير" نسبة لشركة سوليدير التي أوكلت لها مهمة إعادة بناء وسط المدينة. كما عرف الصين سنة 2005م ما يقارب 87 ألف حركة احتجاجية شملت 04 ملايين عامل وفلاح، وهي الحركات التي أسفر عنها العديد من الاجراءات الايجابية كإعادة النظر في حجم النفقات

---

[1] - Andy Storey, **The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism, Policy and Practice**, A Development Education Review, Vol. 8, Spring 2009, pp. 74-76.

[2]- نعومي كلاين، مرجع سابق، ص ص 13، 14.

الضئيلة المخصصة للأرياف، تحسين الخدمات الصحية، وإلغاء المصاريف التعليمية. وحتى في الولايات المتحدة لا يزال المواطنون يستخدمون حريتهم لمجابهة تشدد الأسواق الحرة. وهو السياق الذي ترى نعومي من خلاله أن وصول السياسيين المعارضين الرافضين لليبيرالية الجديدة أضحى ظاهرة عالمية، وتفرد لذلك العديد من الأمثلة على غرار إعادة انتخاب شافيز في فنزويلا سنة 2006م، وتولي الائتلاف اليساري للحكم في الأورغواي، وصعود الخطاب المعادي لسياسة مدرسة شيكاغو في بولندا، بوليفيا، المكسيك، الأرجنتين، الشيلي، جنوب إفريقيا، شرق آسيا، وفي داخل دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية نفسها. وتخلص نعومي إلى أن ردود الفعل تجاه الصدمة لا تكون دائما بالتراجع بل قد تكون بالنضج ومواجهة المد العولمي[1].

والدن بيلو Walden Bello، هو فلبيني مختص في علم الاجتماع، يعتبر أحد أبرز المنتقدين للنموذج الحالي للعولمة الاقتصادية، قدم مساهمات كبيرة في القضايا الدولية ضد العولمة التي تقودها الشركات والولايات المتحدة الأمريكية، بصفته كأكاديمي وناشط ميداني في مجال حقوق الإنسان والشؤون البيئية. في كتابه؛ من أجل عولمة بديلة: أفكار حول اقتصاد عالمي جديد، يقدم شرحا دقيقا وتتبعا تاريخياً مفصلاً للعولمة الاقتصادية[2]، ويحلل دور الولايات المتحدة فيها، والعقبات التي تواجهها، ويقترح البدائل المناسبة. يرى أن العولمة هي اندفاع متسارع لرأس المال في الأسواق العالمية وفق منطق ربحي من طرف الشركات، ونتيجة للمنافسة بين الرأسماليات عالميا والصراع الطبقي داخليا في كل دولة، عرفت تلك الاقتصادات الرأسمالية ركودا مع مطلع سنوات السبعينيات من القرن العشرين الشيء الذي مهد للمرحلة الثانية من العولمة والتي تميزت بهيمنة الإيديولوجيا اللبرالية الجديدة، التي عملت على تحرير الأسواق وفرض الخصخصة وإلغاء القيود التجارية[3]... وغيرها من الاجراءات.

يقدم بيلو أمثلة قوية على ما أسماه "لحظات تعميق أزمة المشروع العولمي"، اللحظة الأولى كانت أزمة 1997م بشرق آسيا التي خلفت خلال أسابيع فقط بحوالي 22 مليون مواطن تايلاندي، إندونيسي وماليزي إلى ما دون خط الفقر، وارتفاع نسبة البطالة...، كما كانت لها تداعيات على الأسواق المالية في دول أخرى كادت تعصف بالتوسع الاقتصادي العالمي[4]. اللحظة الثانية كانت فشل الاجتماع الوزاري الثالث

---

[1]- نفس المرجع، ص ص 617- 642.

[2] - Bello, W. **Deglobalization: Ideas for a New World Economy**. Zed Books. London. 2002.pp. 35-50

[3]- والدن بيلو، من أجل عولمة بديلة: **أفكار حول اقتصاد عالمي جديد**، الطبعة الأولى، ترجمة: فريدة النقاش، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2010، ص 11.

[4]- أنور هاقان قوناش، **أزمة شرق آسيا: عبر لبلدان منظمة المؤتمر الإسلامي**، مجلة التعاون الإسلامي، مجلد 22، سنة 2001، ص 77. متاح على موقع مركز الأبحاث والإحصاءات الاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية لمنظمة التعاون الإسلامي، على الرابط: https://www.sesric.org/publications-jecd-articles-ar.php?jec_id=61، شوهد يوم: 2024/08/09 الساعة: 06.55.

لمنظمة التجارة العالمية سنة 1999م الذي عقد بواشنطن وترأست أشغاله الولايات المتحدة الأمريكية وبحضور أكثر من 150 ممثل عن دول العالم، لكنه في الوصول إلى اجماع تحرير التجارة وبشكل خاص المنتوجات الزراعية[1]، وكان ذاك على خلفية رفض الدول النامية لاتفاقيات أوروغواي سنة 1995م وما نتج عنها من معارضة شعبية جماهيرية ضد منظمة التجارة على المستوى العالمي وبقيادة المجتمع المدني، والنزاعات التجارية المتصاعدة بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية. أما اللحظة الثالثة فكانت انهيار أسواق البورصة خلال عهدة حكم الرئيس كلينتون على خلفية أزمة فائض الإنتاج[2].

وفي إطار انتقاده للعولمة دائما وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية، يعتقد بيلو أن المشكل الأكبر هو الرغبة والسعي الدائم للتوسع لعدم توافق أهدافها مع مواردها حد الوصول إلى استعمال العنف أو القوة العسكرية، ويفرد بيلو في هذا الصدد العديد من الأمثلة التي تبرهن على عجز الولايات المتحدة الأمريكية في التحكم في توسعها على غرار عدم التوصل إلى تثبيت نظام سياسي في العراق، وفشلها في فرض نظام موالي لها في أفغانستان باستثناء العاصمة كابول، وعجز الكيان المحتل بفلسطين رغم كل الدعم الأمريكي والأوروبي بوصفها حليفاً استراتيجي في قمع انتفاضة الشعب الفلسطيني[3]، وهو الأمر الذي يدفع برفض السياسة الأمريكية الخارجية داخل أمريكا وخارجها من قبل كل شعوب المعمورة.

أما عن المرحلة الراهنة فيرى بيلو أن مشروع العولمة يواجه أزمة تتطور من داخله، والعالم سيعيش مرحلة اضطراب كبير وأزمته الاقتصادية ستكون أطول، لكنه في نفس الوقت يبدو جد واثق من أن البديل الذي يقترحه سيكون ناجعا وهو المقاومة والاحتجاجات، وقبل هذا إنشاء نموذج اقتصادي دولي يشجع المبادرات المحلية والمساواة وحماية البيئة ويدعم الحريات الفردية[4].

ضمن هذا الطرح يلِمُ **زيغمونت باومان Zygmunt Bauman** (1925- 2017م) بتفاصيل وحيثيات العواقب الاجتماعية لعالم ما بعد نهاية الأيديولوجيات وأزمة الانتقال من القرن العشرين إلى القرن

---

[1]- أوكار غولار، **المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية وأهمية الزراعة في المفاوضات التجارية**، مجلة التعاون الإسلامي، مجلد 22، سنة 2001، ص 18. متاح على موقع مركز الأبحاث والإحصاءات الاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية لمنظمة التعاون الإسلامي، على الرابط: https://www.sesric.org/publications-jecd-articles-ar.php?jec_id=61، شوهد يوم: 2024/08/09 الساعة: 06.22.

[2]- والدن بيلو، مرجع سابق، ص ص 12، 14.

[3]- نفس المرجع، ص 24.

[4] - Vanessa Cotineau y Dimitri della Faille, **Walden Bello, *La fabrique de la famine. Les paysans face à la mondialisation***, *Lectures* [En línea], Reseñas, Publicado el 31 octubre 2012, consultado el 09 agosto 2024. URL: http://journals.openedition.org/lectures/9697; DOI: https://doi.org/10.4000/lectures.9697

الواحد والعشرين[1]، ويرى أن العالم يعيش مرحلة المجتمعات السائلة[2] التي تتميز بعدم اليقين وعدم الاستقرار عكس المرحلة التي قبلها والتي وصفها بالصلبة ويقابلها عند الكثير من العلماء مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة. المرحلة الراهنة مرحلة سلبية بشكل كبير وصارم حسب رأي باومان، وهي تفرض على المجتمعات البشرية تحديات كبيرة ومصيرية، الشيء الذي يدعو إلى إعادة التفكير في كل ما هو قائم فيها من أنظمة سياسية واقتصادية واجتماعية. وإن كان لا يدعو إلى رفضها وانكارها جملةً، فهو يدعو إلى إعادة النظر فيها وفي الكيفية التي تتعامل البشرية بها مع هذه الظاهرة الحتمية.

فالعولمة تقوم على كسر الحواجز وهو الشيء الذي يسمح بعولمة رأس المال وحرية حركة التجارة والمعلومات والأشخاص...، ويسمح أيضا بعولمة الجريمة والإرهاب، مما يعمم الشعور بعدم الأمان ويجعل الانسان يعيش في حالة من الخوف والقلق الدائم. الحالة السائلة تجعل من التنبؤ أمر غير ممكن على جميع الأصعدة وبالتالي يعيش الإنسان عدم اليقين والشك مما يؤدي إلى حالة الهشاش الاجتماعية نتيجة لعدم الأمان وعدم استقرار الاجتماعي. على صعيد آخر تعمل العولمة على تقويض أسس الدول فتفقدها القدرة على التحكم في سيادتها الوطنية وبالتالي تفقد المجتمعات المحلية القدرة على ضبط فواعل التنمية الاقتصادية [3] التي تنتقل إلى الشركات العالمية الكبرى التي تعمل على تسليع كل شيء حتى العلاقات الاجتماعية والإنسانية، مما يؤدي إلى تفكك الروابط الاجتماعية وانهيار المجتمعات.

03- مفهوم العولمة في ظل المواقف السابقة:

على خلفية النظرتين السابقتين إلى العولمة يتغير تقديم مصطلح العولمة، فهي؛ "*علاقة العالم بنفسه، ووحدة المعمورة واتصال أجزائها وتعاضدها لتشكل كلا واحدا*"[4]، وهو تعريف شامل في الاتجاه الايجابي للنظر للعولمة، حيث يدعم التعريف فكرة أن العولمة تجعل العالم أكثر وعيا بكونه كيان موحدا، يعرف

---

[1] - Bordoni, C. (2016). **Introduction to Zygmunt Bauman**. Revue internationale de philosophie, 277(3), 281-289. https://doi.org/10.3917/rip.277.0281.

[2]- كتب زيغمونت باومان في شرح الحالة السائلة مجموعة من المؤلفات يجب الرجوع إليها لفهمها:
- زيغمونت باومان، **الحب السائل**، ترجمة حجاج أبو حبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2016.
- زيغمونت باومان، **الحياة السائلة**، ترجمة حجاج أبو حبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2016.
- زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، ترجمة حجاج أبو حبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2016.
- زيغمونت باومان، **الأزمة السائلة**، ترجمة حجاج أبو حبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2017.
- زيغمونت باومان، **الخوف السائل**، ترجمة حجاج أبو حبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2017.
- زيغمونت باومان، **الحداثة والإبهام**، ترجمة حجاج أبو حبر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2018.

[3]- لوكاش غاليكي (محاور)، **الحرب الخاسرة؛ مقابلة مع زيغمونت باومان**، ترجمة: أنس بن سعود الجروان. منشور في موقع: أثارة على الرابط: https://atharah.net/the-unwinnable-war-an-interview-with-zygmunt-bauman/ . بتاريخ. 26 يوليو 2021، شوهد يوم: 2023/06/25.

[4]- عبد العزيز لبيب، **عولمة/ عالمية مغايرة**، في؛ **الموسوعة العربية لعلم الاجتماع**، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 2010، ص 545.

المزيد من التواصل والترابط بين مختلف أجزائه من جميع النواحي؛ الاقتصادية، السياسية والتكنولوجية. ليشكل في النهاية عالما موحدا ومترابطا. يعاب على هذا التعريف اهماله للآثار السلبية التي قد تحملها العولمة، كزيادة التفاوت الاقتصادي والاجتماعي وتهديد الهويات المحلية.

تجدر الإشارة إلى أنه في هذا الإطار الذي ينظر للعولمة بأنها خير مطلق برزت الدراسات المهتمة بعلم اجتماع البنى الكونية والدولية الذي اهتم بقضايا التنمية والتصنيع والتحديث على المستوى العالمي فيما كانت تدرس على مستويات محلية وقومية [1].

في كتابه "العصر العالمي: الدولة والمجتمع بعد الحداثة (1996م)"[2] يطرح مارتن ألبرو Martin Albrow تعريفها كالتالي: " تشير العولمة إلى كل العمليات التي بواسطتها تدمج شعوب العالم في مجتمع عالمي واحد"[3]، ويعتبر ألبرو ممن قدموا نظرة أكثر تعقيدا للعولمة، فهي كل يشمل على الاقتصاد، الثقافة، السياسة والتكنولوجيا. متجاوزا الحدود التقليدية، متكاملا في مجتمع عالمي مشترك يؤسس إلى هوية عالمية متجاورة مع الهويات المحلية. ويعتبرها أيديولوجيا في يد الولايات الأمريكية المتحدة لتعزيز حضورها الاقتصادي في العالم[4]. أما المعنى الأوسع فهي مرحلة تاريخية معقدة وحتمية. وإن كان يرى فيها فرصة لاعادة تشكيل محتمع عالمي أكثر عدلاً وإنصافاً فهو لا يخفي أنها بهذا المعنى تسعى إلى إضفاء طابع الوحدة على حياة البشر والقضاء على الاختلافات التي قد تشكل خصوصية هويتهم وهو ما دفع عبر مسارها التاريخي إلى رفضها ومقاومتها رغم المكاسب الكبيرة التي حققتها خاصة في العالم الغربي كونها كفعل يقوم على نفي الآخر. لهذا وجب فهمها فهما نقدياً شاملاً لمختلف الآثار المترتبة عليها.

بشكل أوسع يعتبر تعريف **جيفري ساكس** أبلغ وأدق تعريف للعولمة بوصفها ظاهرة أنثروبولوجية تمس جميع مناحي الحياة البشرية؛ الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية، حيث يعرفها كالتالي: "تشير العولمة إلى الروابط المتبادلة بين المجتمعات المتنوعة عبر مناطق جغرافية واسعة. تتنوع هذه الروابط بين تكنولوجية واقتصادية ومؤسسية وثقافية وجيوسياسية. كما أنها تشمل تفاعلات المجتمعات في جميع أنحاء العالم من خلال التجارة والتمويل والمشاريع والهجرة والثقافة، وتشكل الإمبراطوريات، والحرب"[5].

---

[1]- رونالد روبرتسون، **العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية**، ترجمة: أحمد محمود ونورا أمين، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998، ص07.

[2] - Albrow, Martin. **The Global Age: State and Society Beyond Modernity**. Stanford University Press, 1996.

[3]- صالح فيلالي، **العولمة: انتصار للغموض**، في: فضيل دليو (وآخرون)، **العولمة والهوية الثقافية**، سلسلة أعمال الملتقيات، مخبر علم الاتصال للبحث والترجمة، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 19.

[4]- رايسا غابرييلا زامفيروسكو وديانا ألكساندرا دوميتريسكو، **نهاية العصر الذهبي؟ مقابلة مع مارتن ألبرو**، حوار كوني، ترجمة: منير السعيداني، العدد 3، السلسلة 07، ج د ع إ، سبتمبر 2017، ص 17.

[5]- جيفري ساكس، **عصور العولمة: الجغرافيا والتكنولوجيا والمؤسسات**، ترجمة: ربيع وهبة، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2022، ص 16.

سنة 1960م أورد مارشال ماكلوهان مصطلح "القرية الكونية" في كتابه الذي يعالج مسألة التزامن المشترك لوسائل الإعلام وفيه أدرج فكرة الضغط أو الانكماش والتي مفادها أن العولمة تشير إلى ضغط العالم وتصغيره من ناحية، وتركيز الوعي به من ناحية أخرى، وسعي وسائل الاعلام إلى ترسيخ فكرة المجتمع الكوني[1]. وفي السنوات الموالية ازدهرت أفكار أخرى في نفس السياق تعلقت بشكل أساسي بما أطلق عليه 'مور- Moore' علم الاجتماع الكوني، ودراسة الحرب والسلام من منظور سوسيولوجي، والأبعاد الخالية من القوة بين المجتمعات القومية[2].

العولمة إذا ظاهرة تاريخية مستمرة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور إلا أنها في كل مرة تغير من طابعها تماشيا مع العصور المختلفة التي مرت بها البشرية [3] من العصر الحجري القديم حتى العصر الحالي المعروف بالعصر الرقمي الذي يمكننا فيه حصر أهم المظاهر المحدد لمفهوم العولمة كالتالي:

- إعطاء الشيء صفة العالمية، من حيث النطاق والتطبيق.
- انكماش البعدين الزماني والمكاني مما يقرب بين الوحدات البشرية من بعضها على المستوى العالمي.
- هيمنة نظام الإنتاج الرأسمالي وانتشاره.
- وصول نمط الإنتاج الرأسمالي إلى عالمية التبادل، التوزيع، التسويق، التمويل...
- التداخل في أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد بالحدود السياسية للدول ذات السيادة.
- ضعف أواصل الانتماء الوطني، القومي والمحلي. أمام اجتياح النموذج العالمي.
- عودة الهيمنة الغربية محملة على أجنحة المعلوماتية، مدججة بالعلم والثقافة حتى وإن كانت غير إنسانية[4].

---

[1]- رونالد روبرتسون، **مرجع سابق**، ص ص 27، 28.

[2]- نفس المرجع، ص 31.

[3]- جيفري ساكس، **مرجع سابق**، ص 15.

[4]- تحسين أحمد التل، **العولمة والعالمية**، المكتبة الوطنية، إربد، الأردن، 2008، ص 8.

4- بداية الاهتمام بالعولمة في الأنثروبولوجيا:

يعكس تطور الدراسات المهتمة بالعولمة في الأنثروبولوجيا التغيرات التي شهدها العالم من جهة وطرق فهم الإنسان لهذه التغيرات من جهة أخرى، حيث أصبحت دراسة العولمة أكثر تعقيدا وتنوعا من خلال نقد النظرة الثنائية ومحاولة فهمها بشكل أكثر عمقا، فبدلا من النظرة إليها كعملية أحادية الاتجاه تؤدي إلى التجانس الثقافي أصبحت تدرك من خلال تعقيداتها وتنوع تجاربها المعولمة في إطار التفاعلات المعقدة بين ما هو محلي وما هو عالمي، بين ما هو تقليدي وما هو حديث وبين ما هو فرداني وما هو جماعاتي في سياق عالم أكثر ترابطا.

كانت بداية الاهتمام بالعولمة في الدراسات الأنثروبولوجيا أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي ضمن سياق تاريخي عرف الكثير من التغيرات الكبيرة على الصعيد الدولي، ولعل أبرزها انهيار الاتحاد السوفييتي، تسارع العولمة في شقها الاقتصادي، والاستخدام الواسع لشبكة الأنترنت، وما أحدثته من ثورة في الاتصالات على المستوى العالمي.

من جهة أخرى شهدت هذه المرحلة تحولات في الفكر والمنهج الأنثروبولوجي، بدءً بنقد الأنثروبولوجيا الكلاسيكية التي تعنى بدراسة المجتمعات البدائية أو المعزولة، والتحرر من النزعة الاستعمارية والمركزية الغربية، وتجاوزها لدراسة المجتمعات البدائية والتقليدية، ومواضيع القرية والقبيلة والعرق، وانفتاحها على ميادين أوسع ومواضيع شكلت القطيعة مع الأنثروبولوجيا الكلاسيكية[1]، وتحولت في ظل العولمة إلى دراسة الترابط العالمي، الشيء الذي دفع بها إلى تطوير المناهج الأنثروبولوجية، ومعالجة مفاهيم جديدة لفهم أنثروبولوجي متعدد المواقع للظواهر المرافقة للعولمة.

في هذا الصدد ركزت معظم الدراسات على التغيرات الثقافية، وعملت على توثيق التحولات في القيم والممارسات الثقافية، مع الاهتمام بكيفية تفاعل القوى العالمية مع السياقات المحلية وتأثير العولمة على أنماط العمل والإنتاج المحلية. كما تنامى الاهتمام بالبحث في تأثير العولمة على الهويات المحلية وطرق وأساليب التعبير عنها.

منهجيا غالبا ما اعتمدت هذه الأعمال على الدراسات الميدانية المعمقة في مناطق مختلفة من قارات العالم، كان هدفها فهم العولمة وتأثيرها على الثقافات التقليدية في المجتمعات المحلية والتغييرات العميقة التي احدثتها الثقافات الوافدة. والجدول الموالي يقدم عينة عن تلك الأعمال:

[1]- عثمان لكعشمي، **دفاعا عن الأنثروبولوجيا: من أجل إعادة صياغة الأنثروبولوجي**، مركز نهوض للبحوث والدراسات، 2020، ص ص 8، 10.

جدول رقم 5 : جدول يوضح عينة من الدراسات الأنثروبولوجية المهتمة بالعولمة أواخر القرن العشرين.

اسم الباحث وعنوان الدراسة	مكان إجراء الدراسة	السنة	الاهتمامات التي ركزت عليها الدراسة	النتائج العامة
جون وجين كوماروف "عن الوحي والثورة: المسيحية والاستعمار والوعي في جنوب إفريقيا".	جنوب إفريقيا	1991	بحث في تأثير الرأسمالية العالمية والتبشير المسيحي على مجتمع التسوانا	درس كيف عملت العولمة على إحداث تغييرات عميقة في الممارسات الثقافية والدينية والاقتصادية المحلية لمجتمع التسوانا[1]
أرجون أبادوراي، "الحداثة على نطاق واسع: الأبعاد الثقافية للعولمة".	الهند	1996	درس تأثير وسائل الإعلام العالمية والهجرة على الخيال الاجتماعي في الهند	قدم مفهوم "المشاهد " (scapes) لفهم التدفقات العالمية وتأثيرها على الهويات المحلية[2]
أولف هانرز، "الروابط عبر الوطنية: الثقافة والناس والأماكن".	نيجيريا	1996	درس تأثير العولمة على الثقافة الحضرية في مدينة لاغوس	طور من خلال الدراسة جملة من المفهوم لفهم التفاعلات بين الثقافات المحلية والعالمية كالإكوموسية الثقافية[3].
مايكل كيرني، "إعادة صياغة مفهوم الفلاحين: الأنثروبولوجيا في المنظور العالمي".	المكسيك	1996	بحث في التأثيرات الايجابية والسلبية للعولمة على الفلاحين في المكسيك	أظهرت دراسته كيف أدت العولمة إلى إعادة تشكيل الهويات الريفية والعلاقات الاقتصادية عند الفلاح المكسيكي[4].
جيمس واتسون، "الأقواس الذهبية الشرقية: ماكدونالدز في شرق آسيا".	الصين	1997	تأثير سلاسل الطعام العالمية على الثقافة الغذائية في الصين	قام بالتوثيق للكيفية التي تكيف بها ماكدونالدز مع الثقافة المحلية وكيف أثر على العادات الغذائية المحلية[5].

المصدر: إنجاز الطالب بالاعتماد على المراجع المدرجة.

اهتم جون إل كوماروف John L. Comaroff - أستاذ الأنثروبولوجيا والدراسات الإفريقية والأفروأمريكية بجامعة هارفارد - وجين كوماروف Jean Comaroff - أستاذة الدراسات الإفريقية والإفريقية الأمريكية والأنثروبولوجيا جامعة شيكاغو - على سبيل المثال، وبشكل خاص في العمل المشترك

[1] - Comaroff, J & Comaroff J, L. **Of Revelation and Revolution: Christianity, Colonialism, and Consciousness in South Africa**, The University of Chicago Press, Chicago. Volume1, 1991.Pp, 75- 92 :

[2] - Appadurai, Arjun. **Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization**. University of Minnesota Press. 1996. Pp, 25- 55.

[3] - Hannerz, Ulf. **Transnational Connections: Culture, People, Places**. Routledge. London and New York. 1996. In : https://books.google.dz/books?id=TZ7XuqRdW-EC&printsec=frontcover&hl=fr#v=onepage&q&f=false. 19Oct 2024.

[4] - Kearney, Michael. **Reconceptualizing the Peasantry: Anthropology in Global Perspective**. Westview Press. 1996. Pp 62 :

[5] - Samuel Collins. Review of Watson, James L., ed., ***Golden Arches East: McDonald's in East Asia*** . H-PCAACA, H-Net Reviews. August, 1998. **URL:** http://www.h-net.org/reviews/showrev.php?id=2239

الذي جمعهما والمعنون بـ: "عن الوحي والثورة: المسيحية والاستعمار والوعي في جنوب إفريقيا"[1] سنة 1991م Of Revelation and Revolution: Christianity, Colonialism, and Consciousness in South Africa. بدراسة عمليات التحول الاجتماعي والثقافي وكيفية صنع المجتمع الاستعماري وتفكيكه، وطبيعة ما بعد الاستعمار في جنوب إفريقيا. والعمل يظهر كيف أدت العولمة إلى إحداث تغييرات عميقة في الممارسات المحلية الثقافية والدينية والاقتصادية عند شعب تسوانا. تتبعت الدراسة العمليات التي سعى من خلالها المبشرون المسيحيون إلى تغيير عقول شعب تسوانا الجنوبية، وردود الفعل المسجلة جراء ذلك وبالتالي فهي دراسة أنثروبولوجية للمواجهة الثقافية، للهيمنة ورد الفعل، للنضال والابتكار والمقاومة على مدار قرن من الزمن عند مجموعة عرقية هي تسوانا، ولكن الأبعاد المدروسة يمكن أن تمس فئة كبيرة من السود في جنوب إفريقيا ويمكن أن يمتد صداها إلى دول العالم الثالث التي عانت من الاستعمار والتمييز العنصري والعرقي والديني وتزييف الوعي بوعود الحضارة وتخليص شعوبها من الفقر والأنظمة الدكتاتورية واقحامهم في الثقافة الرأسمالية، والأساليب المستخدمة من طرف الشعوب في المقاومة والتكيف والمواءمة. بشكل عام الدراسة تبحث في تشكل الوعي بالاستعمار والهوية الثقافية من منظور أثروبولوجي، وتبرز بذلك الدور الذي تلعبه الأنثروبولوجيا في كشف قدرة المستعمرات على مقاومة الهيمنة الغربية ومواجهة العولمة[2].

في نفس السياق يشتغل أرجون أبادوراي[3] Arjun Appadurai أنثروبولوجي أمريكي من أصل هندي على العديد من المحاور لدراسة العولمة في أبعادها الاجتماعية الثقافية على مدار أكثر من أربعون سنة، بدءً بكتابه الأول: "العبادة والصراع تحت الحكم الاستعماري: حالة جنوب آسيا" سنة 1981م[4] Worship and Conflict under Colonial Rule: A South Indian Case، حاول أبادوراي إعادة

---

[1] - Comaroff, J & Comaroff J, L. **Of Revelation and Revolution: Christianity, Colonialism, and Consciousness in South Africa**, The University of Chicago Press, Chicago. Volume1, 1991. In : https://voidnetwork.gr/wp-content/uploads/2016/08/Of-Revelation-and-Revolution.-Vol-1.-Christianity-Colonialism-and-Consciousness-in-South-Africa-by-John-Comaroff-and-Jean-Comaroff.pdf

[2] - Of Revelation and Revolution, in: https://fr.everand.com/book/22730745/Of-Revelation-and-Revolution-Volume-1-Christianity-Colonialism-and-Consciousness-in-South-Africa. Le: 15/04/2008.

[3]- أنثروبولوجي أمريكي من أصل هندي، شغل مناصب أستاذية في جامعة نيويورك، مدير مركز المدن والعولمة. أنظر: البروفيسور أرجون أبادوراي، جامعة نيويورك، معهد ماكس بلانك لدراسة التنوع الديني والعرقي، على الرابط: https://www.mmg.mpg.de/person/96789/2553 ، شوهد يوم 28 أوت 2013. 5:39.

[4] - Arjun Appadurai, **Worship and Conflict under Colonial Rule**: A South Indian Case, Cambridge University Press, 1981.

النظر في المفاهيم الراسخة المشكلة للممارسات الدينية التقليدية عند الهندوس، وكان الهدف من أعماله الأولى التشكيك في النهج الأنثروبولوجي التقليدي والأطر المفاهيمية والنظرية الأساسية.

سنة 1990م صدر له مقال بعنوان: Disjuncture and Difference in the Global Cultural Economy[1]، "الانفصال والاختلاف في الاقتصاد الثقافي العالمي"، حلل أبادوري في هذا المقال العولمة الثقافية للاستهلاك وقدم فيه مفهوم الاقتصاد الثقافي العالمي، وهو نظام معقد يخص الاقتصاد العالمي بشكل عام، يستنتج منه أبادوراي أبعاد العمليات متعددة التداول للعولمة (Scapes التدفقات أو المناظر)، وتظم هذه التدفقات: تدفقات إعلامية وتخص إنتاج وتوزيع المعلومات والصور عبر وسائل الإعلام عالميا، تدفقات مالية وتهتم بحركة رأس المال في البورصات والأسواق العالمية، تدفقات تقنية وتخص استغلال التكنولوجيا على المستوى العالمي، تدفقات فكرية وتعني تداول الأفكار والإيديولوجيات على المستوى العالمي وأخيرا تدفقات عرقية وتتتبع حركة الناس عبر الحدود وتأثيرهم وتأثيرهم في الثقافات، وفهم التفاعل بين هذه الأبعاد المختلفة والغير متجانسة هو الذي يقودنا إلى فهم التدفقات الثقافية العالمية. ويرى أبادوراي أن هذه التدفقات تتحدى الدولة القومية التقليدية، ويتصور ظهور أشكال جديدة من التنظيم السياسي والاجتماعي متجاوزا حدود الدولة[2].

يقدم أبادوراي عموما رؤية للثقافة كعملية مستمرة من التفاوض وإعادة التشكل وليس كمعطى ثابت ومكتمل، وأن التفاعل بين ما هو محلي وما هو عالمي هو الذي يؤدي إلى أشكال جديدة من الثقافة والهوية. كما يقدم العولمة كفرصة منتجة للاختلاف بدل التجانس الثقافي وهيمنة نموذج واحد ووحيد، وهذا يعني أن العولمة يجب أن تخلق المزيد من التنوع الذي يمكن استهلاكه في أي من بلدان العالم، وتشجع التفاعل بين الأسواق والشركات العالمية والهوية المحلية والاستهلاك المتغيرة، وهو بهذا يعتبر العولمة وسيلة لإثراء الثقافات[3].

في نفس الفترة والسياق اشتغل الأنثروبولوجي السويدي أولف هانرز Ulf Hannerz، على جملة من المفاهيم التي تدرس العلاقة بين الثقافة والعولمة، ويظهر ذلك في مؤلفين رئيسيين له ما بين سنتي 1992م و1996م. وبتعلق الأمر بكتاب: "Cultural Complexity: Studies in the Social Organization of Meaning" "التعقيد الثقافي: دراسات في التنظيم الاجتماعي للمعنى" الصادر سنة

---

[1] - Arjun Appadurai, Disjuncture and Difference in the Global Cultural Economy,Theory, culture and society, Volume 7, Issue 2-3, June 1990, pp 295-310.

[2] - Valizar, Mircov. **Appadurai Arjun**. In. SOCIOPEDIA: Free Online Social Science Encyclopedia, Created; 24 Jul 2023. URL: https://www.sociopedia.co/author/appadurai-arjun , 11 Oct 2024.

[3]- فانشيزو سيشيلي (وآخرون)، **الكوسموبوليتية الجمالية الثقافية واختبار المقارنة: حالة الشباب في فرنسا وتونس**، ترجمة مارتينا مدحت، إضافات: المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، العددان: 51- 52، شتاء – ربيع 2021. ص 63.

1992م. الذي ناقش فيه تعقيدات الثقافة في عصر العولمة، وكتاب: " Transnational Connections: Culture, People, Places" الصلات (الروابط) عبر الوطنية: الثقافة، الناس، الأماكن. الصادر سنة 1996م والذي يقدم فيه وصفا للثقافة في عصر العولمة، ويرى أن المدخل الشامل لفهم الأنثروبولوجيا ودراسة الثقافة المعاصرة، أي فهم الثقافات في سياق معولم متزايد التعقيد، يمكن أن يكون من خلال التعقيد الثقافي الذي يعرفه العالم اليوم بفضل العولمة التي جعلت حدود الدول القومية تتلاشى بفضل الروابط العابرة للحدود التي حولت عددا كبيرا من الناس بفضل الثقافات العابرة للقوميات إلى كوزموبوليتانية Cosmopolitan لهم القدرة على التنقل بين الثقافات والاندماج في أكثر من وثقافة، وبفضل هذا الاندماج تنشأ الثقافة العالمية في مراكز ثقافية متعددة[1].

ثانيا- العولمة والهوية الثقافية:

1- تحول مفهوم الهوية في عصر العولمة:

شكل موضوع الهوية على مر العصور، ولا يزال موضوعا يثير الكثير من الجدل، وتدور حوله صراعات مختلفة فكريا وإيديولوجيا، وبشكل مباشر نجد الموضوع يبرز مجددا في ظل الجدال الدائر حول دور العولمة وتأثيرها على مختلف الثقافات، ونزوعها إلى تسوية العالم وفرض نسق اجتماعي وثقافي موحد، وفسح المجال أمام هيمنة القيم الأمريكية، وهو ما دفع إلى بروز العديد من الأزمات في موضوع الهوية.

فهي من جهة الملاذ الذي يتحصن به من الغزة الفكري الذي أضحى من أشد القضايا خطرا[2]، واستوجب في الكثير من الحالات الدعوة إلى العودة إلى التمسك بالانتماءات القومية، والقبلية، ومنه رفض الآخر والتوجس من التعايش معه ورفض التنوع، وهو ما يمثل أرضية مواتية لبروز الصراعات والحروب بدعوى الحفاظ على الهوية.

وهي عند آخرين عائقا، يقف في وجه التطور والتقدم، يجب أن تتعداه المجتمعات والأمم إذا أرادت أن تلتحق بركب العولمة وما تمنحه من فرص للتقدم والتطور. فليس هناك أخطر من تقوقع الأمم على ماضيها وتمسكها بتاريخها، وبقائها في عزلة بحجة المحافظة على الأصالة. وأزمة الهوية حسب نديم البيطار مثلا، هي مرحلة انتقالية، يتم فيها التحول الجدري إلى المجتمعات الحداثية، على حساب التقليدية التي تعرف

---

[1]- أولف هانرز، **العالميون والمحليون في الثقافة العالمة**، في: مايك فيذرستون، **ثقافة العولمة: القومية والعولمة والحداثة**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000. ص ص، 225- 231.

[2]- أحمد عبد الرحيم السايح، في الغزو الفكري، سلسلة كتاب الأمة، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1993، ص 41.

الانكماش في شتى الأبعاد، وتعتبر العودة إلى مسلمات الهوية كنتيجة، لفشل السياسات المعتمدة في مواجهة العولمة[1].

فإذا كانت الهوية تقليديا يستمدها الفرد من العائلة، معتمدا على وروابط القرابة والدم، وكانت المفهوم يرتبط بدوائر الانتماء القريبة تاريخيا وجغرافيا، فإن العولمة عملت على إعادة تشكيل الهويات، من خلال توسيع دائرة المعارف والانتماءات في عالم أوسع، ولم تعد الهوية في كثير من الأحيان تعبر عن تلك الانتماء العائلية، أو العشائرية أو القبائلية، بظهور أطر تجمع الأفراد بعيدا عن تلك التقليدية، وتشكل روابط جديدة تجمعهم على أساس الاهتمامات والمصالح المشتركة، وهو ما دفع بهم إلى إعادة تعريفهم لأنفسهم، وهو ما يعبر على تحولات الهوية وطرح المفهوم بشكل جديد.

وحتى ارتباط المفهوم بالخصوصية الثقافية لم يعد يطرح بتلك الحدة، التي كانت تطرح بها المسألة خلال سنوات السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي على خلفية مسألة الغزو الفكري وصراع الحضارات، بل أصبحت تدرس كعملية تتشكل باستمرار من خلال التفاعل مع المتغيرات العالمية.

2- ظهور الهويات العابرة للحدود الوطنية:

في هذا الإطار، تسجل الدراسات والآراء القائلة بالتأثير السلبي للعولمة على الهوية الوطنية، هذه الأخيرة التي عرفت تحولات جدرية في طبيعتها وتجلياتها، حيث تجاوزت التصورات التقليدية وارتباطها بالحدود السياسية والانتماءات المحدودة، حيث يشير أبادوراي في هذا الشأن، أن مفهوم الهوية لم يبقى ضمن تلك الحدود التقليدية، والمحدودة في النطاق الجغرافي، وأصبح يتطلب إعادة صياغة مكانية وزمانية للنظرية الاجتماعية برمتها.

فبفضل التدفقات الإعلامية، ودور وسائل الاعلام الثقافي بشكل خاص في اختراع الهويات، يتصور أبادوراي في كتابه "الحداثة على نطاق واسع: الأبعاد الثقافية للعولمة، الصادر سنة 1996م" Modernity at Large : Cultural Dimensions Of Globalization، أن العولمة تتحدى الأفكار التقليدية للدولة القومية والهويات الوطنية –لكنه لا يلغيها-، بل يرى أنها بحاجة إلى فهمها لذاتها بطريقة جديدة، تعتبر من خلالها نفسها لبنة في بناء عابر للحدود الوطنية المعقدة[2].

3- تحديات الحفاظ على الخصوصيات الثقافية:

[1]- محمد حسن البرغثي، الثقافة العربية والعولمة: دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2007، ص 114.

[2]- Arjun Appadurai, Modernity at Large: Cultural Dimensions Of Globalization, Public Worlds, Volume1, University of Minnesota, Minneapolis, London, 1996, p36.

يرى اتجاه بارز في دراسة العلاقة بين الهوية والعولمة، أن هذه الأخيرة تعمل على احداث تحولات عميقة في البنية الثقافية للمجتمعات المعاصرة، وهو ما يجعلها تواجه تحديات كبيرة للحفاظ على خصوصيتها الثقافية وتفردها، وحسب أبادوراي أحد أبرز ممثلي هذا الاتجاه فالمشكلة تتمحور حول تصاعد التوترات بين ما هو عالمي وما هو محلي، الشيء الذي يعتبر تحديا في طريق استمرارية الثقافات المحلية، نتيجة للصراعات الهوياتية التي أفرزتها تلك التوترات[1]، وهو ما يجعل الهوية محل تفاوض مستمر فيما يتعلق بثقافة الآخر عبر مختلف الأزمنة والأمكنة، هذا التفاوض يجسد الطريقة التي يجب أن تكون عليها هوية ما في مجتمع ما، أي أن تتماها مع أسلافها، أو تسلك دروب العولمة وتتنكر لتراثها.

في هذا السياق يرفض ستيوارت هول Stuart Hall (1932 -2014م) الدفاع عن العودة إلى التقليدية المغلقة، وفي نفس الوقت يرفض الركون إلى الهيمنة الثقافية العالمية، وضغوط العولمة، وتأثير وسائل الاعلام. وللخروج من المأزق يدعوا إلى ضرورة فهم الهويات المتعددة، وهذا يفسح المجال للنظر إلى العديد من الأطروحات التي موضوعها الهوية في هذا السياق، على سبيل المثال أطروحة الجذور والطرق لجيمس كليفورد James Clifford (مولود سنة 1945م)[2]، الذي تجاوز الجذور الثابتة للثقافة ونقائها، وقدمها كعملية في تغير مستمر، كما أنها متداخلة ومتفاعلة مع غيرها من الثقافات، مما يجعل من المرجعيات الثقافية متعددة بدورها، وبالتالي تعدد الهويات، تشتتها، وتحولها عن الانتماءات الثقافية الأولية، وهو ما يسمى بأزمة الهوية.

ولمواجهة هذه التحديات هناك العديد من الاستراتيجيات المقترحة، صامويل هنتنجتون Samuel Huntington (1927- 2008م) مثلا، يقترح القبول بسيطرة الثقافة الغربية، ويدعو إلى فتح الآفاق أمام التوسع والهيمنة الأمريكية[3]. بينما يرى آخرون ضرورة العمل المشترك على المستوى الإنساني، لمقاومة الهيمنة الثقافية والعمل تمكين التعايش بين الثقافات، أو فكرة المجتمع الهجين التي طرحها نيستور غارسيا كانكليني[4] Nestor Garcia Canclini والتي وضع لها جملة من الاستراتيجيات تهدف إلى حماية التنوع الثقافي، كدعم المبادرات المحلية، تعزيز البرامج الثقافية، الفهم المتجدد للخصوصية، وتعزيز التواصل بين

---

[1]- Al-Etaibi, A. Identity and Globalisation: Tribal Identity in the Age of Social Media. In: Rahman, M.M., Al-Azm, A. (eds) Social Change in the Gulf Region. Gulf Studies, vol 8. Springer, Singapore. 2023. https://doi.org/10.1007/978-981-19-7796-1_3

[2]-Madeleine Laurencin and Sneharika Roy, "**Inside/Out: Negotiating Multiple Identities in a Globalized Postcolonial World. Introduction**", *Commonwealth Essays and Studies* [Online], 36.2 | 2014, Online since 15 April 2021, connection on 02 November 2024. URL: http://journals.openedition.org/ces/5158; DOI: https://doi.org/10.4000/ces.5158

[3]- محمد حسن البرغثي، مرجع سابق، ص 138.

[4]- فارس اشتي، **النظرية الجنوبية: علم الاجتماع والديناميات العالمية للمعرفة**، عمران، العدد 9/35، شتاء 2021، ص ص 196- 197.

الأجيال. وتهدف هذه الاستراتيجيات إلى الحفاظ على التوازن بين الانفتاح العالمي والمحافظة على الخصوصية الثقافية، وتتطلب لأجل تجسيدها جهودا متكاملة على جميع المستويات، الفردية، الجماعية والمؤسساتية.

ثالثا: العولمة والفضاء الافتراضي:

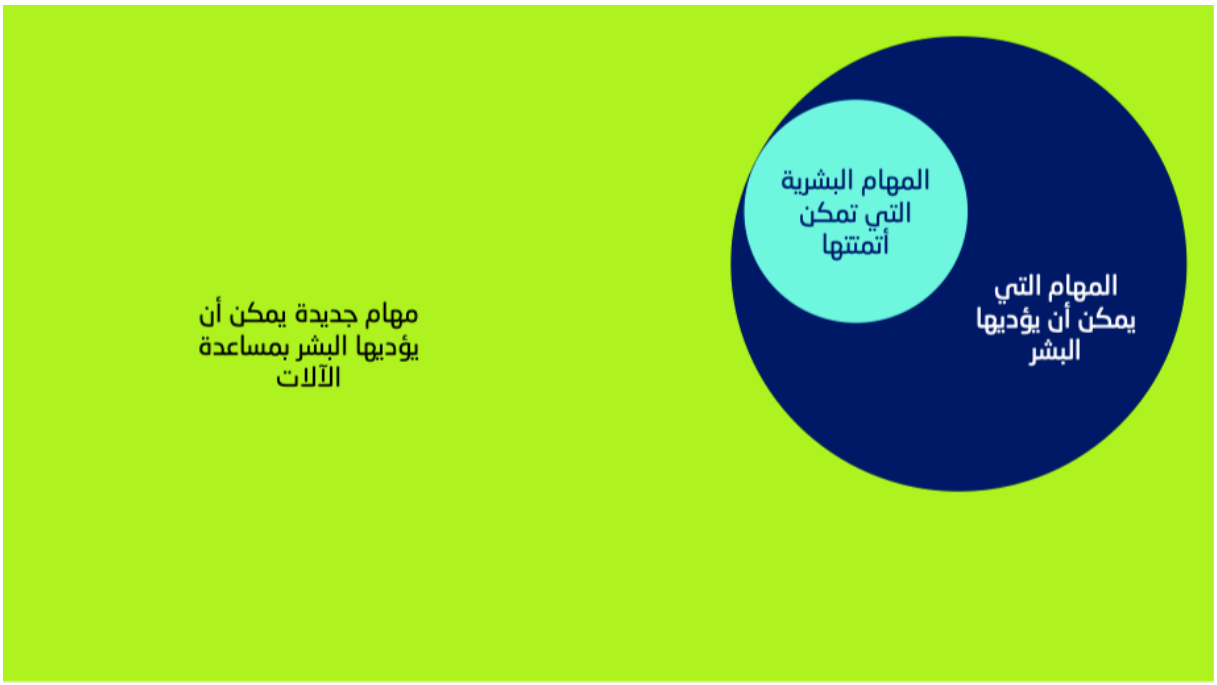
1 - دور التكنولوجيا الرقمية في تسريع عمليات العولمة:

تعرف العولمة في هذا السياق على أنها ثورة علمية تكنو-اجتماعية، وإن كانت التقنية قد ساهمت منذ زمن في دعم مسارات العولمة والدفع بها قدما وتسريعها، قد يكون الأمر بشكل غير محسوس لكن التقنية فعلا غيرت الحياة، بدءً بالجانب الاقتصادي الذي يعتبر عصب الحياة، فبفضل الآلة مهمة العولمة أصبحت أسهل، عن طريق المحركات التي تشغل السيارة، الباخرة والطائرة، ورسالتها أصبحت أسرع بفضل الفاكس، الراديو، التلفاز... قبل أن تصل إلى الأنترنت، وكما يشير لاندرون فينر Langdon Winner فإن كل الأشياء لها محتوى سياسي، أي أن التقنية لها نتائج اجتماعية، سياسية وبيئية[1].

فالجلي اليوم هو أن العالم تسارع في تطوره، وتحكم البشرية في التكنولوجيا دفع بها إلى التحكم في شتى المجالات، حيث نسجل اختصار الوقت، الجهد، تحسين الأداء ومؤازرة النشاط البشري. والشكل الموالي – الشكل رقم ()- يوضح حجم المهام الجديدة التي يمكن أن يؤديها البشر بمساعدة الآلات المعززة بالذكاء الاصطناعي، مقارنة بالمهام التي يمكن أن يؤدونها والمهام التي تم إنجازها فعلا. ويلاحظ أن الفرصة التي تمنحها الآلات في العصر الرقمي مدعمة بالذكاء الاصطناعي تمثل فرصة لم تسبق أن حضت بها البشرية.

[1]- إدوارد غولد سميث، وجيري ماندير، **محاكمة العولمة، الجزء الأول: محركات العولمة**، الطبعة الأولى، ترجمة رجب بودبوس، المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 2002، ص 96.

شكل رقم 3: مخطط يوضح مجال استخدام الذكاء الاصطناعي لمؤازرة النشاط البشري.



المصدر: مكتب تقرير التنمية البشرية، لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، بالاستناد إلى: Brynjolfsson 2022

في المجال الاقتصادي مثلا وفي هذا السياق، يرى ريتشارد بارنيت Richard J, Barnet، وجون كافاناك John Cavanagh، أن النقود على سبيل المثال، في هذا العصر الذي أصبح فيه العالم تقني معولم، تحررت من الارتباطات المكانية، أي من موطنها الأصلي، ومن كل الروابط التي كانت تمثل مصدر قيمتها. فتقنيات المعلوماتية من خلال النظام الشبكي السوفت وير، غيرت العمليات البنكية بطريقة لم يسبق أن فعلها أي نشاط اقتصادي، حيث أصبحت العمليات البنكية العالمية تتم بكبسة زر[1]، والمعاملات المالية تتم عبر الهواتف الذكية من أي منطقة وإلى أي منطقة في العالم، دون قيود أو حدود، وهو ما يمثل فرصة وتحدي في نفس الوقت لما تنطوي عليه مثل هذه العمليات من أخطار من شأنها أن تهدد الاقتصاد العالمي، لسرعة انتقال العدوى في حال الأزمات الاقتصادية مثلا.

بشكل عام أصبحت الأنترنت بفضل التكنولوجيا الرقمية عاملا أساسياً في تسريع العولمة والدفع بها إلى الأمام في السنوات الأخيرة.

[1]- ريتشارد بارينت، وجون كافاناك، **اقتصاد الكازينو**، في: إدوارد غولد سميث، المرجع السابق، ص ص، 112- 155.

3 ـ تشكل المجتمعات الافتراضية العالمية:

من خلال التحليل السوسيو- ثقافي يلاحظ أن تعميم استخدام التكنولوجيا الرقمية والأنترنت، سمح بتشكيل مجتمعات افتراضية، حيث تجمع الفضاءات الرقمية أفراد وجماعات من مختلف أنحاء العالم، ومن ثقافات متنوعة، يجمع بينهم اهتمامات مشتركة، أو أهداف معينة، تعتمد هذه المجتمعات على التواصل الرقمي عبر ما يسمى شبكات التواصل الاجتماعي، ومنصات أخرى كالمنتديات ومجموعات التعلم أو العمل عن بعد. ونتيجة للأثر الكبير الذي تتركه هذه المجتمعات على المجتمعات البشرية على مختلف الأصعدة الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية وحتى السياسية، مما جعل منها ظاهرة من المهم دراستها وفهم ما يحيط بها وينتج عنها[1].

تتميز هذه المجتمعات في المقام الأول بتقارب جغرافي غير محدود إلى درجة إلغاء الحدود والمسافات، حيث أتاحت للأفراد تخطي الحدود الجغرافية والتواصل العالمي الآني أو الفوري، وهو ما من شأنه أن يقوي العلاقة بين الثقافات ويجمع الأفراد والمجتمعات من خلفيات اجتماعية وثقافية متنوعة، ويفتح الباب أمام التعاون العالمي في شتى المجالات ويسد الفجوات الثقافية بين مختلف الشعوب.

تتشكل هذه المجتمعات في الغالب من أفراد تجمعهم اهتمامات مشتركة، كالهوايات أو التخصص المهني أو العلمي، أو الالتفاف حول قضية تشكل مسألة نضال سياسي أو اجتماعي...، هذه الاهتمامات تكون الدافع لربط الأفراد بعضهم ببعض، وتكون عاملا لتعزيز الشعور بالانتماء بين أفراد هذا المجتمع، ومنه فالأنترنت تمكن من تشكيل روابط اجتماعية جديدة انطلاقا من الاهتمامات المشتركة بين مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي[2]، وإن كان عدم التفاعل المباشر وجها لوجه، يؤثر على هذه الروابط والعلاقات فتكون سطحية، مصطنعة عكس ما تكون عليه في الواقع، حيث تكون عميقة وحقيقية[3].

بشكل ما تشكل إذا شبكات التواصل الاجتماعي تحولا للمجتمعات البشرية في كيفية تفاعل الأفراد، وتشكيل الهويات الثقافية والاجتماعية، من خلال خلق ثقافة عالمية مشتركة بموجب التواصل الغير محدود والتبادل الواسع للأفكار.

---

[1] - Castells Manuel, **The Rise of the Network Society**, Wiley – Blackwell, 2010, P279.

[2] - Driskell, R. B., & Lyon, L. **Are Virtual Communities True Communities? Examining the Environments and Elements of Community**. *City & Community*, 1(4), 373-390, 2002. https://doi.org/10.1111/1540-6040.00031

[3] - Ahmad Mousa, "**Sherry TURKLE, *Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other***", *Questions de communication* [Online], 38 | 2020, Online since 01 December 2020, connection on 15 March 2025. URL: http://journals.openedition.org/questionsdecommunication/24739; DOI: https://doi.org/10.4000/questionsdecommunication.24739

3 ـ تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الهويات المحلية والعالمية:

تشير الدراسات في هذا الشأن أن شبكات التواصل الاجتماعي تعتبر وسيلة قوية لتشكيل الهويات، فردية كانت أو جماعية، على المستوى المحلي أو العالمي، حيث تعد هذه الشبكات أداة فاعلة تمكن الأفراد من مشاركة تجاربهم الشخصية واهتماماتهم، الشيء الذي يساهم في تشكيل هوياتهم، كما أن استخدام الوسائط التكنولوجية الاجتماعية يسمح للأفراد أن يقوموا بأدوار أساسية في تحفيز العمل الجماعي، من خلال نشر الأفكار وتفعيل شبكاتهم الاجتماعية[1].

تنقسم الآراء في هذا السياق بين من يرى أن تأثير هذه الشبكات سلبي على الهويات المحلية مقابل تشكل هويات عالمية، ومن يرى أن هذا التأثير إيجابي على الهوية بشكل عام، فوسائل التواصل الاجتماعي تلعب دورا محوريا في الحفاظ على هوية الأفراد والجماعات المحلية، من حيث توفيرها مجال واسع للتعبير عن الاهتمامات التي تعكس هويتهم وتساعد على ابرازها وتعزيز فهمها من خلال التفاعل بين جماعات تنتمي لنفس تلك الثقافات، والاعتزاز بتلك الانتماءات، والعمل على نشر التراث الثقافي المحلي على نطاق واسع، ومنه تحدي الصور النمطية للثقافات المهيمنة، وإن كانت النظرة السائدة للأنترنت تعتبرها أداة لتعزيز العولمة التي تعمل على تكثيف العلاقات الاجتماعية العالمية على حد تعبير أنتوني غيدنز، وتكثيف الوعي بالعالم ككل حسب رأي رولاند روبرتسون[2].

تنطلق الفكرة الأساسية لهذا الطرح من كون العولمة تشكل خطرا على الهويات المحلية، وأشد أشكالها خطورة عولمة الثقافة، لأنها تحمل في طياتها فرض ثقافات المجتمعات المهيمنة على باقي المجتمعات[3] مما يؤدي إلى ضعف الثقافات المحلية وتشتت الهوية المرتبطة بها، وهذا يستدعي مجابهتها ورفضها والتوجس من وسائلها التي يأتي على رأسها في هذا المقام وسائل التواصل الاجتماعي، التي أصبحت مركزا لمختلف التفاعلات الاجتماعية، الاقتصادية والمهنية. وإن كانت شيري توركل Sherry Turkle في هذا الصدد تدافع في أعمالها السابقة على الأنترنت وتعتقد أنها تسمح باستكشاف هويتنا وإعادة النظر في المفاهيم السائدة حول الذات والعالم، إلا أنها في كتاب Alone Together: Why We Expect More from

---

[1] - Bennett, W. L. (2012). **The personalization of politics: Political identity, social media, and changing patterns of participation**. *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science*, 644(1), 20-39. https://doi.org/10.1177/0002716212451428

[2] - Lauren Movius. "**Cultural Globalisation and Challenges to Traditional Communication Theories.**" *PLATFORM: Journal of Media and Communication* 2, no. 1 (January 2010): 6–7.

[3] - جمال نصار، **الهوية الثقافية وتحديات العولمة**، مركز الجزيرة للدراسات، تم نشره بتاريخ: 28 يناير 2015، على الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/issues/2015/01/201512895243715948.html ، آخر معاينة بتاريخ: 21 مارس 2025. 17:35.

Technology and Less from Each Otheer الصادر سنة 2011م، تعرب عن قلقها من عدم الارتياح من الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا وما تفرضه من ضغوط على الحياة اليومية جراء بناء هوية مزدوجة داخل وخارج تلك الفضاءات، ومحاولة الموازنة بينهما[1]، وهو ما يعني أن النظرة لتأثير شبكات التواصل الاجتماعي تتأرجح على الدوام بين رافض متوجس منها ومتحمس لها، وبينهما رأي وسط يرى فيها حتمية تاريخية يجب المرور عبرها مع أخذ تدابير الوقاية منها من خلال ضرورة مراقبتها وعقلنة الاستخدام وفق ما يخدم الثقافات المحلية والحاجة إليها.

رابعا: الهجانة الثقافية في العصر الرقمي:

1 - مفهوم الهجانة الثقافية وعلاقتها بالعولمة:

تعتبر الهجانة الثقافية من أهم آثار التفاعل بين مختلف الثقافات، بموجب العولمة. حيث تتداخل مختلف الثقافات عبر العالم، مما يمكن لها أن تؤثر وتتأثر ببعضها، وتتبادل العديد من العناصر الثقافية، مما خلق مزيجا هجينا من العادات والتقاليد والثقافات بشكل عام في مختلف مجالات الحياة.

التهجين الثقافي إذا هو ظاهرة ثقافية، تنشأ نتيجة للتفاعل والتبادل بين مختلف الثقافات. عرف هذا المفهوم تطورا كبيرا بموجب العولمة التي مكنت لهذه الظاهرة من خلال تسهيل الربط بين مختلف الثقافات عن طريق عمليات التنقل والحركة البين ثقافية، والتطور الكبير لوسائل التواصل عن طريق الأنترنت التي جعلت التفاعل بينها أكثر مرونة[2].

تأتي فكرة الهجانة الثقافية في السياق العولمي مقابل الفكرة القائلة بأن العولمة قوة تحقق التجانس الثقافي، أي أن الهجانة إطار لمقاومة العولمة، فحسب هومي بابا Homi Bhabha بدل الاستسلام لنسق ثقافي واحد تعمل الشعوب بموجب التهجين إلى خلق أو بناء مساحة ثالثة، بينية أو هجينة، نتيجة للتفاعل بين الثقافات[3]، وبالتالي تثرى من خلالها الثقافات بدل إلغائها، وهو ما يتطلب تبني نهج نقدي متوازن في التعامل مع العولمة، بعيدا عن رفضها جملة وتفصيلا أو تبنيها بشكل كامل.

---

[1] - Garcia, Patricia. Review: Alone Together: **Why We Expect More from Technology and Less from Each Other by Sherry Turkle**. *InterActions: UCLA Journal of Education and Information Studies*, Vol 8, no.1 (2012). http://dx.doi.org/10.5070/D481011824 Retrieved from https://escholarship.org/uc/item/35k2p4b6

[2] - Fatih Fuat Tuncer, "**Discussing Globalization and Cultural Hybridization**". *Universal Journal of History and Culture*. Vol 5, no. 2 (October 2023): 85-103, p87. https://doi.org/10.52613/ujhc.1279438.

[3] - Susmita Bhattacharya, "**Cultural Identity and Beyond: Hybridization of Culture in Global Context: A Critical Analysis,**" *Quest Journals Journal of Research in Humanities and Social Science* 10, no. 7 (2022): 75.

يطرح هومي بابا مفهوم الهجانة الثقافية في سياق الدراسات ما بعد الاستعمارية، ويحاول من خلالها تفكيك المركزية الغربية من خلال خلق مساحة ثالثة تساهم في إنتاج هويات جديدة تحترم مكونات الهويات الغير مركزية أو المحلية، وفي هذا السياق تنطبق مقولة الكاتب الجزائري مولود فرعون حين قال: " أكتب بالفرنسية وأتكلم بالفرنسية لأقول للفرنسيين أني لست فرنسيا "، حيث استعمل لغة المستعمر كوسيلة ليعبر عن تمايزه واختلافه عنه.

2- تشكل الهويات الهجينة في الفضاء الافتراضي:

توفر الفضاءات الافتراضية على غرار شبكات التواصل الاجتماعي بيئة متعددة السياقات الاجتماعية، وهي بيئة تتميز بتعدد الأعراق، اللغات والثقافات بشكل عام، هذه البيئة تساهم بشكل كبير في ظهور ثقافات هجينة، تنعكس في حركة الفن والإبداع بصفة خاصة، وفي كل مظاهر الحياة بشكل عام بوصفه عملية تخصيص وإعادة تشكيل عناصر ثقافية متباينة[1].

في هذا الصدد ترى Alexandra Saemmer وهي تبحث إمكانية ظهور الثقافات البديلة في البيئة الرقمية، أن الأنترنت منذ بدايته كان وسيلة جد مواتية لجمع جميع أنواع الثقافات المضادة، وبالتالي تشكيل فضاء ثقافي بديل في وجه الإكراهات الاقتصادية والسياسية[2]، باعتبار أن البيئة الرقمية وما تطرح فضاءات افتراضية تفسح المجال لعالم أفقي غير تراتبي يسمح لجميع المستخدمين والفاعلين فيه من التعبير، ويمنحهم فرص متساوية لبناء هويتهم والتعبير عنها، وإن كانت بعض الآراء ترى فيه مجالا حيويا جديدا للشركات الرأسمالية لممارسة سلطتها من جديد في إطار ما يسمى الإمبريالية الثقافية، التي حولت الفضاءات الرقمية على شبكة الانترنت إلى ساحة للصراعات الاجتماعية، بين قوى مهيمنة ومحاولات للتحرر منها فتنبثق عنها الهويات الهجينة التي تحاول التماهي مع تلك القوى من جهة وتستأنس بمقومات خصوصيتها من جهة أخرى، فهذه الفضاءات عادة ما تكون غير محايدة، ولكنها تعتبر ساحة للصراع وإعادة توزيع موازين

---

[1] - Live Yu-Sion, "**Illusory identities and cultural hybridity among the "Sinoi" on Reunion Island**", *China Perspectives* [Online], 49 | september-october 2003, Online since 17 January 2007, connection on 05 April 2024. URL: http://journals.openedition.org/chinaperspectives/650 ; DOI: https://doi.org/10.4000/chinaperspectives.650

[2] - Alexandra Saemmer, « **Cultures numériques : alternatives** », *Hybrid* [En ligne], 3 | 2016, mis en ligne le 15 décembre 2016, consulté le 06 avril 2024. URL : http://journals.openedition.org/hybrid/929 ; DOI : https://doi.org/10.4000/hybrid.929

القوى، وتمنح الفرص لمقاومة الهيمنة عن طريق التهجين[1]. وفي هذا الإطار ترى نظرية الهوية الاجتماعية أن المستخدم يميل إلى تعزيز الروابط داخل الجماعة التي ينتمي إليها، وهو ما يحدث في شبكات التواصل الاجتماعي بالانتماء إلى مجموعات تشمل هويات مشتركة بين المستخدمين الذين يعملون على المحافظة على الهويات الجماعية المشتركة[2]، أي أن الأفراد من خلال الانخراط في الفضاءات الافتراضية على غرار شبكات التواصل الاجتماعي وباختيارهم لفضاء (مجموعة) دون أخرى، هذا الاختيار في حد ذاته يعتبر تعبيرا عن ميول هوياتية يؤكدونها من خلاله الانتماء لمجموعة معينة، أي أنهم يحسمون مسألة الصراع بالتأكيد على الانتماء.

في سياق دراستنا تقع الهوية الافتراضية بين رهانين، الأول مسايرة التغيرات التي تجتاح العالم وتهدد الهويات المحلية، والثاني المحافظة على هوية أصيلة تتمتع بتمايزها عن الهويات التي تجتاح تلك الفضاءات، وهو ما يرى فيه أبادوراي شيء غير ممكن، فهو يرفض وجود هويات أصيلة كون المد العولمي أجتاح الجميع، وفرض على الهويات المحلية طرق عديدة من التهجين كأسلوب مقاومة بما فيها تلك الهويات التي تظهر على شبكات التواصل الاجتماعي.

3 ـ دراسات حالة تشكل الثقافة الهجينة على شبكات التواصل الاجتماعي:

في سياق عرض حالة للتهجين الثقافي والهوية على شبكات التواصل الاجتماعي، حظيت اللغة باهتمام بالغ من قبل الدارسين في مختلف التخصصات العلمية على غرار علوم اللغة، علم الاجتماع، علم النفس والأنثروبولوجيا، وسعت العديد من الدراسات إلى الكشف عن الممارسات اللغوية في مختلف الفضاءات الرقمية، ومنها شبكات التواصل الاجتماعي والفيس بوك بشكل خاص.

تحت اسم اللغة الهجينة تتم دراسة اللغة المكتوبة المتداولة على شبكات التواصل الاجتماعي، وتكون عادة مزيج يجمع كلمات اللغة العربية الفصحى، تعابير عامية، كلمات أجنبية بحروف عربية، أرقام، رموز...، ويطلق عليها مصطلح "العربيزي – Arab-Ez" وهي ممارسات يرى فيها البعض تهديدا للفصحى وتحد من وجودها الرقمي[3]، وتعرفها اللسانيات الاجتماعية بكونها لغة مختلطة تنشأ من تمازج

---

[1] - Lisa Nakamura, ***Digitizing Race: Visual Cultures of the Internet.*** Minneapolis: University of Minnesota Press, 2008, P12.

[2]- محمود محمد حمدي سلامة، **هوية الشباب بين الواقع ووسائل التواصل الاجتماعي "دراسة سوسيولوجية للحالة المصرية"**، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مركز البحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد 100، يونيو 2024، ص ص، 159- 160.

[3]- أحلام سعيدي وخولة طالب الإبراهيمي، **لغة الطلبة الجامعيين من خلال مواقع التواصل الاجتماعي: دراسة تحليلية لبعض الممارسات اللغوية في صفحات الفيسبوك**، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 12، العدد 02، جوان 2021، ص 329.

أنظمة للغتين أو أكثر، أي أنها نظام لغوي جديدة ناتجة عن تمازج لغوي، يمكن التواصل من خلاله وإن كان لا يرقى إلى أن يكون لغة مضبوطة القواعد[1].

ومن الأمثلة المتداولة في؛ نجد مثلا كتابة نعم بهذا الشكل: " Na3am "، وإن شاء الله بهذه الطريقة: " Inshallah "، أحلام سعيدة: " A7lleme sa3ida "، وكلمات اللغة الأجنبية مثلا: Ok تكتب: "أوكي"، لا مشكل: " NP " اختصارا لـ: No problem[2]. هذه الأمثلة تظهر كيف أن اللغة المكتوبة على صفحات شبكات طالها التهجين في محاولة من طرف المستخدمين للتكيف مع متطلبات العالم الرقمي الذي فرض مثل هذا النمط من التهجين، من جهة أخرى هذه الظاهرة تعبر بشكل آخر عن الصراع الثقافي الذي يتكشف على ساحة هذه الفضاءات الرقمية بين ثقافة محلية متمسك بها وثقافة عالمية وافدة تريد ترسيخ وفرض نفسها، فيلجأ المستخدمين من خلال التهجين كمحاولة للتعبير عن تمسكهم باللغة الأم من جهة وتهجينها برموز لغوية لاتينية، مع استخدام رموز من ابتكار جيل الأنترنت، وهي ممارسات عالمية يتواصل من خلالها جميع مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.

4- استراتيجيات المقاومة الرقمية للهيمنة الثقافية العالمية:

في إطار دراسة هيمنة الإمبريالية الثقافية العالمية، تأتي دراسة المقاومة الرقمية لهذه الهيمنة وتطرح العديد من الدراسات استراتيجيات منبثقة عن الممارسات الرقمية التي تبدو في أغلب الأحيان عفوية وغير هادفة لمقاومة شيء ما غير منسجم مع ثقافة مستخدميها، إلا أنها تأسس لإعادة صياغة السرديات المهيمنة أو التي تحاول أن تكون كذلك، فيتحول الفاعلون دون تخطيط مسبقا ومن خلال ممارساتهم الرقمية، إلى أعوان لمقاومة الإمبريالية الثقافية الرقمية.

ضمن هذا السياق تضم الاستراتيجيات جملة من الوسائل المستخدمة والممارسات الملتزم بها[3] من قبل من يمكن تسميتهم بأعوان المقاومة وهم مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في سياق ثقافة مقاومة، وفي هذا السياق يتم رصد العديد من الاستراتيجيات بالإضافة إلى التهجين، على غرار بناء شبكات بديلة مثل الهاشتاغات النشطة، المجموعات الخاصة وحتى المنصات المستقلة التي تضع شروطا للانتماء إليها وفق ما يخدم حماية الهوية الثقافية لمجموع المنتمين، كالمجموعات العائلية، المهنية، التعليمية، الدينية، النشاطات الترفيهية، الرياضية، السياسية... وغيرها من المجموعات، كما يشترط النشر في هذه المجموعات لمواضيع بعينها تخدم ما يمكن أن نصطلح عليه الخط الافتتاحي لكل مجموعة، وتدعم مشاعر الانتماء

---

[1]- نفس المرجع، ص 335.

[2]- صافية كساس، **الاستعمال اللغوي في وسائل التواصل الاجتماعي عند الشباب العربي- الواقع والأسباب والآثار**، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8، عدد 3، سنة 2019، ص 456.

[3]- شهاب اليحياوي، **العفوي والموجه في الفعل الإنساني**، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، عدد 09، تموز/يوليو 2014، ص 169.

وتعزز الثقة بين أفرادها. فحسب تقرير The GovLab لسنة 2021م الانتماء لهذه المجموعات يمنح فعلا شعور قوي بالانتماء رغم البعد المادي، كما أنها تعمل على جذب القادة المهمشين ببناء مجتمعات جديدة عجزوا على تشكيلها في الواقع، كما وضح التقرير إلى أن هذه المجموعات لها معايير ثقافية مضادة[1].

ويكشف نفس التقرير على مجموعة من السمات الأساسية المشتركة، والتي تميز هذه المجموعات الافتراضية، كالقدرة على الفائقة على التنظيم والسرعة في تشكيل هذه المجموعات وإمكانية تجاوز كل الحدود الزمانية والمكانية، وسهولة الوصول إلى أشخاص من مختلف أنحاء العالم، وبالإضافة إلى التكلفة الزهيدة، واستقطاب مختصين في مختلف المجالات، فضلا عن تدليل العقبات اللغوية واستخدام لغة الرموز، وبهذا تكون هذه المجموعات الافتراضية قد أحدثت بفضل التطور التقني تحولا جذريا في مفهوم التجمعات البشرية، بإلغائها القيود المادية والإكراهات الثقافية، ومكنت الأفراد من التأسيس لهويات جماعية تتجاوز الحدود المرسومة تقليديا[2].

بشكل عام تعتبر هذه الشبكات البديلة بيئة جد مناسبة لنشأة الخطابات الجماهيرية المضادة التي رأت فيها نانسي فريزر Nancy Fraser ساحات منفصلة موازية لتلك المهيمنة، أين يتم إنتاج وتداول خطابات بديلة تهدف إلى تحدي السرديات القائمة وتعيد تعريفها لذاتها[3] كشكل من أشكال مواجهة السرديات الثقافية المهيمنة على الفضاءات الرقمية، ففي الوقت الذي اعتقد فيه العديد من الباحثين أن الفضاءات الرقمية ستشكل بيئة أفقية لنمو الحريات الفردية والجماعية، نظر إليها غيرهم على أساس أنها وسيلة لهيمنة الرأسمالية عن طريق تسليع البيانات واستغلالها لأغراض ربحية كدراسة الاحتياجات وصناعة الاشهار، والترويج لديمقراطية صورية، وبالتالي أصبح مجالا لهيمنة أكثر للثقافات المركزية على حساب الثقافات الهامشية، وهو ما خلق ما يمكن أن يسمى بفضاءات موازية لتكسير تلك الهيمنة.

---

[1] - تقرير The GovLab، قوة المجتمعات الافتراضية، فبراير 2021، متاح على الرابط: https://virtual-communities.thegovlab.org/files/DTR_report_ar_AR.pdf، تم معاينته بتاريخ 2023/03/11.

[2] - نفس المرجع.

[3] - Nancy Fraser, "**Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy**." *Social Text*, no. 25/26, 1990, p. 67. JSTOR, https://doi.org/10.2307/466240.

خلاصة

تعمل العولمة الرقمية إذا على إعادة تشكيل الهوية الثقافية من خلال تفاعل دينامي بين الخصوصية المحلية والتأثيرات العالمية. فبفضل شبكات التواصل والفضاءات الافتراضية، أصبحت الهوية غير ثابتة، بل تخضع لعملية مستمرة من التفاوض والبناء بين الانتماءات التقليدية والتدفقات الثقافية العابرة للحدود. هذا التفاعل أفرز ظهور هويات هجينة تمزج بين العناصر المحلية والعالمية، كما يتجلى في ظواهر مثل "العربيزي" والممارسات الرقمية المتعددة الثقافات. وتشكل هذه الهويات استجابة تكيّفية للتحديات التي تطرحها العولمة، حيث يحاول الأفراد الحفاظ على أصالتهم مع الانخراط في السياق الرقمي العالمي.

في مواجهة هيمنة الثقافات العالمية، يطور المستخدمون استراتيجيات مقاومة رقمية كإنشاء شبكات بديلة ومجتمعات افتراضية مغلقة، واستخدام الخطابات المضادة. وبذلك يصبح الفضاء الرقمي ساحة لصراع هوياتي، حيث تسعى الهويات المحلية إلى التأكيد على وجودها وتميزها في عالم يزداد ترابطاً وتشابكاً.

الفصل الرابع

شبكة الأنترنت ورقمنة الحياة

من العالمي إلى المحلي

الفصل الرابع: شبكة الأنترنت ورقمنة الحياة من العالمي إلى المحلي.

تمهيد:

أولا: التطور التاريخي للإنترنت

1- نشأة وتطور الإنترنت والدراسات الاجتماعية المرتبطة بها.

1-1- مرحلة النشأة 1960- 1990م.

2-1- مرحلة الويب 1 1990-2000م.

3-1- مرحلة الويب 2، الويب الاجتماعي 2000- 2010م.

2- تحولات استخدام الإنترنت عالمياً.

2-1- البحث عن المعلومات.

2-2- التواصل الاجتماعي.

2-3- التجارة الإلكترونية.

3- نمو عدد المستخدمين والفجوات الرقمية.

ثانيا: واقع الأنترنت في الجزائر.

1- بداية الأنترنت في الجزائر.

2- تطور استخدامات الأنترنت في الجزائر.

2-1- احصائيات الاستخدام.

2-2- مؤشرات استخدامات الأنترنت في الجزائر.

3- مؤشرات استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي.

3-1-المؤشرات العالمية لاستخدامات شبكات التواصل الاجتماعي.

3-2- فيسبوك على رأس شبكات التواصل الاجتماعي.

3-3- المؤشرات المحلية لاستخدام استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي.

3-4- خصوصيات الاستخدام في المجتمع الجزائري.

خلاصة

الفصل الرابع: شبكة الأنترنت ورقمنة الحياة من العالمي إلى المحلي.

تمهيد:

يسلط هذا الفصل الضوء على موضوع الشبكة العنكبوتية – الأنترنت بصفة عمامة، لا بوصفها تحولا تقنيا أنتجته الثورة التكنولوجية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى دراسة التحولات العميقة التي ولدتها هذه التقنية والتي أدت إلى التداخل بين الثقافات والأفكار وما ينتج عنه من تغيرات مست جميع جوانب الحياة البشرية، انطلاقا من طبيعة الموضوع الذي يقع في منطقة تداخل بين منظومة تقنية معلوماتية والمنظومة السوسيوثقافية.

في هذا السياق ننطلق من دراسة التطور الذي وصلت إليه البشرية اليوم في مجال الأنترنت ورقمنة الحياة بشكل عام، والذي لم يظهر دفعة واحدة في عبر مراحل زمنية، ونتيجة لسنوات طويلة من التطور، بفعل العديد من التراكمات والإنجازات العلمية والمعرفية التي مرت بها حتى وصلت إلى شكلها المعروف حاليا.

أولا. التطور التاريخي للإنترنت:

1- نشأة وتطور الإنترنت والدراسات الاجتماعية المرتبطة بها:

يعتبر الأنترنت أحدث ما وصلت إليه البشرية تقنيا ضمن ابتكارات الاتصال، حيث يجمع كل الوسائل التي ابتكرت قبله من تبادل الرسائل النصية، إلى الرسائل الصوتية ورسائل الفيديو، إلى استخدام الطابعات وآلات التصوير، إلى المحادثات الفورية أو المسجلة، الفردية أو الجماعية، ومنه إلى تطبيقات ضخمة تنظم التجارة، تسيير البنوك، المؤسسات المالية، الصحية والتعليمية والترفيهية وغيرها، لتتغلغل أكثر فأكثر لتحاكي الحياة الاحجتماعية والأحوال العواطف والحياة المعنوية للأفراد والشعوب...

كمصطلح الأنترنت مكونة من كلمتين إنجليزيتين، inter وتعني بين (بين شيئين) و net وتعني الشبكة، لتعني متصلتين internet أي الشبكة البينية، أي الترابط بين مجموعة من الشبكات[1]. تكونت هذه الشبكات في بداية الأمر من مجموعة غير محددة من الحواسيب (أجهزة الكمبيوتر) قبل أن يدخل الهاتف الخلوي، النقال، ثم الذكي مجال الربط بهذه الشبكة، التي اصبحت مكونة من مجموعة غير محددة من

[1]- محمد الفاتح حمدي (وآخرون)، **تكنولوجيا الاتصال والاعلام الحديثة: الاستخدام والتأثير**، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشروالتوزيع، الجزائر، 2011، ص48.

الحواسيب والهواتف النقالة الموصولة بنظام التوصيل عبر مختلف بقاع العالم عن طريق خط هاتفي ثابت أو شريحة محمولة لهاتف ذكي مزود بخدمة الربط بالأنترنت.

إلا أن هذا لم يحدث بين عشية وضحاها، بل كانت له العديد من المواحل تطور خلالها ليصبح ما هو عليه اليوم، وتتطور معه الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات مواكبة له في تطوره.

1-1- مرحلة النشأة 1960-1990م:

يعود التأريخ لظهور الأنترنت INTERNET إلى سنوات الستينيات من القرن الماضي، وبالضبط إلى سنة 1969م أين تم إطلاق شبكة وكالة مشاريع البحوث المتقدمة التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية ARPANET بتمويل من البنتاغون لدواعي أمن الشبكات المركزية التابعة للجيش الأمريكي، فكانت هذه الشبكة انطلاقا لتأسيس شبكة تستخدم عددا غير محدد من الحواسيب، لتتوسع سنة 1970م إلى ربط عشر جامعات[1].

خلال سنة 1973م قامت نفس الوكالة السابقة بتطوير بروتوكول التحكم في الإرسال/ بروتوكول الأنترنت Transmission Control Protocol/ Internet Protocol الذي يرمز له اختصارا بـ: TCP/IP، وهو بروتوكول بيانات يستخدم على الأنترنت ويسمح بموجبه لأجهزة الحاسوب بإرسال واستقبال البيانات، والتواصل بين الحواسيب المتصلة بالأنترنت[2].

في السنوات الأولى من ثمانينات القرن الماضي، تم تسجيل صعوبة في تتبع جميع العناوين المتاحة على الشبكة لتزايد عدد الحواسيب المتصلة بعد أن تزايد عددها نتيجة لانخفاض تكلفة التكنولوجيا، لكن في سنة 1983م تم حل المشكلة إثر اختراع نظام أسماء النطاق DNS –Domain Name System، وهو ما مهد لظهور شبكة الويب العالمية، حيث تزايد عدد مضيفي النطاق من ألفين مضيف إلى ثلاثون ألف مضيف بين سنتي 1986م و1987م[3].

خلال هذه المرحلة بدأ الاهتمام بدراسة التفاعل بين الانسان والحاسوب، حيث تم سنة 1983م تأسيس مخبر التفاعل بين الإنسان والحاسوب The Human-Computer Interaction lab. (HCIL) من

---

[1]- عبد اللطيف صوفي، **المعلومات الإلكترونية وأنترنت في المكتبات**، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2001، ص 40.

[2]- Dnielle Bodnar, **What is TCP/IP and what it stand for?**, Published in: https://www.avg.com/en/signal/what-is-tcp-ip, on: June 4,2021.

[3]- A Short History of the INTERNET, Published: 3 December 2020, in: https://www.scienceandmediamuseum.org.uk/objects-and-stories/short-history-internet.

طرف بن شنايدرمان Ben Shneiderman بالولايات المتحدة الامريكية، ويعتبر أقدم مخبر لدراسة التفاعل بين الإنسان والحواسب الآلية، لايزال يشتغل في المجال الذي أسس من أجله إلى غاية يومنا هذا، وقد أجرى العديد من الأبحاث المهمة على مدار أكثر من أربعين سنة الماضية. وتعاظمت الأبحاث في هذا المخبر ومخابر أخرى، وبرت الكثير من الاعمال المهتمة بهذه العلاقة كرد فعل لما أفرزت التقنيات الحاسوبية الحديثة من تأثيرات غير متناهية، وغير مضمونة العواقب على الافراد والمجتمعات، والمجتمع البشري بشكل عام.

1-2- مرحلة الويب1. 1990-2000م:

بدأت هذه المرحلة بظهور التسمية www الويب العالمي world wide web ابتداءً من سنة 1989م، رغم أن الشبكة لم تتاح بعد للعامة بل بقيت في خدمة مجتمع التعليم العالي والمؤسسات الحكومية، باستثناء خدمات البريد الإلكتروني التي كان سعرها جد مرتفع، حتى أفريل 1993م أين تم إطلاق Mosaic، أول متصفح ويب يتاح لجمهور واسع بعيدا عن الباحثين الأكاديميين. وفي غضون ثلاث سنوات فقط ارتفعت أعداد المواقع من 130 موقعا إلى 100 ألف موقع ما بين 1993م و1996م[1]، لتتخطى بعد ذلك كل التقديرات والتوقعات بخصوص نمو الأنترنت وعدد المستخدمين عبر العالم، وإن كان في ذلك تباين من دولة إلى أخرى نتيجة الفجوة الرقمية التي لها العديد من المظاهر والأسباب.

مند بداية الثمانينات من القرن الماضي، تخطت الأنترنت بشكل عام الأصول البحثية التي وجدت لأجلها، لتتحول من مجرد مجموعة من التقنيات الحاسوبية إلى شبكة تشمل مجتمعا واسعاً من المستخدمين يشكلون العديد من المجتمعات يزداد نموها وتطورها يوما بعد يوم بالموازاة مع النمو والتطور التقني الذي تعرفه شبكة الأنترنت، بالإضافة إلى كونها شبكة واسعة من الأنشطة التجارية والعلمية المتصلة بالأنترنت نفسها، وهو ما دفع إلى تأسيس جمعية الأنترنت INET سنة 1991م، لدعم وتعزيز الأنترنت بوصفها بنية تحتية تقنية على المستوى العالمي، وموردا مهما للبشرية، ومنه العمل على جعلها مفتوحة ومتصلة على المستوى العالمي، وتأمينها وجعل مصادرها موثوقة، وتسهيل العمل المفتوح على تطوير بروتوكولاتها التقنية، وهو ما يستدعي تعزيز بيئة عمل تعاونية وداعمة لتطوير الانترنت، والوصول إليها وسد الفجوات.

في يومنا هذا الذي يتميز بظهور الحواسيب الشخصية، والحاسوب الشبكي، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، تطورت الأنترنت كثيرا مقارنة ببدايتها، لكنها استوعبت تكنولوجيا الشبكات الجديدة، وهي سائرة في طريق تطورها لتستوعب التطورات التكنولوجية والاجتماعية التي ساهمت بشكل كبير في

[1]- Ibid.

انتاجها، وهو ما يضع البنى الاجتماعية الموجهة والمستوعبة للأنترنت في المستقبل محل إشكالات وتساؤلات عديدة[1].

جدير بالذكر في هذه المرحلة، أنها عرفت بروز دراسات المجتمع الافتراضي The Virtual Community، هذا المجتمع الذي نشأ نتيجة لتوسع دائرة انتشار واستخدام الأنترنت، ظهور المنتديات الإلكترونية Online Forums، انتشار استعمال البريد الإلكتروني Email وتطور غرف الدردشةChat Rooms عبر الأنترنت، كل هذا كان بفضل التطور التقني الذي عرفته الشبكة من تحسن في سرعة الاتصال، تطور المتصفحات الويب Web Browsers وظهور منصات التواصل الاجتماعي Social Media Platforms، وما رافقه من تحولات اجتماعية وبشكل خاص تطور أنماط التفاعل عبر شبكة الأنترنت.

في هذا السياق سنة 1993م طرح هوارد راينغولد Howard Rheingold مصطلح "المجتمع الافتراضي" الذي ينسب له، كتاب يحمل نفس الاسم؛ المجتمع الافتراضي[2] The Virtual Community، وهو أول كتاب يعرض فيه صاحبه للكيفية التي تنشأ بموجبها وتشكل المجتمعات افتراضيا، وتبنى وفقا لها الهوية الافتراضية Virtual Identity ضمن نطاق هذه المجتمعات، وكيفية تطور أنماط التفاعل عبر الأنترنت، مند البدايات الأولى لها انطلاقا من سنة 1985م، وهي السنة التي بدأ فيها هوراد تسجيل ملاحظاته على وتجاربه في هذا المجتمع الجديد.

في سنة 1995م أصدرت شيري توركل Sherry Turkle كتاب؛ الحياة على الشاشة: الهوية في عصر الإنترنت Life on the Screen: Identity in the Age of the Internet، الذي تبحث فيه هي الأخرى عن الكيفية التي من خلالها تدفع الحواسيب الأشخاص إلى إعادة تقييم هوياتهم في عصر الأنترنت، وشرحت الكيفية التي يتم بها استخدام الحياة من خلال الشاشات للانخراط في أساليب حياة جديدة للتفكير والعمل على تطوير العلاقات، السياسات، الجنس والذات، وما لكل ذلك من تأثير على الحياة النفسية للأفراد، وهي ترى أن شعور جديد بالهوية في طريق التشكل باعتبارها لا مركزية ومتعددة في بيئات افتراضية،

---

[1]- Barry M. Leiner (et al), **Brief History the Internet**, Internet Society, 1997. In : https://www.internetsociety.org/internet/history-internet/brief-history-internet/.

[2]- Ian Goodwin, "**Book Review: H. Rheingold. 1993. The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier**. Reading, Massachusetts: Addison-Wesley. ISBN 0-201-60870-7 H. Rheingold. 2000. The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier (2nd Edition). C", *Westminster Papers in Communication and Culture* 1(1), 103-109. doi: https://doi.org/10.16997/wpcc.206 on: 2017.

وهو ما يحول مفاهيمنا جميعا عن ذواتهم، عن الآخرين، عن الآلة وعن العالم الجديد[1]، وتعتبر هذه الدراسة أول دراسة حول الهوية الافتراضية في عصر الأنترنت.

1-3- مرحلة الويب2. الويب الاجتماعي 2000-2010:

تعرف هذه المرحلة بشكل أساسي بظهور وانتشار المدونات Blogs في بداية الأمر، ثم إطلاق ما أصبح يعرف فيما بعد بشبكات التواصل الاجتماعي؛ فيسبوك، تويتر، وما تبع ذلك من تطور لعلم الاجتماع الرقمي والأنثروبولوجيا الرقمية إثر انتشار الاقبال على الحياة الشبكية. ورغم أن المدونات بدأت في الظهور في سنة 1994م أين تم تسجيل ميلاد أول مدونة وهي Links.net التي أنشأها جاستين هول Justin Hall، والتي كان ينشر فيها يومياته وما يراه مثيرا من مواقع يجدها على النت، ليظهر مصطلح مدونة بعدها سنة 1997م من طرف جورن بارغر Jorn Barger، ليعرف عالم التدوين بعدها انطلاقا من سنة 1998م انفجارا في عالم المدونات انطلاقا باطلاق مدونة؛ ...Open Diary, Blogger, Meg Hourihan، وصولا إلى Facebook سنة 2004م، و Twitterسنة 2006م، والتي عرفت فيما بعد بشبكات التواصل الاجتماعي.

يذكر أن الأنترنت عرفت هذه الوضعية بفضل حل مشاكل التدفق، وحفظ المعلومات التي مكنت من تدعيم استخدام لغات وبرامج جديدة مكنت المستخدمين على الويب من العمل وفق أبعاد ثلاثية[2]، والعديد من المزايا التي حفزت الاقبال على الأنترنت من قبل الأفراد والشركات التجارية الكبرى التي تنافست على انتاج الجودة بسعر في متناول أكبر شريحة ممكن من الجمهور، وهو ما جعل من الأنترنت والمدونات ثم شبكات التواصل الاجتماعي قبلة لجمهور واسع من المستخدمين يقدر بالمليارات من البشر، هذا الاقبال يعبر في شقه الاجتماعي عن الحاجة الملحة للتواصل من قبل البشرية، وبحثها عن وسائل تحطم بها الحدود السياسية والإيديولوجية التي تحكمها.

في منتصف هذه المرحلة أطلق فيسبوك، في شهر فيفري من سنة 2004م بجامعة هارفرد، من قبل مارك زوكربور Mark Zuckerberg وزملائه الذين كان من بينهم إيدواردو سافيرين Eduardo Saverin الذي مول المشروع بمبلغ 15.000 دولار أمريكي لاقتناء الخوادم، وما إن حل شهر سبتمبر من نفس السنة حتى تحصلت الشركة على استثمار قدره 500.000 دولار أمريكي من طرف بيتر ثايل Peter

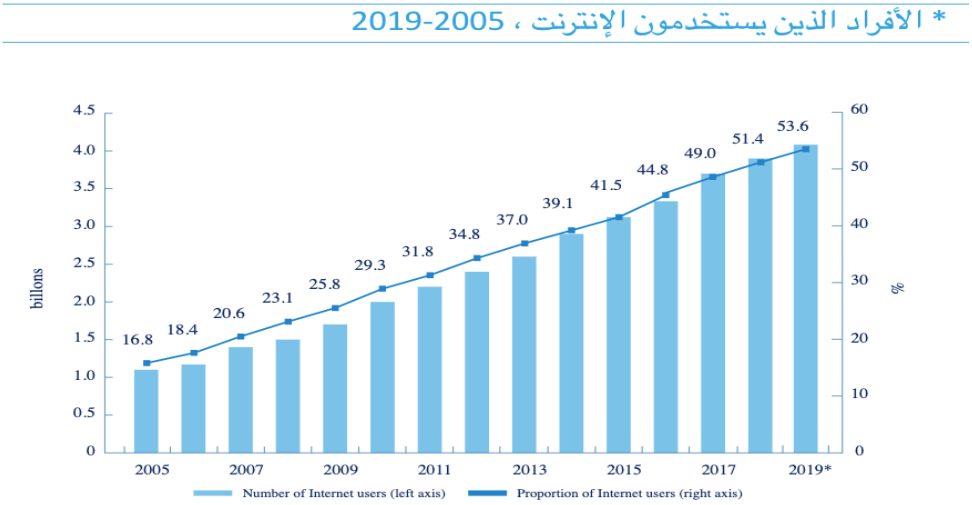
[1]- Christina Teuthorn, "**Book Review: Sherry Turkle: Life on the Screen. Identity in the Age of the Internet**, Touchstone, New York, 1997", Published in: https://www.cap-lmu.de/fgz/reviews/13.php, on: 19.04.1999

[2]- عبد اللطيف صوفي، مرجع سابق، ص 71.

Thiel أحد مؤسسي PayPal، الشيء الذي مكن زوكربورغ وأحد زملائه من التفرغ لتسيير شركة فيسبوك براتب دوام كامل، لتتحول في بضع سنوات إلى عملاق في سوق التكنولوجيا، وصل رأسماله إلى نصف ترليون دولار أمريكي سنة 2017م[1].

ساير هذا التحول في أرباح الشركة الناشئة تحولا في عدد المستخدمين واهتماماتهم بالأنشطة على شبكة الأنترنت، كان الاعتقاد السائد وسط الخبراء في أواخر التسعينيات من القرن الماضي أن الأنترنت ظاهرة عابرة، ليتعمق هذا الاعتقاد سنة 2000م إلى حد القول بأن الناس لن يتواصلوا عبر وسائل التواصل الاجتماعي[2]، في الوقت الذي فاقت فيه أرقام الاستخدام والاقبال عليها كل التوقعات، حيث ارتفع عدد مستخدمي الانترنت في العالم حسب إحصائيات الاتحاد الدولي للاتصال من 01 % سنة 1995م، إلى 07 % سنة 2000م، ليصل 43 % سنة 2015م، وأكثر من 53% سنة 2019م، أي ما يقدر بنحو 4.1 مليار شخص من سكان العالم يستخدمون الأنترنت[3] كما هو موضح في الشكل الموالي:

شكل رقم 4: رسم بياني يوضح تطور عدد مستخدمي الأنترنت حول العالم والنسبة المئوية التي يمثلونها بين سنتي 2005 – 2019م.



المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات، ITU.foleon.com

تشير الاحصائيات في الوقت الراهن أن فيسبوك هي الشبكة رقم واحد في العالم بين شبكات التواصل الاجتماعي، من حيث عدد المستخدمين النشطين، إذ تسجل الشركة أكثر من ثلاثة مليار مستخدم نشط خلال الشهر؛ (فيسبوك بـ 3065 مليون مستخدم، تليها يوتيوب 2504 مليون مستخدم، إنستغرام وواتساب 2000

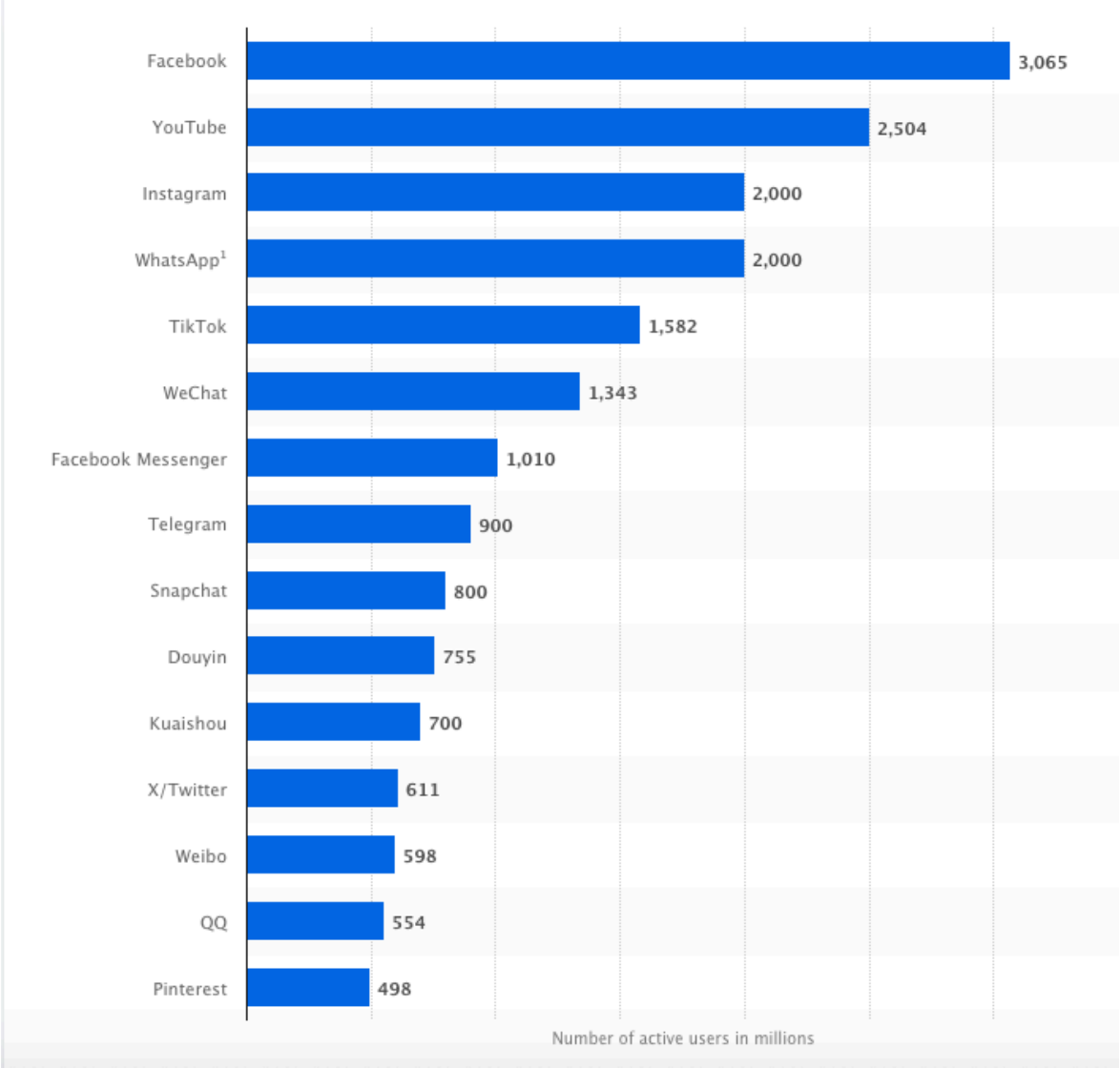
[1]-https://www.ig.com/ar-ae/shares/markets-shares/facebook-inc-FB-US/history-of-facebook

[2]- ماري آيكن، **التأثير السيبراني – كيف يغير الأنترنت سلوك البشر؟**، ترجمة: مصطفى ناصر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2017، ص 20.

[3]- المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات، على الموقع الإلكتروني ITU.foleon.com

مليون مستخدم لكل منهما، وتيك توك بـ 1582 مليون مستخدم)، والرسم البياني الموالي يوضح الأعداد بالملايين من المستخدمين لمجموعة من الشبكات الاجتماعية على رأسها فيسبوك خلال شهر أفريل من سنة 2024م.

شكل رقم 5: رسم بياني يوضح عدد المستخدمين النشطين لأبرز شبكات التواصل الاجتماعي على المستوى العالمي خلال شهر أفريل 2024م (بالملايين).



المصدر: https://www.statista.com/statistics/272014/global-social-networks-ranked-by-number-of-users/. On 2024-11-09

يذكر أن عدد مستخدمي فيسبوك عرف تطورا متسارعا منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، وقد تزامن ذلك التسارع في عدد المستخدمين مع العديد من الأحداث الهامة التي شهدتها هذه الشبكة والتي ساهمت بشكل

كبير في تطويرها وجعلها متاحة لهذا الجمهور الواسع من المستخدمين. الجدول الموالي يوضح تطور عدد مستخدمي فيسبوك خلال الفترة الممتدة بين 2004م -2024م، والأحداث المهمة المرافقة لهذا التطور.

جدول رقم 6: جدول يوضح تزايد عدد مستخدمي فيسبوك خلال الفترة الممتدة بين 2004م - 2024م، والأحداث المهمة المرافقة لهذا التزايد.

السنة	عدد مستخدمي فيسبوك	الأحداث المرافقة لتزايد عدد المستخدمين
2004م **2013م**	من 1 مليون إلى 1,23 مليار	- إطلاق الفيسبوك بين طلاب جامعة هارفارد. - توسيع التسجيل لكل جامعات الو. أ. م - إطلاق التسجيل للعامة. - إطلاق النسخة العربية. - شراء الشركة لـ WhatsApp وInstagram
2014م **2023م**	1,39 مليار 3,03 مليار	- فصل تطبيق الـ Messenger - تحديثات الخصوصية. - تطوير خوارزميات News Feed - تغيير اسم الشركة إلى Meta. - تطوير الواقع المعزز، وإطلاق مشاريع Metaverse.
2024م	3,14 مليار –رقم متوقع	- توقعات التوسع AI

المصدر: جدول معدل من طرف الطالب، بالاعتماد على مصادر متعددة موثقة (تقارير Meta السنوية، دراسات Pew Research Center، تحليلات Data Reportal)، تم تجميع البيانات وتنظيمها بمساعدة نموذج الذكاء الاصطناعي Claude/Anthropic, Nov2024.

1-4- مرحلة البيانات الضخمة 2010-الحاضر:

تعرف المرحلة الحالية من مراحل تطور الأنترنت بمرحلة البيانات الضخمة The Big Data، ويشير هذا المصطلح إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من البيانات المعقدة المتداولة عبر شبكة الأنترنت، ترى التقديرات أن حجم هذه البيانات التي سيتم انتاجها في اليوم الواحد خلال سنة 2024م ستناهز 4 تريليون بايت/ يوم، مصدر هذه البيانات متعدد، وأشكالها مختلفة تضم جميع أشكال الأنشطة البشرية عبر العالم،

وهي في تزايد كلما تزايدت هذه الأنشطة والأجهزة المتصلة بالأنترنت. إلى درجة أن أنظمة البيانات التقليدية لن تكون لها القدرة على إدارتها، وتخزينها ثم معالجتها وتحليلها. وهي مفهوم دينامي يتطور باستمرار تماشيا مع تطور التكنولوجيا الرقمية، ويتباين تعريفه حسب طبيعة الاستخدام، ولفهم هذه الاستخدامات يقترح الباحثين النهج المتعدد التخصصات[1].

يذكر أن هذه المرحلة التي يؤرخ لها بالانطلاق زمنيا بـ 2010م، فهو يؤرخ لها تقنيا ببداية استخدام وانتشار الحوسبة السحابية Cloud Computing، وهي مجموع الخوادم Servers الموصولة بشبكة الأنترنت، والبرامج وقواعد البيانات، والتي تمكن المستخدمين من الاحتفاظ ببياناتهم في مراكز البيانات وليس في أجهزتهم التي تبقى ذاكرتها جد محدودة مقارنة بالحجم الكبير للبيانات التي يتعاملون بها في هذا العصر.

جاء في موقع شركة IBM الرائدة في مجال التكنولوجيا الرقمية، أن الحوسبة السحابية من الناحية العملية هي تلك الأنظمة التي تجعل عملية الوصول إلى موارد الحوسبة تتم عند الطلب عبر الأنترنت، وتوسيع الموارد أو تقليصها حسب الطلب، مما يقلل من التكلفة والبنية الأساسية الغير ضرورية في المواقع، وتتكون من مراكز البيانات، قدرات الشبكات، والمحاكاة الافتراضية، وهي في تطور مستمر، كالوصول إلى الحوسبة من غير الخوادم[2].

إلا أن الأمر لا يتوقف عند بيانات ضخمة تدار بواسطة حوسبة سحابية، فببلوغ العالم سنة 2020م أصبحنا امام ضرورة ملحة لدراسة التحول الرقمي الذي أصبح يتجسد في كل معالم وتفاصيل حياتنا الصغيرة والكبيرة، ومع تطور IOT أنترنت الأشياء Internet Of Things التي تعمل على دمج الأشياء المادية بشكل آمن في شبكة الانترنت، حتى يتم استخدامها بشكل يومي عن طريق شبكة واحدة[3]، ومنه ظهرت مفاهيم جديدة غيرت الحياة الانسانية برمتها على غرار المنازل الذكية، المدن الذكية، ثورة الذكاء الاصطناعي، التحول الرقمي، الميتافيرس والواقع المعزز... الشيء الذي جعل من الانسان يعيش فعلا حتمية أن يكون متصلا بالأنترنت.

---

[1]- Loic Bremme, **Définition : Qu`est-ce que le Big Data**? https://www.lebigdata.fr/definition-big-data. 09 Nov2024.

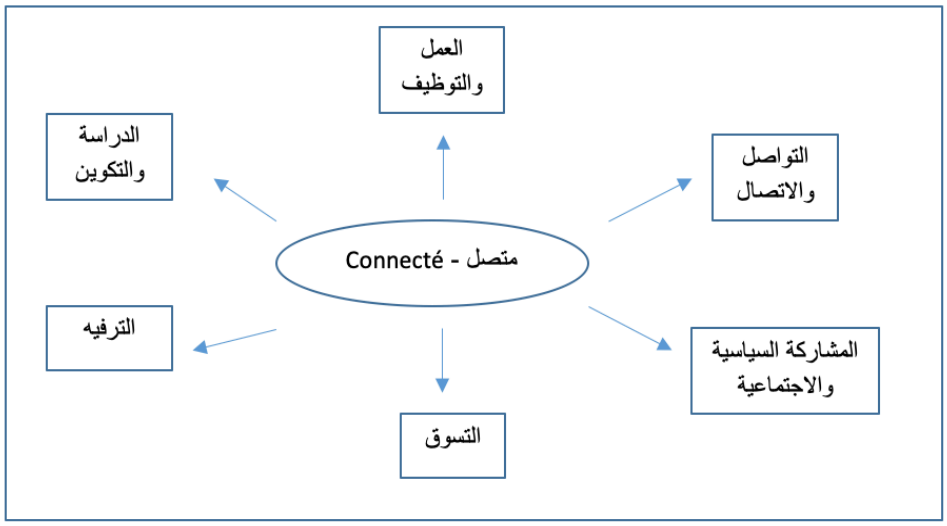
[2]- Stephanie Susnjara, and Ian Smalley, **Wat is Cloud Computing**? Updated: 14Feb2024. https://www.ibm.com/topics/cloud-computing.

[3]- كمال مهيدي، وفاروق فرنان، **أنترنت الأشياء: بين متطلبات التنمية المستدامة والتحديات القانونية**، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 04، العدد: 01، السنة: 2021، ص-ص: 275- 276. متاح على منصة ASJP على الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/143692. آخر معاينة بتاريخ:2024/11/10. 00:55.

2- تحولات استخدام الإنترنت عالمياً:

انطلاقا من الوضعية التي شهدتها التطورات الكبيرة التي عرفها عصر المعلومات، بتطور شبكة الانترنت وتشعبها وملامستها لكل مناحي الحياة البشرية، أصبح من الضروري ومن اللازم على الانسان في الوقت الحالي أن يكون متصلا، وفي هذا الصدد ظهرت العديد من التسميات والأوصاف التي تربط الانسان بعصره الرقمي، على غرار الإنسان الرقمي والمواطن الافتراضي، للدلالة على صلته بالعصر، وانتمائه إليه، حيث تعتبر الرقمنة اليوم رهان جوهريا للأفراد والمجتمعات، لهذا تسعى الدول جاهدة إلى القضاء على جميع أنواع الفجوات والالتحاق بركب الأمم المتطورة. عند ظهورها لأول مرة كان الهدف منها حماية بيانات أمن الدولة في الولايات الأمريكية المتحدة، لكن في يومنا هذا تعتبر الأنترنت البنية التحتية الأساسية لكل مجتمع، والعصب الحيوي الرئيسي لكل الأنشطة التي تخص الأفراد، الجماعات، الدول والتبادل ما بين الدول، والمخطط الموالي يوضح كيف ان الانسان المتصل يلامس من خلال اتصاله بالأنترنت جميع جوانب الحياة.

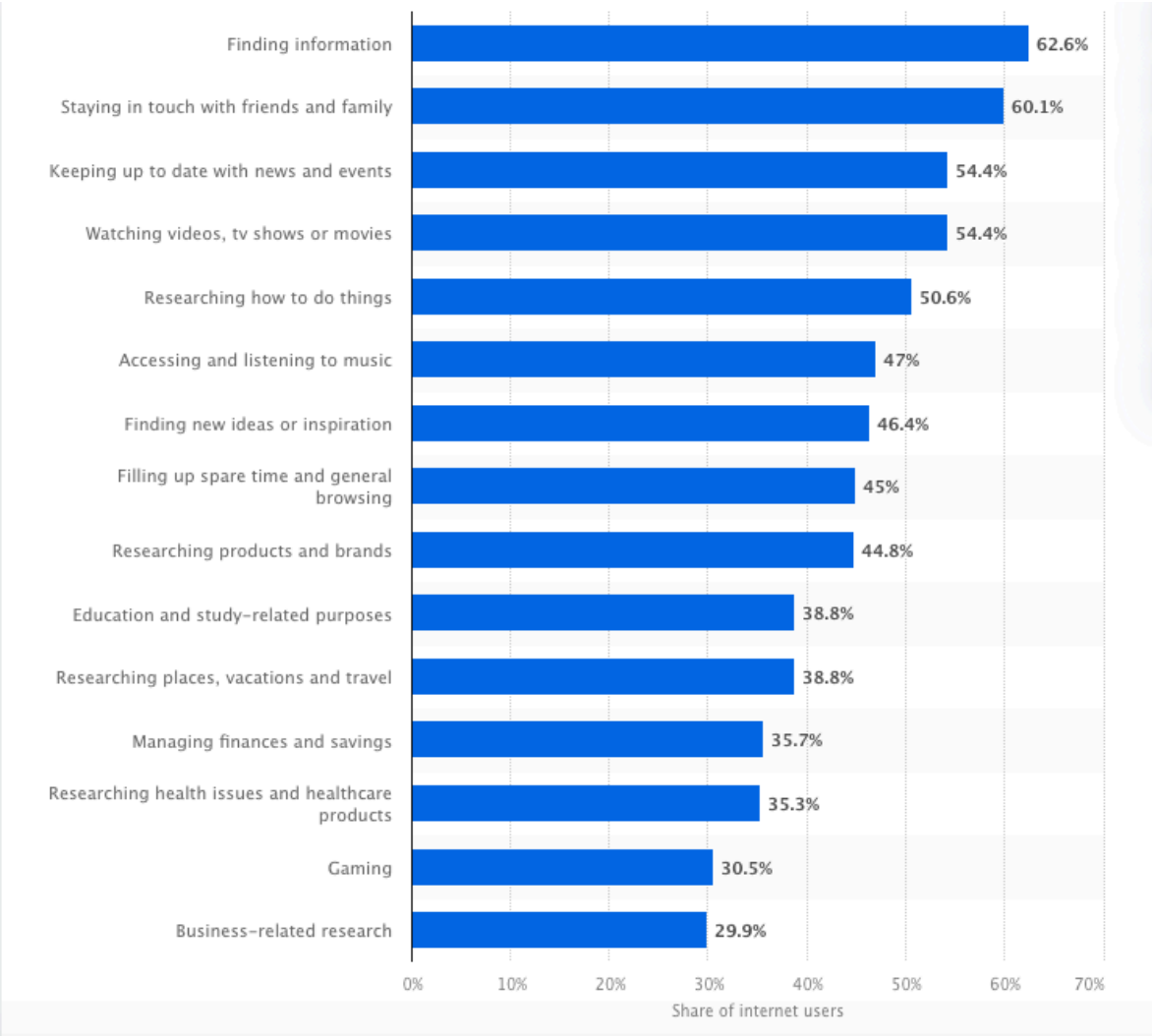
مخطط رقم 6: مخطط يوضح الاستعمالات المتعددة لشبكة الأنترنت من قبل المتصل.



المصدر إنجاز الطالب.

من خلال المخطط السابق نحاول تسليط الضوء على المجالات الرئيسية لاستخدام الإنترنت في الوقت الراهن، مع الإشارة إلى أنها فسحت المجال أمام البشرية بشكل واسع لتنمية مهاراته وابتكار دروب جديدة للإبداع البشري في شتى المجالات، نمت وازدهرت من خلال استغلال الامكانات التي تمنحها التقنيات الرقمية الحديثة، والرسم الموالي –رسم لأعمدة إحصائية – يمثل الأسباب الأكثر شيوعا لاستخدام الانترنت خلال الربع الثاني من السنة الجارية 2024م.

شكل رقم 7: أعمدة بيانية تمثل الأسباب الأكثر شيوعا للاستخدام العالمي للأنترنت خلال الربع الثاني من سنة 2024م.



المصدر: المصدر: قاعدة بيانات Statista، على الموقع – آخر معاينة بتاريخ: 2024/11/11م:
https://www.statista.com/statistics/1387375/internet-using-global-reasons/#statisticContainer

يلاحظ أن البحث عن المعلومات يأتي على رأس اهتمامات مستخدمي الأنترنت خلال هذه الفترة، تليها البقاء على تواصل مع العائلة والأصدقاء، الرغبة في مواكبة الأخبار والأحداث، مشاهدة مقاطع الفيديو أو البرامج التلفزيونية والأفلام، البحث عن كيفية القيام بأشياء معينة، بنسبة تفوق 50%، لتليها أسباب أخرى تقل عن 50% كما هو موضح في الشكل أعلاه. وتقودنا هذه النتائج إلى العديد من الملاحظات الموضوعية التي يمكن أن نأخذ منها العينة التالية خدمة لأهداف البحث:

2-1- البحث عن المعلومات: تصدر البحث عن المعلومات في قائمة الأسباب الأكثر شيوعا لمستخدمي الأنترنت يعزز من طبيعتها كمصدر أساسي للمعرفة في عصرنا الراهن، حتى أنه أطلق عليها اسم "الطريق

السريع للمعلومات[1]"، وهو ما يدعوا إلى التشجيع على استخدامها وتدليل الصعاب وسد الفجوات في سبيل الوصول إليها، كما أن ذلك يدل على تحول في الأنماط التقليدية للبحث عن المعلومات إلى أنماط تعتمد على الرقمنة نتيجة لسهولة الوصل إلى المعلومات عبرها مقارنة بالطرق التقليدية، وربح الجهد والوقت والتكلفة بصفة عامة.

2-2- التواصل الاجتماعي: عكس ما هو شائع في أن الأنترنت تصيب الأفراد بالعزلة الاجتماعية، كان استخدام الأنترنت للبقاء على تواصل مع العائلة والأصدقاء بنسبة تفوق الـ 60% عند مجمل المستخدمين في العالم خلال الفترة المذكورة أعلاه، وهذا يبرز الأهمية البالغة التي تلعبها الأنترنت في تعزيز الأبعاد الاجتماعية عند مستخدميها، والحفاظ على تلك الروابط، كما أنها تعبر على التغيرات الكبيرة التي أحدثتها في انتقال أنماط التواصل الاجتماعي إلى أنماط جديدة افتراضية تلعب فيها الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي دورا بارزا.

2-3- التجارة الإلكترونية: في هذا المجال تزايد عدد المنخرطين في نظام التجارة الإلكترونية من 119 مليون شخص سنة 2001م إلى أكثر من 300 مليون شخص سنة 2005م، وانتقل حجم التداول من 2294 مليار دولار سنة 2002م إلى 12900 مليار دولار سنة 2005م ممثلا لحجم التجارة الإلكترونية الدولية[2]، التي ارتفع فيها حجم المبيعات الإلكترونية بشكل متسارع خلال السنوات الأخيرة، ومن المتوقع أن يزداد حجم النمو في السنوات القادمة، ويذكر أن الكثير من المنتجات تطرح الآن في الأسواق العالمية بحجم ثلثي المبيعات عبر الانترنت، حيث ازداد العدد الإجمالي للمتسوقين عبر الانترنت بأكثر من مليار متسوق رقمي عبر العالم بين سنتي 2019م و2023[3].

وكما هو ملاحظ من خلال الرسم الموالي – رسم بياني رقم.....- فإن حجم المبيعات لشركة أمازون أكبر شركة للتجارة الرقمية قد تضاعف أكثر من ستة مرات بين 2014م و2023م، حيث تضاعف من 88,99 مليار دولار إلى 574,8 مليار دولار.

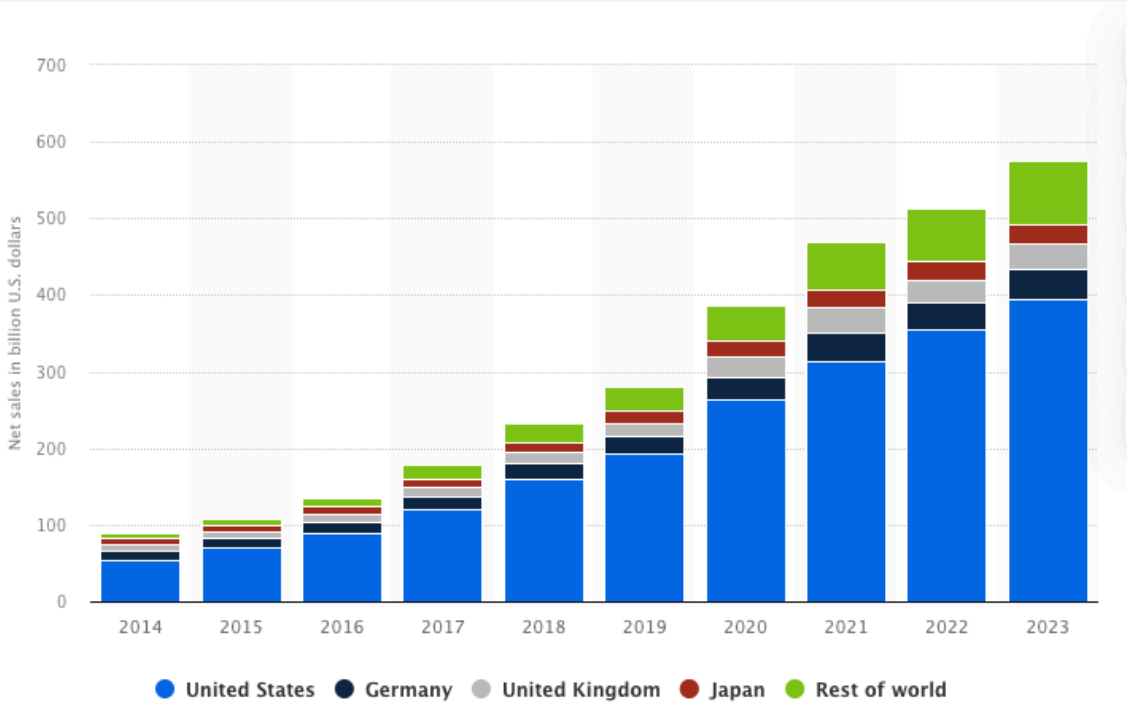
---

[1]- Malcolm R. Parks, **Social Network Sites as Virtual Communities**, In: Papacharissi, Z. (Ed.). (2010). **A Networked Self: Identity, Community, and Culture on Social Network Sites** (1st ed.). Routledge. https://doi.org/10.4324/9780203876527

[2]- الجموسي جوهر، مرجع سابق، ص 43

[3] - Key Figures of E-Commerce, https://www.statista.com/markets/413/topic/544/key-figures-of-e-commerce/#overview.

شكل رقم 8: رسم أعمدة بيانية تمثل صافي المبيعات السنوية لشركة أمازون في الأسواق الرائدة المختارة بين سنتي 2014م – 2013م (بالمليار دولار أمريكي).



المصدر: قاعدة بيانات Statista، على الرابط https://www.statista.com/statistics/672782/net-sales-of-amazon-leading-markets/، آخر معاينة بتاريخ: 10نوفمبر 2024.

وإذا كانت التجارة الإلكترونية تعرف رواجا واسعا للمزايا التي تقدمها الأنترنت فوجب التفطن لجوانب أخرى أشارت إليها دراسات السلوكات السيبرانية وتقع في صميم اهتمام العلوم الاجتماعية على غرار علم النفس، الاجتماع والأنثروبولوجيا، ويتعلق الأمر في جانب التجارة الإلكترونية بما يتعلق بالتسوق كممارسة نفس اجتماعية على شبكة الأنترنت كان علم التسويق قد سبق إليها وأبدع في استغلالها لأجل تطوير أساليب الترويج، وجلب الزبائن عبر الشبكة إلى حد وصولهم إلى التسوق القسري الذي يعرف ضمن سلوكات تعامل غير سوية مع الأنترنت[1].

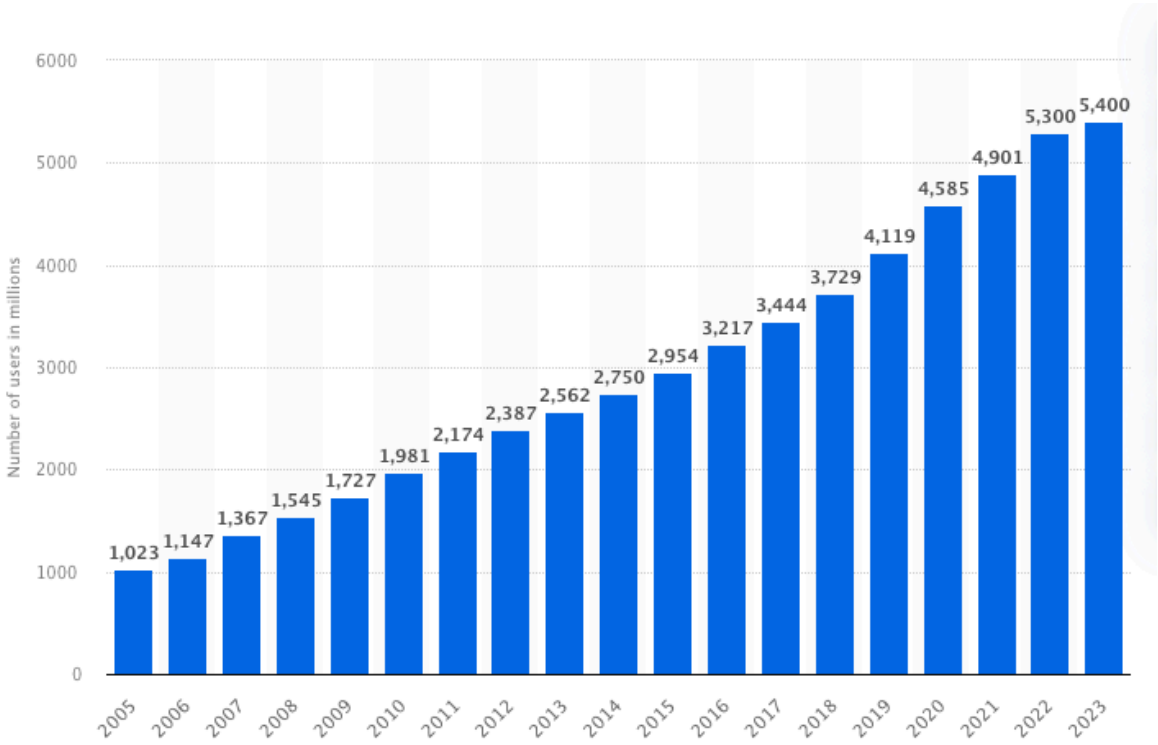
3- نمو عدد المستخدمين والفجوات الرقمية:

كما سبق وأن أشرنا فإن الأنترنت في تطورها المستمر تعمل على احداث تغيرات كبيرة وجوهرية في حياة الانسان وطرق التواصل مع الآخرين، حتى أنها أصبحت جزءً من الحياة اليومية، وتشير الإحصائيات أن عدد مستخدمي الأنترنت على المستوى العالمي بلغ 5,44 مليار مستخدم خلال هذه السنة

[1]- ماري آيكن، مرجع سابق، ص ص 67، 68

(2024م)، وهوما يعادل ثلثي سكان العالم[1]، حيث تضاعف العدد أكثر من 5 مرات ما بين سنة 2005-2023م -أنظر الشكل الموالي يوضح تطور عدد المستخدمين عبر العالم-، في هذا الصدد وموازاة مع نمو عدد المستخدمين نمت من جهة أخرى واتسعت العديد من الفجوات التي تعبر على التفاوت في الاستخدام من مجتمع إلى آخر، وفي نفس المجتمع بين الفئات المختلفة المكونة له، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الفجوات والتفاوتات ترجع إلى العديد من الأسباب، منها التقنية، ومنها البشرية.

شكل رقم 9: شكل يوضح تطور عدد مستخدمي الانترنت حول العالم ما بين سنة 2005-2023م (بالملايين).



المصدر: https://www.statista.com/statistics/273018/number-of-internet-users-worldwide/ Published : May 22, 2024 :

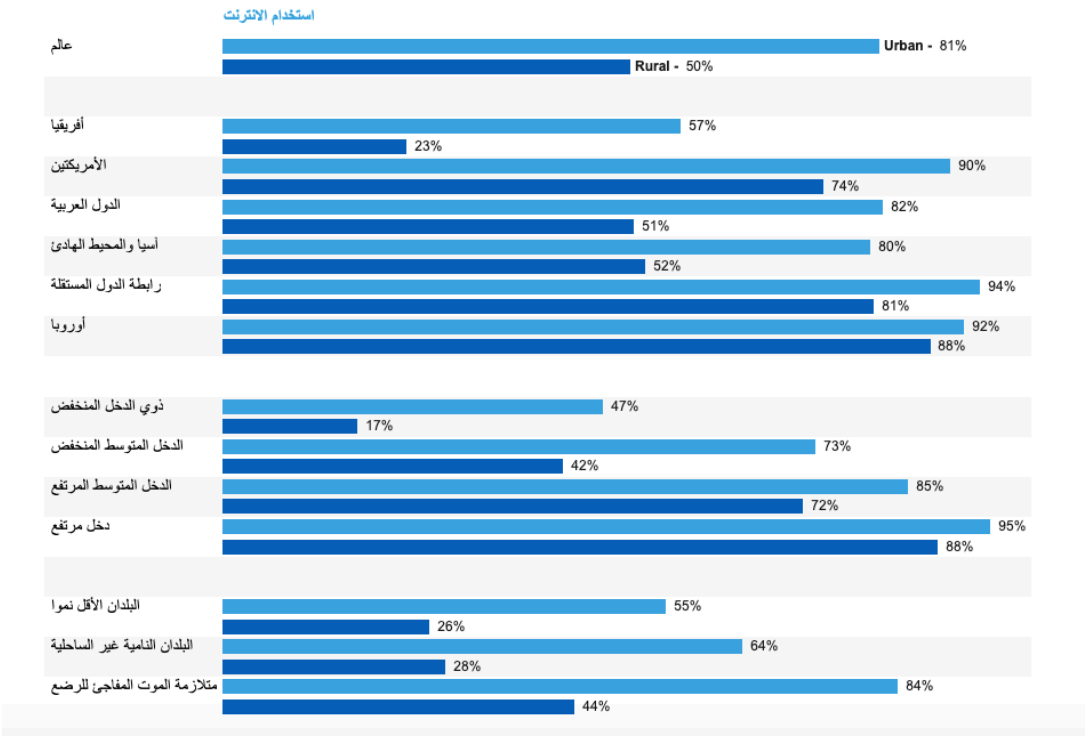
يشير الاتحاد الدولي للاتصالات أن 79% من الأشخاص على المستوى العالمي من المستخدمين للأنترنت تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاما، وهو ما يعبر عن فجوة رقيمة بين الأجيال فيما يخص استخدام الأنترنت من قبل الشباب مقارنة بباقي الفئات العمرية.

[1]- Ani Petrosyan, **Internet Usage Worldwide – Statistics and Facts**, Published in: https://www.statista.com/topics/1145/internet-usage-worldwide/#topicOverview. Jul 30, 2024.

وبخصوص توزيع عدد المستخدمين في العالم، فقد سجلت خلال سنة 2023م هيمنة الصين على عدد المستخدمين وإن كان المعدل منخفض نسبيا إذ شكل 77,5%، وتأتي الهند في المرتبة الثانية، ثم الولايات المتحدة الأمريكية في المرتبة الثالثة.

كما تتجلى الفجوة الرقمية في استخدامها بين سكان الأماكن الريفية والحضرية، حيث سجل سنة 2023م إقبال 81% من سكان المدن الحضرية على استخدام الأنترنت، مقابل 50% فقط من سكان المناطق الريفية، وإذا كانت هذه الفجوة تقريبا ستسد في أوروبا وأمريكا، فإنها لا تزال شاسعة في باقي دول العالم – الشكل الموالي يوضح ذلك.

شكل رقم 10: شكل يوضح الفجوة الرقمية في استخدام الانترنت بين المناطق الريفية والحضرية على مستوى العالم سنة 2023م.



المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات، نشر بتاريخ: 15 نوفمبر 2023 على الرابط: https://public.tableau.com/app/profile/ituint/viz/ITUFactsandFigures2023/InternetUse07 آخر تحديث: 22 نوفمبر 2023م.

ويلاحظ أن لهذه الفجوة علاقة بفئات الدخل، حيث تم سد الفجوة تقريبا في البلدان التي بها دخل مرتفع، بينما لا تزال الهوة شاسعة في الدول البلدان التي دخل أفرادها منخفض. وهذا يعني أن الفجوة الرقمية عبر فئات الدخل تكون أوسع في المناطق الريفية[1].

التركيبة السكانية هي الأخرى تعاني من فجوة تخص استخدام الإناث للأنترنت مقارنة بالذكور، حيث سجل شهر أفريل 2024م 70% من سكان العالم الذكور يستخدمون الأنترنت، مقابل 64,4% من الإناث، وإذا كان هذا التفاوت مسجل في جميع أنحاء العالم، إلا أنه أكثر انتشارا في البلدان الأقل نمو[2].

ثانيا: واقع الإنترنت في الجزائر

1 - بداية الإنترنت في الجزائر:

كان إنطلاق ربط الجزائر بشبكة الأنترنت في بداية سنة 1994م، وتم ذلك في إطار مشروع برعاية اليونسكو عن طريق مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني CERIST، الذي كانت مهمته الأساسية العمل على إقامة شبكة وطنية للإعلام العلمي والتقني وربطها بشبكات إقليمية ودولية، وترقية وإدخال الوسائل التقنية الحديثة كالإعلام الآلي في جمع ومعالجة المعلومات[3].

اقتصر الربط في البداية على الهيئات الحكومية، حيث وصل عددها في البداية 130 هيئة سنة 1996م، ليقفز العدد بعد ثلاث سنوات أي سنة 1999م إلى 800 هيئة، موزعة كالتالي:

---

[1]- **Wide Internet use gap between rural and urban areas persists in poorest countrie,** https://www.itu.int/itu-d/reports/statistics/2023/10/10/ff23-internet-use-in-urban-and-rural-areas/**.**

[2]- Ani Petrosyan, **Internet Usage Worldwide – Statistics and Facts**, Published in: https://www.statista.com/topics/1145/internet-usage-worldwide/#topicOverview Jul 30, 2024.

[3]- **الأنترنت واستعمالاتها في الجزائر: دراسة وصفية في عادات وأنماط واشباعات الاستعمال بالجزائر العاصمة**. رسالة لنيل شهادة الماجستير إعلام واتصال، اعداد حسيبة قيدوم، اشراف عبد الله بوجلال، قسم علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر، 2001- 2002، ص 48.

جدول رقم 7: جدول توزيع الأنترنت في الجزائر سنة 1999م على الهئيات حسب قطاع النشاط.

القطاع	عدد الهيئات
التعليم العالي	100
المجال الصحي	50
القطاع الاقتصادي	500
قطاعات أخرى	150

المصدر إنجاز شخصي للطالب، بالاعتماد على مقال: بختي إبراهيم، الإنترنت في الجزائر، مجلة الباحث، عدد 01، 2002، ص 31.

كما تشير الاحصائيات أنه في سنة 1999م، أحصى مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني وجود 3500 مشترك، مما يجعل التقديرات تشير إلى 180.000 مستخدم، وهو ما يزيد بقليل عن 1000/1 من عدد مستخدمي الأنترنت في العالم. حتى سنة 2000م التي عرفت منح رخص جديدة للمزودين في القطاعين العمومي والخاص لاستغلال خدمات الأنترنت خارج مركز البحث المذكور أعلاه[1]، الشيء الذي من شأنه أن يرفع من حجم الاستعمال.

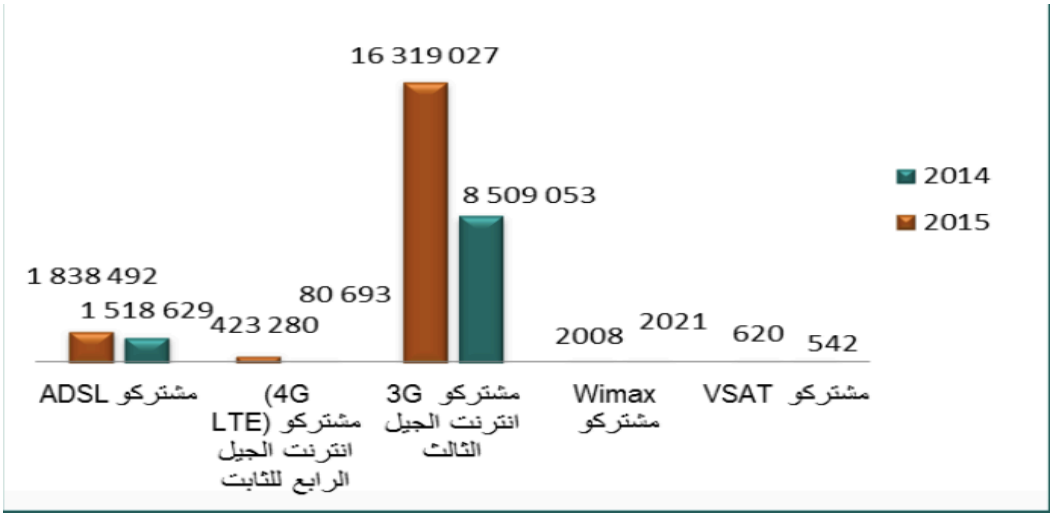
[1]- بختي إبراهيم، **الإنترنت في الجزائر**، مجلة الباحث، عدد 01، 2002، ص 31.

2- تطور استخدام الانترنت في الجزائر:

2-1- إحصائيات الاستخدام:

تشير الإحصائيات الرسمية إلى أن الحظيرة الاجمالية للأنترنت في الجزائر، بلغت؛ 18,583 مليون مشترك في سنة 2015، موزعة بين 1.838 مليون مشترك في ADSL، و16,319 مليون مشترك في خدمة الجيل الثالث للهاتف النقال[1] التي تضاعف مشتركوها خلال عام واحد، والشكل الموالي يوضح ذلك:

شكل رقم 11: أعمدة بيانية توضح تطور العدد الإجمالي لمشتركي الإنترنت في الجزائر (2014-2015).



المصدر: مرصد سوق الإنترنت في الجزائر، الصادر عن: سلطة الصبط للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية: https://www.arpce.dz/ar/file/z7o1p7

وتعتبر الجزائر أحد أكبر أسواق الإنترنت في قارة إفريقيا. حيث سجلت في عام 2022م المرتبة السادسة في ترتيب أعلى الدول الافريقية في عدد مستخدمي الأنترنت، حيث بلغ العدد حوالي 27 مليون مستخدم على المستوى العامي، أي أن أكثر من 60% من الجزائريين المقيمين في الجزائر متصلين بالإنترنت. وبذلك تحتل الجزائر مرتبة جيدة بين دول القارة الإفريقية من حيث شمول الأنترنت، بالإضافة إلى توفيرها للأنترنت بأسعار معقولة، كما أنها تتمتع بسوق أنترنت ثابتة قوية.

في آخر تحديث للحظيرة الاجمالية لمشتركي الانترنت –الثابت والنقال- في الجزائر، سجل خلال الثلاثي الثاني من السنة الجارية 2024م أكثر من 54,99 مليون مشترك، منها أكثر من 49,26 مليون

[1]- مرصد سوق الإنترنت في الجزائر لسنة 2015، الصادر عن: سلطة الصبط للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية: https://www.arpce.dz/ar/file/z7o1p7، آخر معاينة يوم 2024/11/11م، 23:35.

مشترك في انترنت الهاتف النقال، وأكثر من 5,72 مليون مشترك انترنت عبر الهاتف الثابت، أي أن 89.59% من مجموع المشتركين يتم اتصالهم عبر الهاتف النقال، بينما 10,41% فقط يتم اشتراكهم عبر خط الهاتف الثابت[1]. وعليه يمكن القول أن الأنترنت في الجزائر تعرف ثورة متزايدة في الاشتراك في خدماتها بفضل الخدمات التي توفرها خطوط الهاتف النقال، وهذا قد يعطي بعض الملامح لمستخدمي الأنترنت في الجزائر، ويعطي تصورا حول الاستخدامات التي يمكن القيام بها من خلال الهاتف ولا تتطلب بالضرورة جهاز الحاسوب، كالتواصل الاجتماعي، والبحث عن المعلومات، التسوق، الترفيه...

2-2- مؤشرات استخدام الإنترنت في الجزائر:

رغم توفر الكثير من الاحصائيات حول استخدامات الأنترنت في الجزائر، إلا أن الكثير من التعقيدان مرتبطة بعملية جمع مثل تلك الاحصائيات تجعل من تحليلها يستغرق أشهراً ليكون مضبوطا بشكل صارم، حيث أوردت DataReportal لشركة Kepios "ملاحظات حول تباين البيانات وعدم التطابق والغرابة"، جاء فيها أن أحدث الإحصائيات حول استخدامات الأنترنت لا تعكس الواقع الذي قد يكون أكثر نمو مما هو عليه في الإحصائيات المصرح بها. ولا يعتبر هذا شأناً محليا حيث يسجل تباين في أغلب التقارير التي تتعلق بعدد المستخدمين نتيجة إلى التحديات المنهجية المرتبطة بعملية جمع وتحليل تلك البيانات الكبيرة.

وتشير تحليلات Kepios أن انتشار الأنترنت في الجزائر سجل معدل 72.9% من اجمالي السكان في مطلع السنة الجارية 2024م، أي بزيادة قدرها 1,2 مليون وهو م يمثل 3,9% خلال سنة واحدة[2]، وهي أرقام جد إيجابية مقارنة بالنمو العالمي، حيث سجلت الاحصائيات العالمية في نفس الفترة أكثر 66% من سكان العالم يستخدمون الأنترنت، بنسبة نمو تقدر بـ 1,8% سنويا (بلغ عدد المستخدمين 5,52 مليار شهر أكتوبر 2024م أي ما يعادل 67,5% من سكان العالم حسب ما ورد[3]).

[1]- مرصد سوق الإنترنت في الجزائر، الثلاثي الثاني لسنة 2024، الصادر عن: سلطة الضبط للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية: https://www.arpce.dz/ar/file/b6j7j9، آخر معاينة يوم 2024/11/12م، 00:30.

[2]- Data Reportal, Digital 2024: ALGERIA, https://datareportal.com/reports/digital-2024-algeria. Feb 23, 2024.

[3]- Ain Petrosyan, Worldwide Digital Population 2024, https://www.statista.com/statistics/617136/digital-population-worldwide/, Nov 5, 2024.

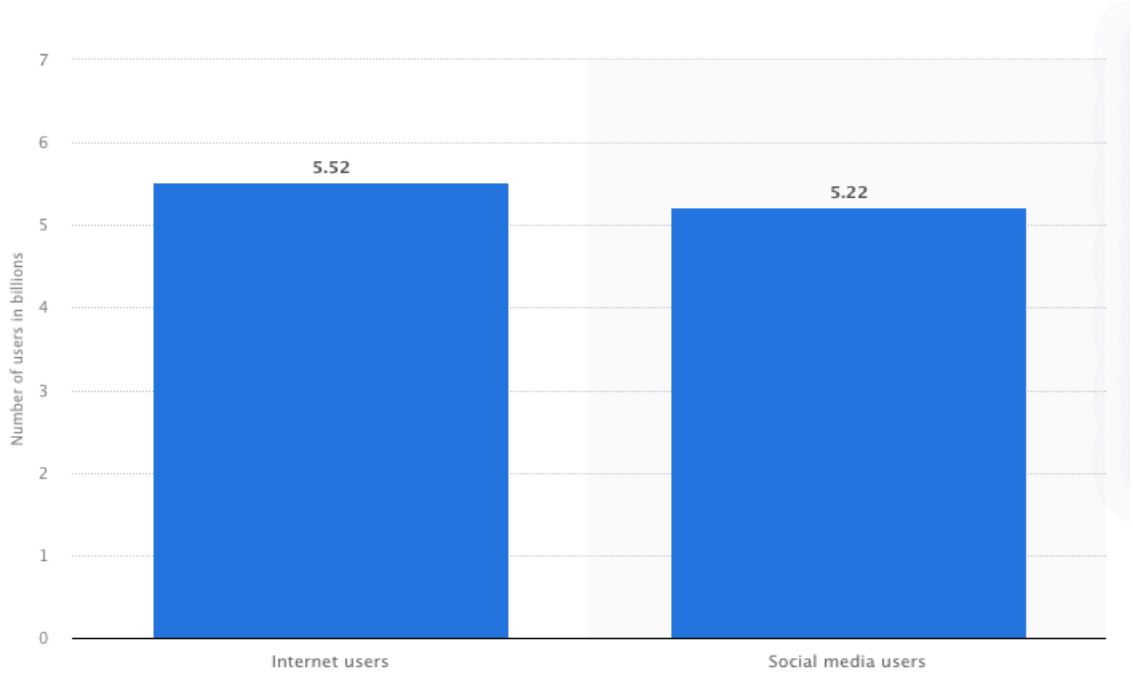
3- مؤشر استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي:

3-1- المؤشرات العالمية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي:

في الإحصاء العالمي لوسائل التواصل الاجتماعي، ذكرت Kepios في تقريرها الأخير الذي نشرته شهر أكتوبر من السنة الجارية 2024م، أن عدد مستخدمي هذه الشبكات عرف زيادة بـ 256 مليون مستخدم جديد خلال 12 شهر الماضية، بمعدل زيادة سنوية تقدر بـ 5,2%، ليصل عددهم إلى 5,22 مليار مستخدم حول العالم، أي أن ما يعادل 63,8% من سكان العالم يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي، ويلتحق بهم كل ثانية حوالي 8 مستخدمين جدد[1].

وحسب تقارير Statista فإن أعداد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي على المستوى العالمي تقترب من أعداد مستخدمي الأنترنت بشكل عام، كما هو موضوح في الشكل الموالي.

شكل رقم 12: أعمدة بيانية تمثل عدد مستخدمي الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي حول العالم اعتبارا من أكتوبر 2024 – بالمليارات.



المصدر: Statista على الرابط https://www.statista.com/statistics/617136/digital-population-worldwide/، 05 نوفمبر 2024.

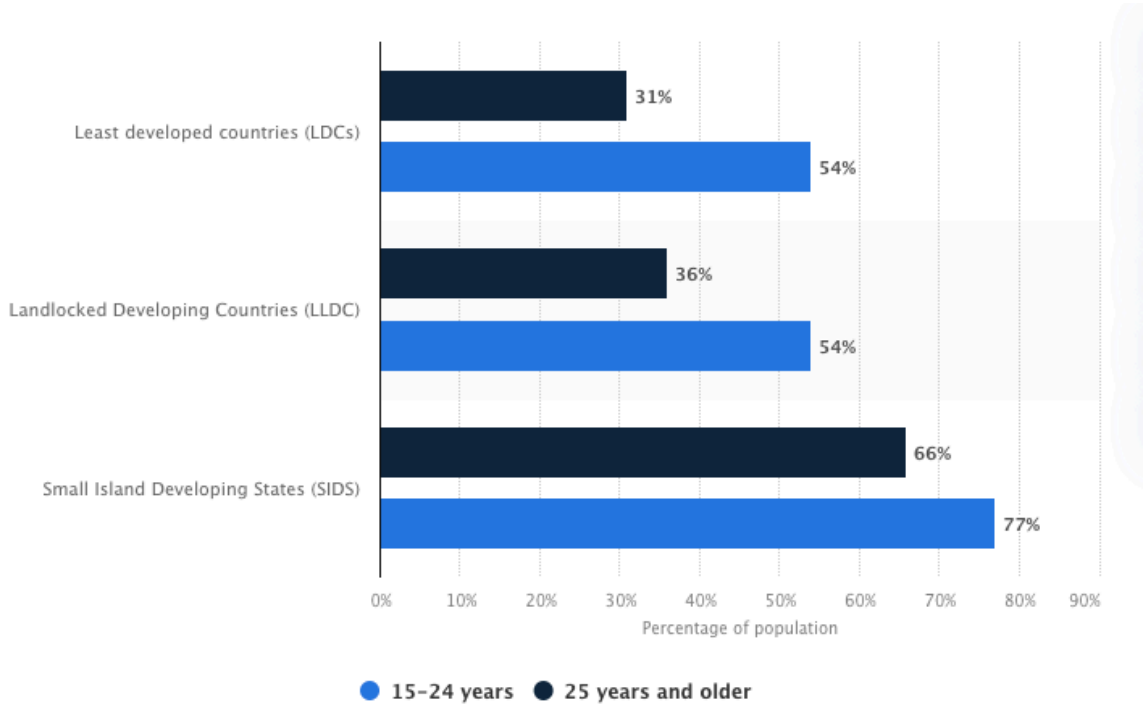
[1]- Data Reportal, Global Social Media Statistics, https://datareportal.com/social-media-users, Oct, 2024.

وتأتي التركيبة السكانية للمستخدمين، حسب بيانات شهر أفريل 2024م على النحو التالي:

- فيما يخص متغير الجنس، فإن 70% من سكان العالم الذكور يستخدمون الأنترنت، في المقابل نجد 64.4% فقط من سكان العالم الإناث الذين يستعملونها، هذا التفاوت بين الجنسين في استخدام الأنترنت يعرف بالفجوة الجنسية في استعمال الانترنت.
- أما فيما يخص العمر، فإن الفئة النشطة هي التي تجمع فئة الشباب ما بين؛ 15 و24 سنة مقارنة بالفئات العمرية الأخرى التي تعرف فجوة رقمية تخص العمر.
- كما أن الأفراد في البلدان ذات الدخل المرتفع يستخدمون الأنترنت بنسبة 93%، مقابل 27% فقط في البلدان ذات الدخل المنخفض.
- تزداد هذه الفجوات في الدول النامية والدول الأقل نموا أكثر منها في الدول المتقدمة.

والشكل الموالي يوضح ذلك بناءً على بيانات سنة 2023م.

شكل رقم 13: أعمدة بيانية تمثل توزيع الفئة العمرية لمستخدمي الأنترنت في الدول النامية والدول الأقل نموا في العالم خلال سنة 2023م.



المصدر: Statista، على الرابط: https://www.statista.com/statistics/209098/age-distribution-internet-users-worldwide-by-market-maturity/، 16 أفريل 2023.

3-2- فيسبوك على رأس شبكات التواصل الاجتماعي:

بالرجوع إلى ال شكل رقم (5) الرسم بياني الذي يوضح عدد المستخدمين النشطين لأبرز شبكات التواصل الاجتماعي على المستوى العالمي خلال شهر أفريل 2024م فإن عدد مستخدمي فيسبوك عرف تطورا متسارعا مند تأسيسه إلى يومنا هذا، حتى أصبح أهم شبكة تواصل اجتماعي عبر الأنترنت، حيث سجلت خلال الربع الثاني من سنة 2023م حوالي ثلاثة مليارات مستخدم نشط شهريا، بزيادة قدرها 26 مليون مستخدم شهريا، بنسبة 0,9%، وهذا يعني أن حوالي 37,2% من سكان العالم مستخدمين للفيسبوك، ويمكن من خلال الجدول الموالي لمس المؤشرات الايجابية في تطور فيسبوك، وتصدره لشبكات التواصل الاجتماعي.

جدول رقم 8: جدول يمثل مؤشـرات نمو فـيسبوك عالميا بالأرقام خلال وقبل أفريل سنة 2023م.

المؤشرات	الأرقام
عدد المستخدمين النشطين خلال الشهر	2,989 مليار
عدد المستخدمين النشطين يوميا	2,037 مليار
نسبة المستخدمين النشطين شهريا من اجمالي عدد سكان العالم	%37,2
مقدار الزيادة الشهرية في عدد المستخدمين خلال الثلاثي الأول من سنة 2023م	26 مليون
عدد المستخدمين من جنس أنثى	%43,2
عدد المستخدمين من جنس ذكر	%56,8
متوسط عمر المستخدمين	32 سنة
نسبة الوصول من الهاتف المحمول شهر جوان 2021م	%98,5
متوسط معدل التفاعل مع الصفحات من خلال جميع المنشورات	%0,07 ما يعادل تفاعل واحد لكل 1429 متابع للصفحة
متوسط معدل التفاعل مع الصفحات من خلال الصور المنشورة	%0,13 ما يعادل تفاعل واحد لكل 769 متابع للصفحة
متوسط معدل التفاعل مع الصفحات من خلال الفيديوهات المنشورة	%0,07 ما يعادل تفاعل واحد لكل 1429 متابع للصفحة
متوسط معدل التفاعل مع الصفحات من خلال الروابط المنشورة	%0,03 ما يعادل تفاعل واحد لكل 3333 متابع للصفحة
المتوسط المتوقع للتفاعلات بصفحة بها 50.000 معجب	105 تفاعل

المصدر: إنجاز شخصي للطالب، بالاعتماد على: -Meta Platforms, Investor Earnings Report, April, 2023.-Kepios, Facebook Users, Stats, Data and Trends, Page Updated: 11 May 2023

انطلاقا من البيانات في الجدول أعلاه، يعتبر فيسبوك الشبكة الأولى من حيث التداول والاستعمال وأعداد المستخدمين، مع العلم أن الأرقام أعلاه تستثني المستخدمين تحت السن القانوني للاستخدام، والذي سترتفع أكثر أرقام الاستخدام إذا أخذناها بعين الاعتبار كون عدد معتبر من المستخدمين دون السن القانوني المسموح به من قبل إدارة فيسبوك ولكن التصريح يتم بخلاف ذلك، الأمر الذي جعل إدارة المنصة أمام العديد من الرهانات التي من بينها التعامل مع البيانات المضللة، والمغلوطة والحسابات الوهمية.

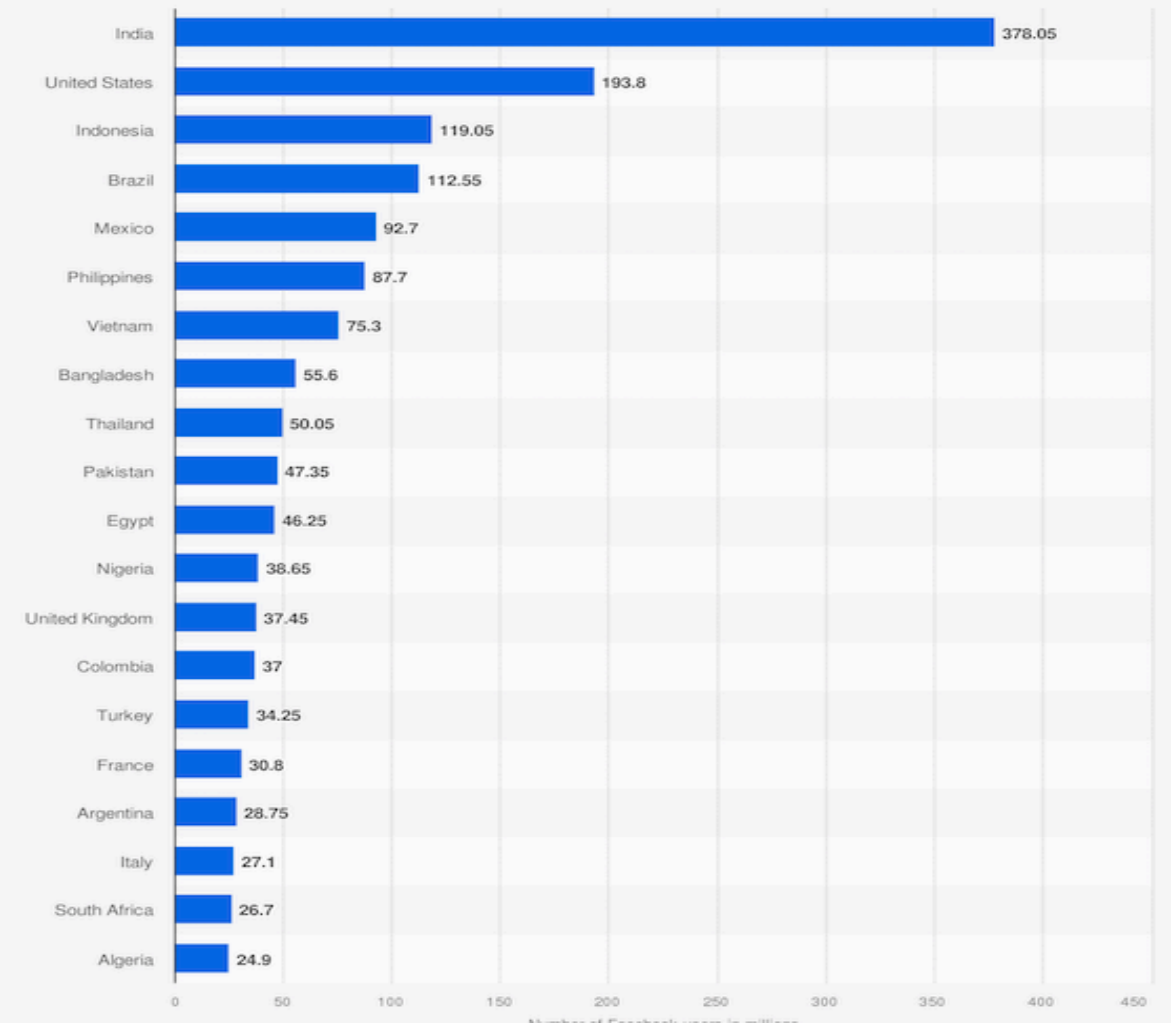
3-3 ـ المؤشرات المحلية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي:

كان لزيادة انتشار الإنترنت في الجزائر، انعكاساً مباشراً على زيادة عدد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في السنوات الأخيرة. حيث تملك ثاني أكبر جمهور لهذه الشبكات في منطقة شمال إفريقيا بعد مصر. ويعد Facebook أقوى هذه الشبكات من حيث عدد المستخدمين، الذين يشاركون في العديد من الأنشطة الأخرى عبر الإنترنت. مثل عمليات الشراء التي أصبحت شائعة بشكل متزايد عبر الأنترنت.

حسب مصادر Meta Platforms، وبيانات Kepios المتعلق بالاستخدام الرقمي في الجزائر[1]، فإن عدد خطوط الهاتف المحمول التي في الخدمة بلغت 50,65 مليون خط مع بداية السنة 2024م، أما اتشار الأنترنت فقد بلغ 72,9%، أي ما يعادل 33,49 مليون مستخدم مع مطلع 2024م، منهم 24,85 مليون مستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي، ما يعادل 54,1% من إجمالي سكان الجزائر، والمقدر عددهم بـ 45,95 مليون نسمة في يناير 2024م، بزيادة قدرها 4,1 مليون مستخدم أي بنسبة 19,5% خلال سنة 2023م، وبهذا تكون الجزائر ضمن الدول الرائدة بناءً على حجم مستخدمي فيسبوك حسب بيانات أفريل 2024م، والشكل رقم (14) يوضح ذلك.

[1] - Data Reportal, Digital 2024: ALGERIA, https://datareportal.com/reports/digital-2024-algeria, Feb 23, 2024.

شكل رقم (14): أعمدة بيانية تمثل الدول الرائدة بناء على حجم مستخدمي فيسبوك ابتداء من شهر أفريل 2024م (بالملايين).



المصدر: Statista، على الرابط: https://www.statista.com/statistics/268136/top-15-countries-based-on-number-of-facebook-users/, 22 Mai, 2024.

وبشكل عام يمكن رصد المؤشرات التالية على مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في الجزائر:

- خلال سنة 2023م زاد عدد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في الجزائر بـ 2,2 مليون مستخدم جديد، بنسبة 9,5%.
- تشير بيانات المنصات إلى أنه في بداية 2024م يوجد 24,80 مليون مستخدم أعمارهم من 18 سنة وأكثر أي بنسبة 83,2% من إجمالي سكان تلك الفئة العمرية.
- خلال شهر جانفي من سنة 2024م تم تسجيل دخول 72,2% من اجمالي مستخدمي الانترنت في الجزائر إلى حساباتهم على شبكات التواصل الاجتماعي.

- 41% من مستخدمي تلك الشبكات من الإناث، في حين 59% من الذكور[1].
- خلال سنة 2024م بلغ معدل وصول إعلانات الشركات عبر فيسبوك إلى حوالي 54,1% من اجمالي سكان الجزائر مطلع السنة الجارية 2024م.
- تغطي هذه الإعلانات ما يعادل 74,2% من مستخدمي الأنترنت في الجزائر.
- بلغ عدد مستخدمي خاصية الرسائل الخاصة لفيسبوك 16,40 مليون مستخدم مطلع السنة الجارية، بمعدل وصول يقدر بـ 35,7% من اجمال السكان[2].

3-4 - خصوصيات الاستخدام في المجتمع الجزائري:

تعتبر الجزائر ضمن الدول الرائدة بناءً على حجم مستخدمي فيسبوك، وهو ما دلت عليه البيانات الواردة في العناصر السابقة، هذا الوضع يضعنا أمام رهان دراسة الممارسات الرقمية، ومحاولة فهمها في إطار الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري.

ترى الدراسات التي أجريت ضمن هذا السياق أن الشباب الجزائري بشكل خاص يستخدم شبكات التواصل الاجتماعي وعلى رأسها فيسبوك بدوافع مختلفة، ولتحقيق جملة من الأهداف، في هذا الطرح ترى سالية رابحي في دراستها حول دوافع استخدام الشباب الجزائري لشبكات التواصل الاجتماعي، والتي أجرتها على عينة تتكون من 563 شاب جزائري من مستخدمي فيسبوك، أن أعمارهم تتراوح بين 18 و35 سنة، وهم يضعون هذه الشبكة على رأس مواقع التواصل الاجتماعي، ويعتبرونها كأهم موقع يتم استخدامه يوميا لتسهيل حياتهم، حيث يقومون من خلاله بالارتباط بمستخدمين آخرين، يتفاعلون معهم ويشكلون من خلال هذا الفضاء علاقات اجتماعية فيما بينهم. بالإضافة إلى الانضمام إلى العديد من مجموعات، ومتابعتهم لصفحات تتماشى واهتماماتهم وتلبي احتياجاتهم[3].

كما أوضحت نفس الدراسة أن التواصل الاجتماعي من أهم دوافع استخدام فيسبوك عند الجزائريين، فهم في سعي دائم للحفاظ على علاقاتهم مع الأصدقاء من خلال متابعة منشوراتهم والتواصل معهم، وأرجعت

---

[1]- Data Reportal, Digital 2024: ALGERIA, https://datareportal.com/reports/digital-2024-algeria. Feb 23, 2024.

[2]- Data Reportal, Digital 2024: ALGERIA, https://datareportal.com/reports/digital-2024-algeria. Feb 23, 2024.

[3]- ناسلية رابحي، **دوافع استخدام الشباب الجزائري لشبكات التواصل الاجتماعي: دراسة مسحية على عينة من مستخدمي شبكة الفايسبوك**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، تحت إشراف: أ.د. رضوان بوجمعة، 2020/2019، ص 234.

ذلك إلى طبيعة هذا الموقع الذي صمم خصيصا للتواصل الاجتماعي[1]، وهذا يتماشى بشكل عام مع البيانات العالمية لأبرز استخدامات هذه الشبكات خلال الربع الثاني لسنة 2024م كما سبق وأن ذكرنا.

تجدر الإشارة إلى أن هذا الموضوع محل جدل في أوساط المهتمين به، حيث يرى البعض أن شبكات التواصل الاجتماعي وعلى رأسها فيسبوك وبوصفه الأكثر استعمالا يساهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، بينما يرى البعض عكس ذلك أي أنها تعمل على فرض عزلة اجتماعية على مستخدميه وتجعلهم في حالة انطوائية بعيدا عن باقي أفراد المجتمع، وجاءت نتائج العديد من الدراسات الميدانية متضاربة في هذا الشأن، فالدكتورة فهيمة بن عثمان مثلا والأستاذ عزوز نش في دراستهما المشتركة "دور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير القيم الأسرية: الفيسبوك أنموذجا"، والتي أجريت سنة 2018م، على عينة قوامها 134 من مستخدمي فيسبوك في الجزائر، يريان أن هذه الشبكات إذا كانت تشجع على الانطواء والانخراط في أنشطة إلكترونية بديلة عن العلاقات الاجتماعية فإنه يجب اغتنام الفرصة والاستفادة مما تقدم في بناء تواصل فعال دون اهمال الأدوار الاجتماعية الرئيسية في الأسرة والمجتمع[2].

كما أشارت ناسلية إلى أن أغلب أفراد عينة الدراسة يهتمون ببناء هوية افتراضية، وهذا يصب في صميم دراستنا، وهي ترى أن هذه العملية تتم عن طريق بناء شبكة علاقات تتكون من مجموعات وأصدقاء يشاركونهم نفس الاهتمامات، والسعي إلى بناء صورة مقبولة ومرغوب في رؤيتها من طرف باقي الأعضاء داخل تلك الشبكة[3].

على صعيد آخر تم تسجيل ظاهرة مزج اللغات في التواصل الرقمي، حيث يمتزج استخدام العربية الدارجة مع الفرنسية والأمازيغية، مشكلاً ما يمكن تسميته "لغة رقمية جزائرية". كما أظهرت منصة We Are Social أن الجزائريين يقضون معدل 3 ساعات يومياً على مواقع التواصل الاجتماعي، مع تركيز على المحتوى المحلي والتفاعلات المجتمعية.

في مجال التجارة الإلكترونية، كشف موقع سلطة ضبط البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية (www.arpce.dz) عن نمو ملحوظ في المعاملات الإلكترونية، خاصة عبر منصات مثل Jumia "Algérie" و ."Ouedkniss" غير أن دراسة "واقع التجارة الإلكترونية في الجزائر" (مركز البحث

---

[1]- نفس المرجع، ص 235.

[2]- فهيمة بن عثمان وعزوز نش، **دور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير القيم الأسرية: الفايس بوك أنموذجا**، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 47، 2018م، ص 99. متاح على الرابط https://jilrc.com/archives/9662 تم النشر بتاريخ: 2018/12/03، آخر معاينة بتاريخ: 2024/11/17. 2:22.

[3]- ناسلية رابحي، مرجع سابق، ص 336.

في الاقتصاد الرقمي، 2023) تشير إلى تحديات مستمرة تتعلق بالثقة في المعاملات الإلكترونية وتفضيل الدفع عند الاستلام.

أما في قطاع التعليم الإلكتروني، فقد أدى وباء كوفيد-19 إلى تسريع التحول الرقمي. وفق إحصائيات وزارة التعليم العالي ((www.mesrs.dz، تم إطلاق منصات تعليمية متعددة مثل "Moodle " في الجامعات الجزائرية. ورصدت دراسة "التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية" (بن علي وآخرون، 2022) تحديات تتعلق بالبنية التحتية الرقمية والمهارات التقنية للأساتذة والطلبة.

بالإضافة إلى ما سبق يلاحظ توجهاً متزايداً نحو رقمنة الخدمات العامة، مع تطور في استخدام المنصات الحكومية الإلكترونية. كما تشير دراسة "الشباب الجزائري والتحول الرقمي" التي أنجزها معهد دراسات الشباب، سنة 2023م، إلى تحول في أنماط الاستهلاك الإعلامي، مع تراجع وسائل الإعلام التقليدية لصالح المنصات الرقمية. غير أن التقرير السنوي للاتحاد الدولي للاتصالات ,2023ITU يشير إلى استمرار تحديات مثل جودة الإنترنت وتكلفة الخدمات. وتؤكد دراسة "الفجوة الرقمية في الجزائر" التي انجزت من طرف مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني سنة 2023م، على التفاوت في الوصول للخدمات الرقمية بين المناطق الحضرية والريفية.

هذه الخصوصيات في الاستخدام تعكس تحولاً اجتماعياً وثقافياً عميقاً في المجتمع الجزائري، مع الحفاظ على بعض السمات المحلية المميزة في الممارسات الرقمية، سنفصل فيها لاحقا.

خلاصة:

مرت شبكة الإنترنت بتحول تاريخي عميق، بدءاً من مشروع عسكري أمريكي (ARPANET) في الستينيات، مروراً بمرحلة الويب الاجتماعي مع ظهور فيسبوك وتويتر في العقد الأول للألفية، وصولاً إلى عصر البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي اليوم. هذا التطور التقني رافقه تحول في الاستخدام من مجرد أداة بحث وتواصل إلى بنية تحتية حيوية تلامس كل جوانب الحياة البشرية: التعليم، التجارة، الترفيه، والحوكمة.

عالمياً، يستخدم الإنترنت اليوم أكثر من 5.4 مليار شخص، لكن الفجوات الرقمية لا تزال عميقة: بين الجنسين، الأجيال، الريف والحضر، والدول الغنية والفقيرة. وتتصدر أنشطة البحث عن المعلومات والتواصل الاجتماعي والتجارة الإلكترونية قائمة استخدامات الشبكة. أما في الجزائر، فتشير الأرقام إلى أكثر من 55 مليون مشترك، 90% منهم عبر الهاتف النقال، مع هيمنة واضحة لفيسبوك كمنصة التواصل الرئيسية.

يتميز الاستخدام الرقمي في الجزائر بخصوصيات تعكس الطبيعة الاجتماعية للمجتمع، حيث يغلب الطابع العائلي والاجتماعي على التفاعلات، مع مزج لغوي فريد بين العربية الدارجة والفرنسية والأمازيغية. ورغم النمو الكبير في التجارة الإلكترونية والتعليم الرقمي، لا تزال التحديات قائمة، خاصة في جودة الاتصال والثقة بالمعاملات الإلكترونية والفجوة بين المناطق. وهكذا تظهر الرقمنة في الجزائر كتفاعل معقد بين الخصوصية المحلية والتدفقات العالمية.

الفصل الخامس

الاجراءات المنهجية للدراسة

الفصل الخامس: الاجراءات المنهجية للدراسة.

تمهيد

أولا: المنهج

1- نوع الدراسة.

2- مبررات اختيار نوع الدراسة.

3- الإثنوغرافيا الرقمية كمنهج للدراسة.

4- مبررات اختيار منهج الإثنوغرافيا الرقمية.

ثانيا: المقاربة النظرية.

1- أهمية المقاربة النظرية.

2- اختيار المقاربة النظرية.

3- المقاربات النظرية لدراسة الهوية الافتراضية.

3-1- نظرية شبكة الفاعلين.

3-2- نظرية الهوية الاجتماعية.

ثالثا: مجالات الدراسة.

1- المجال الجغرافي.

2- المجال البشري.

3- المجال الزماني.

خلاصة.

الفصل الخامس: الاجراءات المنهجية للدراسة.

تمهيد

يرتبط نوع البحث في العلوم الاجتماعية بشكل عام بجملة من المعايير التي تحدد مساره وأطره العامة وتحقق أهدافه، ويأتي على رأسها النموذج الإرشادي الذي يوجه البحث ويأطره ويأثر فيه، ويضم المنهج المتبع والمقاربات النظرية التي تأطر البحث أو الدراسة، وضمن هذا الإطار تقدم منهجية البحث إرشادات توضح كيف يتم إجراء هذا البحث، وتشكل أدوات جمع البيانات وتحليلها، في إطار البحث الأنثروبولوجي الذي يقترح منهجية ملائمة تركز على العمل الميداني، وتعمل من خلاله على تحليل موضوع الهوية الرقمية من جميع جوانبه.

أولا: المنهج

1- نوع الدراسة:

تقع هذه الدراسة ضمن البحوث الاجتماعية النوعية أو الكيفية، وهي بحوث غير وضعية تهتم بوصف العلاقات والحوادث الاجتماعية وتفسيرها، وتعتبر هذه البحوث النوعية أو الكيفية Qualitative Research بحوثا أساسية إذا تعلق الأمر بتحديد طبيعة الظواهر والأشياء، والبحث في معانيها، مفاهيمها، خصائصها، رموزها ووصفها بشكل عام. ويهتم هذا المنهج بالظواهر الاجتماعية التي يفترض فيها عدم القابلية أو القدرة على القياس، يهدف عادة إلى فهم ظواهر محددة، وينصب الاهتمام من خلاله على تلك المعطيات الوصفية، وبالتحديد من خلال فهم معنى الأقوال المنطوقة أو المكتوبة، أي أنه يهتم بجمع وتحليل جملة من النصوص والعلامات التي جمعت والسلوكات التي لوحظت بغرض وصف ظاهرة ما[1].

2- مبررات اختيار نوع الدراسة:

نتبع في هذه الدراسة المناهج النوعية وليست الكمية تحقيقا لأهدافها التي لا يأتي القياس والتكميم ضمن اهتماماتها، فنحن من خلال هذا البحث لا نريد الوصول إلى قياس شيء ما أو ترجمة حدود ظاهرة بأرقام ونسب معينة، بل نهدف إلى الاهتمام بالمعاني التي تبديها وحدات البحث من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي على الأشياء خلال تفاعلاتهم اليومية، أي أننا نسعى في إطار المناهج النوعية إلى فهم واقع الحياة الاجتماعية للفاعلين انطلاقا من سياقاتها[2].

---

[1]- جمال فزة، حسن أحجيج، **البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية: نظريات وتطبيقات**، الطبعة الأولى، فضاء آدم للنشر والتوزيع، المغرب، 2019، ص ص 34- 35.

[2]- سوتيريوس سارانتاكوس، **البحث الاجتماعي**، ترجمة: شحدة فارع، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، لبنان، 2017. ص ص، 213- 214.

نحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن مظاهر الهوية الافتراضية من خلال دراسة جملة من التفاعلات والسلوكات على شبكات التواصل الاجتماعي، وتحديد مجموعة من العناصر الثقافية التي تظهر بشكل جلي أو رمزي في المحتويات المنشورة والمتفاعل معها، ورصد أشكال التعبير عن تلك الهوية في هذه الفضاءات الرقمية. وهذا يتطلب العمل وفق جملة من الخصائص التي تندرج ضمن خصائص المناهج الكيفية التي تهتم بالمعاني التي تظهر على الأشياء من خلال الإضافات التي يجريها الأفراد عليها من خلال ممارساتهم اليومية، ويتعلق الأمر هنا بشكل مباشر بتفسير، بناء وإعادة بناء المعاني والواقع، وتشمل هذه العملية على التواصل كعملية اختيار وتوليد المعنى ضمن السياقات الثقافية، وبدعم من الميكانيزمات الثقافية التي تحدد المعاني كخبرات شخصية ضمن إطار سوسيو- ثقافي[1].

كما أن دراسة مدى تبني المستخدمين للقيم والممارسات الثقافية العالمية، ومدى التداخل والتفاعل بين الثقافة المحلية والعالمية من خلال التفاعلات الافتراضية عبر شبكة الفيسبوك يتطلب دراسة مواقف اجتماعية، واستكشاف عمليات بناء هذه المواقف التي تأطر وجهات نظر المستخدمين أو الفاعلين وتشرح آراءهم الشخصية، وهو ما يندرج ضمن نهج البحوث النوعية.

بشكل عام تعتبر البحوث النوعية أنسب أنواع البحوث لهذه الدراسة، ويرجع ذلك إلى مجموع الخصائص التي تميزها عن البحوث الكمية والتي يمكن حصر أهمها في:

- تهدف البحوث النوعية إلى فهم واستكشاف المعاني المنسوبة من طرف الأفراد أو الجماعات إلى مشكلة اجتماعية.
- يتم جمع بيانات البحوث النوعية في العادة من الوسط أو البيئة التي يشارك فيها الباحث.
- يقوم تحليل البيانات المجمعة وفق أسلوب استقرائي ينتقل فيه من المواضيع الخاصة إلى العامة.
- الاهتمام بوجهات النظر البنائية، أي المعاني المتعددة المأخوذة من التجارب الفردية في سياقاتها الاجتماعية والتاريخية[2].
- توفر مناهج بحث فريدة لدراسة مثل هذه الظواهر على غرار المنهج الإثنوغرافي الرقمي.

3- الإثنوغرافيا الرقمية Digital Ethnography:

تعتمد الدراسات الأنثروبولوجية بشكل كبير على البحوث الإثنوغرافية لما لها من قدرة على فهم ممارسات ومعتقدات ومشاعر المبحوثين، من خلال وصفها وتحليلها لتفاصيل حياتهم وتوثيقها للمعاني

[1]- سوتيريوس سارانتاكوس، **البحث الاجتماعي**، ترجمة: شحدة فارع، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، لبنان، 2017. ص ص 214- 215.

[2] - فرج محمد صوان، **البحث العلمي: المفاهيم، الأفكار، الطرائق والعمليات**، الطبعة الأولى، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2017، ص 15.

المرتبطة بمختلف الأحداث[1]، كما هو الشأن في عملنا هذا الذي اعتمدنا فيه على المنهج الإثنوغرافي لكن بشكل أكثر تخصص جعله يهتم بالمواضيع الحديثة التي فرضتها الحياة داخل الفضاءات الرقمية على غرار شبكات التواصل الاجتماعي، ويتعلق الأمر هنا تحديدا باستخدامنا منهج الإثنوغرافيا الرقمية.

تطور هذا المنهج مع بداية القرن الواحد والعشرين كمنهج نوعي تفسيري للبحث الإثنوغرافي في الفضاءات الإفتراضية أو الرقمية، حيث عمل الباحثون على تكييف تقنيات البحث الإثنوغرافي لفهم النشاط البشري عبر الانترنت[2] على خلفية توسع رقعة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

تعتبر الإثنوغرافيا الرقمية تطورا في مناهج البحث الإثنوغرافي التقليدي – أنظر الجدول رقم (9)- على خلفية الطفرة الكبيرة التي شهدتها الأبحاث الاجتماعية المتعلقة بالأنترنت حسب ما ذهب إليه جايسون هيوز Jason Hughes في موسوعته SAGE Internet Research Methods التي نشرها سنة 2012م[3]، والتي تعتبر مساهمة كبيرة في تطوير مناهج البحث الرقمي في العلوم الاجتماعية، وضع من خلالها الأسس لتطوير الأطر المنهجية لدراسة المجتمعات الرقمية من خلال العمل على دمج الأساليب التقليدية والرقمية في البحث الاثنوغرافي.

في نفس السياق قدمت كريستين هاين Christine Hine سنة 2000م في كتابها Virtual Ethnography مفهوم الإثنوغرافيا الرقمية كخطوة أولى نحو توحيد موضوع الرقمنة في البحث الإثنوغرافي، من خلال إعادة فحص المفاهيم الأساسية السائدة في عصر ما قبل الرقمنة في البحوث الاجتماعية والثقافية، وإعادة صياغتها وفقا لتغير العوالم الاجتماعية، مما مكنها من صياغة تقنيات ومناهج جديدة للتفاعل مع البيئات البحثية الناشئة التي تلزم الباحثين الإثنوغرافيين بتغيير ممارساتهم[4] وعدم الأخذ بخصائص الفضاءات الرقمية كمسلمات، بل من الضروري إخضاع تصوراتنا نحوه للبحث والمساءلة، تماما مثلما عملت الأنثروبولوجيا في بدابتها مع دراستها للمعتقدات حول السحر أو القرابة أو أي موضوع إثنوغرافي آخر، فالطرق التي نرتبط بها مع تفاصيل الحياة الرقمية قد تكون نتيجة لمعتقداتنا حول الأنترنت، ومنه فتطوير فهمنا لها يمكن أن يكون من خلال استخدام الإثنوغرافيا[5] التي تحاول التعامل مع الافتراضي متجاوزة النظرة التقليدية له كأداة تقنية إلى كونه فضاء ثقافيا واجتماعيا.

---

[1]- عبد الرحمان سيد سليمان، **مناهج البحث**، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، 2014، ص 48.

[2] - Debra J. Borkovich, **Digital ethnography: A disruptive qualitative approach to inquiry**. Issues in Information Systems, Volume 23 Issue (4), 2022, pp 120- 122. DOI: https://doi.org/10.48009/4_iis_2022_111

[3] - Anna Fruzsina Gyor. (2017). **Digital Ethnography: Principles and Practice by Sarah Pink, Heather Horst, John Postill, Larissa Hjorth, Tania Lewis, Jo Tacchi (1st edition. London, Sage, 2016)**. *Corvinus Journal of Sociology and SocialPolicy, V 8*(1),P 132.

[4]- نفس المرجع، ص 133.

[5] - Christine Hine, **Virtual Ethnography**, 2ed, SAGA Publications, London, 2001, P 8.

جدول رقم 9: العلاقة بين الإثنوغرافيا التقليدية والإثنوغرافيا الرقمية

العلاقة بين الإثنوغرافيا التقليدية والإثنوغرافيا الرقمية

	الإثنوغرافيا التقليدية	الإثنوغرافيا الرقمية
الأصل المشترك	فهم الثقافات والمجتمعات من خلال الملاحظة والمشاركة.	
	تركز على المجتمعات في العالم الواقعي.	تركز على المجتمعات الرقمية عبر الإنترنت.
البيئة المدروسة	البيئات الواقعية، مثل القبائل، القرى، المدن أو المؤسسات.	البيئات الرقمية، مثل شبكات التواصل الاجتماعي، المنتديات والمدونات عبر الإنترنت.
أدوات جمع البيانات	الملاحظة بالمشاركة، المقابلات، والمشاركة في الأنشطة اليومية للمجتمع المدروس.	تحليل المحتوى الرقمي عبر شبكة الإنترنت؛ المنشورات، التعليقات، الرسائل، التفاعلات والفيديوهات.
الهدف	فهم الثقافات والمجتمعات بشكل عميق.	
	جميع مظاهر الثقافة.	تركز بشكل خاص على كيفية تشكيل الهويات والتفاعلات في الفضاء الرقمي.
جمع البيانات	يتطلب وجود الباحث في الميدان.	يمكن جمع البيانات عن بعد من خلال تحليل المحتوى الرقمي.
السرعة والوصول	تتطلب وقتًا أطول للوصول إلى المجتمعات وفهمها.	تسمح بالوصول السريع إلى مجتمعات متنوعة عبر الإنترنت.
الخصوصية والأخلاقيات	يتم التعامل مع هذه القضايا بشكل مباشر في الميدان.	تحديات تتعلق بخصوصية البيانات الرقمية وموافقة المشاركين.
التكيف مع العصر الرقمي	تعتبر الاثنوغرافيا الرقمية تكيف للإثنوغرافيا مع عصر الإنترنت، حيث أصبحت المجتمعات الرقمية جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية.	

المصدر: إنجاز الطالب

4- مبررات اختيار منهج الإثنوغرافيا الرقمية:

في تبرير الانحياز للإثنوغرافيا الرقمية في دراسة المواضيع المتعلقة بالمظاهر الثقافية والاجتماعية الناشئة عبر شبكات التواصل الاجتماعي والأنترنت بشكل عام، ترى كريستين هاين أن هذا المنهج يتميز بالشمولية التي تجعل منه جديرا في التعامل مع مفاهيم معقدة ومتعددة الأوجه، بالإضافة إلى ما يميزه كالوصف العميق، وعدم اعتماده على فرضيات مسبقة. وهو ما يجعله يقترب من المعاني التي يفسر من خلالها الأشخاص عالمهم والطرق التي ينظمون بها يومياتهم، وينتج فهما لذلك انطلاقا من مفاهيم تنتج من سيرورة الدراسة، عكس الأساليب والمناهج الكمية التي تعتبر تمثيلات سطحية ومعزولة لمفاهيم يتم فرضها على الدراسة من طرف الباحثين أنفسهم، بل يعمل الباحث الإثنوغرافي هنا على دراسة الثقافات في بيئتها

الطبيعية، دون تشويهها بالطرق الاستطلاعية والتقنيات التجريبية. حيث تصف الاثنوغرافيا الثقافة كما هي في الواقع[1].

بالإضافة إلى القدرة على تطبيقها عن بعد من خلال الفضاءات الرقمية، تتميز الاثنوغرافيا الرقمية بجملة من الخصائص والمميزات التي تجعل منها منهجا مناسبا للدراسات المهتمة بالظواهر المتصلة بالأنترنت، مثل العلاقات عبر شبكات التواصل الاجتماعي وما تفرز من اهتمامات بحثية على غرار دراسة الهوية الافتراضية عند مستخدمي هذه الشبكات، وضمن أهم خصائصها تعامل الاثنوغرافيا الرقمية مع الظواهر المتصلة بالأنترنت كجزء من الحياة اليومية، حيث تعتبر شيء مدمج، مجسد ويومي، وعلى هذا الأساس يكون التعامل معها وفق منهج بحث يعكس الواقع. كما تعتبر منهجية لها إمكانية التكيف مع سرعة التغيرات والتطورات التي يعرف بها العالم الرقمي مع المحافظة على عمق التحليل، لهذا لا تعتبر الاثنوغرافيا الرقمية مجرد تطبيق للأساليب البحثية التقليدية، بل هي وضع تصور كامل وجديد لمنهجية بحث إثنوغرافي متعدد المواقع -Multi Sited Ethnography - يعمل على تتبع تداول الأفكار والممارسات بين مختلف المواقع، عكس الاثنوغرافيا التقليدية التي تركز على منطقة جغرافية واحدة[2].

في دراسة الهوية الافتراضية تعتبر الإثنوغرافيا الرقمية المنعج الوحيد الذي يعمل على جمع البيانات من المصادر الرقمية مثل شبكات التواصل الاجتماعي ثم تحليلها لفهم الثقافات المتشكلة عبر شبكة الانترنت، فهو منهج بحث نوعي يركز على الفهم العميق لهذه الثقافات، عن طريق أساليب التحليل الموضوعي، السردي أو التأويلي، عن طريق الانغماس في البيئة الرقمية للفهم الأعمق للظواهر الرقمية المتشكلة والمتفاعلة على تلك الشبكات، مع التركيز على كيفية تمثيل الأفراد والجماعات عبر تلك الفضاءات، وهنا تأتي مقاربة الكيفية التي يتم بها تمثيل المسائل الاجتماعلية في المحتوى الافتراضي بما فيها الهويات[3].

يعتبر إذا منهج الإثنوغرافيا الرقمية المنهج الأنسب لدراسة الهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل نظرا للخصائص والمميزات التي يمكن أن نجملها في الشكل الموالي:

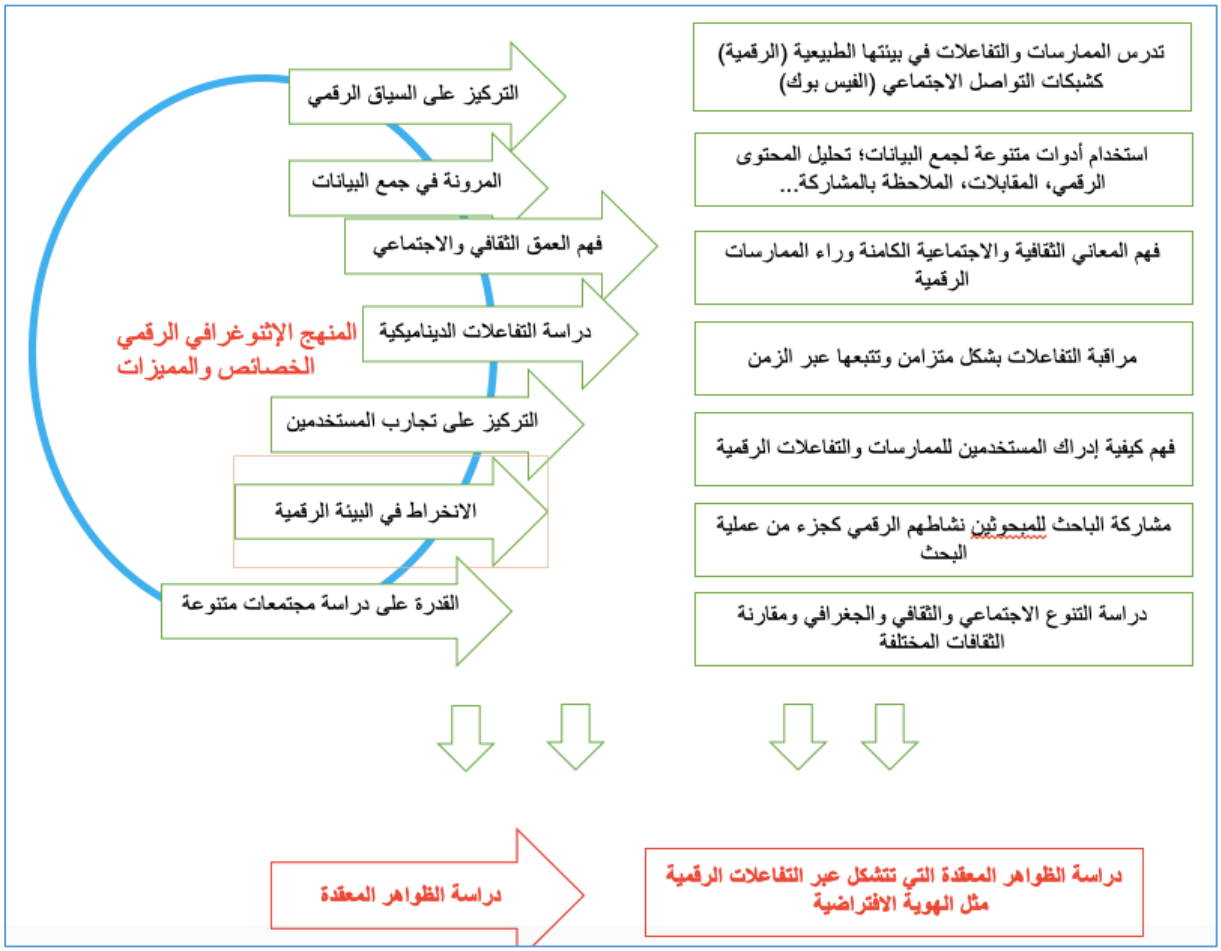
---

[1]- نفس المرجع، ص 42.

[2] - Marie Lefebvre, «**Christine Hine, *Ethnography for the Internet. Embedded, Embodied and Everyday* »,** *Lectures* [Online], Reviews, Online since 12 July 2015, connection on 06 February 2025.URL:http://journals.openedition.org/lectures/18642; DOI: https://doi.org/10.4000/lectures.18642

[3] - Kozinets, R. V., Cavusoglu, L., & Belk, R. W. (2024). **Transformative Netnography: Combining Representation, Social Media, and Participatory Action Research**. Proceedings of the 57th Hawaii International Conference on System Sciences, 2298-2306. DOI: https://hdl.handle.net/10125/106663

شكل رقم 15: شكل يوضح خصائص ومميزات المنهج الإثنوغرافي الرقمي والمواضيع المناسبة لاستخدامه.



المصدر: إنجاز الطالب

يوضح الشكل السابق خصائص ومميزات المنهج الإثنوغرافي الرقمي والمواضيع المناسبة لاستخدامه، فالتركيز على السياق الرقمي يجعل من الممارسات والتفاعلات التي تحدث في إطار شبكات التواصل الاجتماعي موضوعا مناسبا له، وعن طريق المرونة في استخدام أدوات متنوعة لجمع البيانات الرقمية تجعل منه منهجا يملك من الوسائل ما يمكنه من المعاني الكامنة وراء تلك الممارسات وتتبع ديناميكيتها عبر الزمن، وفهم تجارب المستخدمين من خلال اندماجهم في نشاطات المبحوثين كجزء من هذا المجتمع الرقمي، وفهم تنوعه الاجتماعي والثقافي عبر المجالات الزمنية والجغرافية، ويجعل منه منهجا جاهزا لدراسة الظواهر المعقدة لا سيم تلك المتعلقة بالتفاعلات الرقمية مثل الهوية الافتراضية موضوع هذه الدراسة.

ثانيا: المقاربة النظرية

1- أهمية المقاربة النظرية:

تشير المقاربة النظرية إلى تبني نظرية علمية، يستخدمها الباحث كوسيلة أو أداة تحليلية لفهم وتفسير الظاهرة موضوع الدراسة، من خلال استيعاب المفاهيم والقضايا التي تنبثق عنها، وهو ما يساهم في تحليل الارتباطات والتفاعلات المختلفة للظاهرة[1]، وبهذا تكون المقاربة النظرية بمثابة عدسة تحليلية يتمكن الباحث من خلالها من رؤية الظاهرة بشكل أكثر عمقا ووضوحا.

أما النظرية العلمية فتعتبر أداة منهجية تساعد الباحث على فهم البيانات وتفسيرها في إطار أوسع. وبدون سند نظري، تكون الدراسات الاجتماعية مجرد وصف سطحي بعيد عن فهم المعاني الاجتماعية العميقة، لهذا من المهم الاعتماد على المقاربة النظرية، وهي عملية منهجية أوطريقة علمية يعتمدها الباحث في دراسته، يتم من خلالها تناول موضوع الدراسة ضمن إطار نظري معين، يعتبر هذا الاطار مناسبا للفهم والتحليل لاعتماده على أساس أو سند نظري يتمثل في نظرية معينة أو مجموعة من النظريات العلمية التي تقدم تفسيرا وفهما شاملا للموضوع محل البحث والدراسة.

في هذا الإطار يرى كوربين وستراوس Corbin and Strauss، على غرار العديد من الباحثين أن النظرية توفر للباحث إطارا نظريا مرجعيا، هذا الاطار يساعد على تنظيم الأفكار، وتحليل البيانات بطريقة منهجية[2]. ويرى برايس وتيلير Bryman and Teevan أن النظرية بالجسر الذي يربط بين البيانات وتفسيرها العلمي، الشيء الذي من شأنه نعزيز مصداقية البحث وفاعليته[3].

من هذا المنطلق، تلعب المقاربة النظرية لأي بحث علمي دورا مهما في توجيهه، من خلال توفيره للمفاهيم الرئيسية والأدوات التحليلية المناسبة لتفسير الظواهر بشكل منهجي صحيح، ويعزز فهم الباحث للتفاعلات الاجتماعية المعقدة، وبالتالي فالمقاربة النظرية معطى جد مهم لجودة أي بحث وقدرته على تقديم إسهامات جادة في مجال المعرفة.

---

[1]- عشوي مصطفى، **المقاربة النظرية سياق بحثي في العلوم الاجتماعية والتربوية لا بد منه**، مجلة الانسان والمجال، مجلد8، عدد2، ديسمبر 2022، ص 291.

[2] - Corbin, J., & Strauss, A. ***Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory***. Sage Publications.2008, P 16.

[3] - Bryman, A.,& Teevan, J. ***Social Research Methods***. Oxford University Press. 2005.

2- اختيار المقاربة النظرية:

لا تعتبر المقاربة النظرية مجرد تطبيق للنظرية بشكل آلي، بل هي عملية تتم بطريقة إبداعية تتطلب من الباحث الاجتهاد لتكييف النظريات وجعلها تتماشى وسياق البحث، وفي هذا الاطار يرى كريسويل وبوث Creswell and Poth أن المقاربات النظرية ليست قوالب جامدة تطبق بنفس الطريقة على أبحاث مختلفة، بل يجب على الباحث إعادة تكييفها حتى تتماشى ومتطلبات بحثه والسياق الخاص بكل ظاهرة[1]، وهو ما يتطلب التفاعل النشط والمبدع لاستيعاب حيثيات الظاهرة قيد المدروسة.

يقوم الباحث عادة باختيار المقاربة النظرية بناء على جملة من المعايير الموضوعية التي تراعي طبيعة الموضوع، ملاءمة الأساليب ومفاهيم وأدوات البحث التي تقدمها النظرية لتحليل الظاهرة[2]، أي يجب أن تتوفر للنظرية التي يتم اختيارها القدرة على تقديم تفسيرات عن الأسئلة المطروحة.

من جهة أخرى يجب في اختيار النظرية قدرتها على تقديم تفسيرات أكثر دقة وشمولية للظاهرة. ولأجل ذلك يمكن للباحث إستخدام نظرية واحدة أو القيام بالتوليف بين نظريتين أو أكثر من أجل بناء مقاربة نظرية تشمل جميع جوانب الظاهرة إذا كانت معقدة وتتطلب مقاربة متعددة الأبعاد، شرط أن يتناسب هذا الاختيار مع طبيعة التساؤلات والظاهرة المدروسة.

3- المقاربات النظرية لدراسة الهوية الافتراضية:

في موضوع الهوية الافتراضية تلعب العديد من المقاربات النظرية دورا محوريا في فهم وتفسير تشكلها، تطورها وتفاعلها... ويرجع هذا إلى كون الهوية موضوع شائك ومتشعب، ينظر إليه من خلال الأبعاد والعناصر العديدة الي تشكل تفاصيل الموضوع وحيثياته، ومما زاد من تعدد هذه النظريات في دراسة الهوية الافتراضية هو ارتباطها بموضوع تقني كالأنترنت وما نتج عنه من مواضيع ذات صلة بموضوعنا مثل الشبكات الاجتماعية، العلاقات الافتراضية، وغيرها من المواضيع.

في هذا السياق يمكن القول أن تشعب أبعاد الموضوع قيد الدراسة يستدعي الاهتمام بمفاهيم نظرية شبكة الفاعلين، ونظرية الهوية الاجتماعية، لاهتمامهما بمختلف زوايا الموضوع الاجتماعية، النفسية، الثقافية والتقنية، التي تتناول مختلف أبعاد الهوية الافتراضية عند مستخدمي فيسبوك، لا سيم الشبكة، الفاعلين، الهوية الفردية، الهوية الجماعية، العلاقات داخل الشبكة، العلاقات خارج الشبكة، وتأثير كل هذا في بناء هوية افتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.

---

[1] - Creswell, J. W., and Poth, C.N. **Qualitative Inquiry and Research: Choosing Among Five Approaches**, 4th ed. SAGA Publications, 2018, P 67.

[2]- لونيسي ريم، **معيقات توظيف المقاربة النظرية في الدراسات السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية**، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، السنة الثامنة، المجلد 08، العدد 02، جويلية 2023، ص 752.

3-1- نظرية شبكة الفاعلين Actor-Network Theory:

بدأت هذه النظرية في الاستخدام بشكل رئيسي في ميدان العلوم والتكنولوجيا، لكنها انتقلت إلى ميادين أخرى كالعلوم الاجتماعية، الاعلام، التعليم والسياسة... من خلال البحث في الكيفية التي يتم من خلالها بناء الحقائق بالاعتماد على التفاعلات الاجتماعية والمادية، وهو ما تم الوصول إليه بدمج أربعة مسارات بدءً بالاهتمامات الفلسفية بشكل رئيسي في أعمال جيل دولوز Gilles Deleuze وميشيل فوكو Michel Foucault وانتقال البحث مما يسمى "كيانات ثابتة" إلى "العلاقات والقوى". أما في ميدان العلوم فلقد توصل علماء أمثال برونو لاتور Bruno Latour وستيف وولغار Steve Woolgar مثلا، من خلال العمل ميدانيا إلى اختبار إمكانية بناء حقائق عبر شبكة تجمع بين فاعلين من البشر وغير البشر، وأثبتوا فعلا أنه لا توجد "كيانات ثابتة"، فالتفاعل المستمر بين مكونات الشبكة يجعل منها في حالة تشكل وتفكك دائم[1]. كما عمل مهتمون بالاقتصاد والسياسة أمثال ميشيل كالون Michel Callon مثلا على الاهتمام بالطرق العملية لتشكل شبكات الاقتصاد والسياسة بين مختلف الفاعلين، وفي الأخير كانت الكلمة للنقد الاجتماعي للرؤى التقليدية وإعادة دمج الأطر الاجتماعية والطبيعية.

من خلال هذه المسارات أو الرؤى الأربعة السابقة نشأت "نظرية شبكة الفاعلين- الشبكات" مع مطلع تسعينيات القرن الماضي، التي أصبحت وسيلة قوية لدراسة وتحليل الجماعات بمختلف أشكالها والتفاعلات بين وحدات بشرية وعناصر مادية ضمن الشبكة، من خلال التركيز على العلاقات بدلا من التركيز الكيانات الثابتة، أي بدلا من التركيز على العناصر المكونة للشبكة بشكل منفصل، لأن الشبكات هي التي تبني الحقائق من خلال التفاعل[2].

تقدم نظرية شبكة الفاعلين رؤية خاصة لفهم العالم بشقيه الاجتماعي والمادي، من خلال تركيزها على التفاعلات الديناميكية بين مختلف الفاعلين، وهو ما يمكننا من فهم أعمق للظواهر الاجتماعية الأكثر تعقيدا على غرار الهوية في العالم الافتراضي، مستغلين لأجل ذلك مجموعة من المفاهيم التي جاءت بها النظرية في دراستها وتفسيرها للشبكة والفاعلين والعلاقات والتفاعلات بينهم. في هذا السياق نذكر على سبيل المثال مجموعة من المفاهيم التي نرى أنها تخدم موضوع بحثنا بشكل مباشر:

- **شبكة الفاعلين**: يشمل مفهوم الشبكة حسب النظرية مجمل العناصر التي تؤثر في التفاعلات الاجتماعية وتعيد تشكيلها، فهي لا تقتصر على الروابط بين أفرادها فقط، بل تشمل التكنولوجيا والأفكار وكل الفاعلين أفرادا كانوا أم أشياء.

---

[1] - Bruno Latour, **Reassembling the Social: An Introduction to Actor-Network-Theory**, Oxford University Press, 2005, P 72.

[2] - John Law, **Actor Network Theory and Material Semiotics**, version of 25th April 2007, available at http://www. heterogeneities.net/publications /Law2007AN TandMaterial Semiotics.pdf, (downloaded on 18th May, 2007). P3.

- **الفاعلون**: وهم كما سبق وأن ذكرنا كل ما له دور في تشكيل التفاعلات الاجتماعية داخل الشبكة، ويتم تعريفهم من خلال تلك التفاعلات، ينقسمون إلى أفراد وغير أفراد، أما الأفراد فهم في دراستنا مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي، أما الغير أفراد فتتمثل هنا في المنصة المستخدمة كفايسبوك مثلا، وكل ما يتم تداوله من منشورات، صور، فيديوهات... بالإضافة إلى الخوارزميات أو نظام عرض المحتوى. أي أن الفاعل هنا ليس فردا بل هو مجموعة من الكيانات الفاعلة التي لها القدرة على التأثير في الشبكة وإعادة تشكيلها وتوجيهها.
- **العلاقات**: هي العلاقات والتفاعلات بين المستخدمين، تحدد هذه العلاقات بين الفاعلين شكل الشبكة ووظيفتها، وتعطيها الطابع الديناميكي الذي يتغير بموجب التفاعلات بين الأعضاء. وتظهر في موضوعنا على شكل التفاعل مع المحتويات الرقمية عن طريق الإعجاب، التعليق، نشر المحتوى ومشاركته...
- **الترجمة**: هي عملية التحول التدريجي من العلاقات السطحية إلى شبكة متماسكة، يمكن قراءتها من خلال كثافة التفاعل مع محتويات معينة، وهو ما يمكننا من فهم طرق تشكل واستمرار الشبكات أو موتها، أي أن الشبكة تتشكل وفق مبدأ الترجمة الذي يتحقق بموجب تحول المصالح والأهداف والعناصر المشكلة للهوية لتتكيف مع الشبكة، أو العكس. فتخلق روابط جديدة أو تتقوى الروابط الموجودة أو تختفي.
- **التماثل**: يتحقق التماثل في الشبكات عندما تصبح العلاقات بين جميع وحداتها ثابتة ومستمرة، يتساوى فيها من حيث الأهمية والتأثير على الشبكة جميع الفاعلين، أفراد وغير أفراد.

سنحاول من خلال استخدام مفاهيم هذه النظرية بشكل خاص على فهم الهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي والأبعاد الأنثروبولوجية لتلك الهوية، كون هذه النظرية تعالج دور شبكة الفاعلين في تشكيل الهويات وأثرها في الأفعال والممارسات، كون الهوية تبنى بالارتباط بالجماعة والتفاعل مع الفاعلين في الشبكة[1].

2-3- نظرية الهوية الاجتماعية Social Identity Theory:

نشأت هذه النظرية خلال السبعينيات من القرن الماضي، على يد كل من هنري تاجفيل Henri Tajfel وجون تيرنر John Tuurner، في سياق دراستهما للعلاقات بين الجماعات وما تحمل في طياتها من ثنائيتي تشابه/ اختلاف وصراع/ تعاون، وتتلخص فكرتها الأساسية في عدم انفصال الهوية الفردية عن

[1]- نظرية الشبكة الفاعلة والسلوك الجمعي Actor-Network Theory، متاح على الرابط https://academics.su.edu.krd/public/profiles/jwan.bakr/teaching/teaching-1317-47338-1708200171-7.pdf ، معينة بتاريخ: 2023/07/15.

هوية المجتمع، حيث يرجع الأفراد حسب هذه النظرية في تعريفهم أنفسهم إلى مجموعاتهم الاجتماعية، أي أن الهوية تستمد معناها من خلال السياقات الاجتماعية ضمن العلاقات بين مختلف الجماعات، التي تفرض على الأفراد الانحياز لمجموعة دون أخرى والاحساس بالانتماء، ومنه يحددون سلوكهم وتصوراتهم حول هويتهم وباقي الهويات المختلفة، حسب هذه النظرية فهوية الأفراد يحددونها من خلال الانتماء إلى المجموعات الاجتماعية التي يرون أناها تعبر بشكل أقوى على انتماءاتهم[1]، وبهذا يعملون على حماية هويتهم ويعززونها.

تهتم نظرية الهوية الاجتماعية إذا بالتفاعل بين الهوية الاجتماعية وهوية الفرد، وبشكل خاص بالطريقة التي يستوعب بها الأفراد هويتهم من خلال كونهم عناصر ضمن مجموعة اجتماعية معينة، وهذا لا يعمل على تحديد أساليب الارتباط والتعامل مع الآخرين فقط، بل يحدد دلالات ومعاني المواقف الاجتماعية، وبالتالي فإن هذه النظرية تقوم أساس التصنيف الاجتماعي حيث تقسم الأفراد إلى زمر أو مجموعات، وتنسب الهوية الاجتماعية إلى الانتماء لتلك المجموعات، هذا الانتماء يجعل الفرد يعقد مقارنات بين الجماعة التي ينتمي إليها –الداخلية- وباقي الجماعات –الخارجية-، وهو ما يعزز الانتماء والتميز بشكل إيجابي.

أما في حال عدم الرضا بخصوص تميز المجموعة عن باقي المجموعات، وهو ما يشكل تهديدا للهوية الاجتماعية، ومنه تقترح النظرية جملة من الاستراتيجيات التي يلجأ إليها الأفراد لتحقيق ما أسموه "حلول للاندماج"، وهي أساليب إدارة الهوية، يعمل الأفراد من خلالها إلى إعادة صياغة هويتهم، وتلخص عموما في[2]؛

- التنافس الاجتماعي: ويتمثل في منافسة بين الأفراد لتغيير الوضع، والهدف منها السعي وراء التغيير الاجتماعي.

- الحراك الفردي أو الجماعي: ويتمثل في هجر الجماعة إلى جماعة أشد تماسكا، ثم العمل على الاندماج والتأقلم مع قيم تلك الجماعة.

- الإبداع الاجتماعي: ويتم من خلال تغيير المعايير التي يتم مقارنتها، فتصبح المقارنة السلبية غير مهمة، حيث يتم التركيز على عناصر ثقافية خاصة والاعتزاز بها وتمجيدها.

أما استخدامنا لهذه النظرية في دراسة الهوية الافتراضية فسيركز على الكيفية أو الطريقة التي يعمل من خلالها الأفراد على تصنيف أنفسهم ضمن فئات أو زمر اجتماعية تأثر على تمثلاتهم للواقع وتحدد

---

[1] - Henri Tajfel, John Turner, **An integrative theory of intergroup conflict**. In W. G. Austin & S. Worchel (Eds.), The social psychology of intergroup relations. Brooks/Cole, 1979, p. 34.

[2] - Kitty Dumont, Sven Waldzus. **Ideal selves as identity management strategies**. International Journal of Intercultural Relations, Volume 44, 2015, 1–12. https://doi.org/10.1016/j.ijintrel.2014.11.003

سلوكهم تجاه الأشخاص والأحداث. ويأتي على رأس تلك العناصر تصنيف الأشخاص بما فيهم مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي أفراد المجتمعات إلى فئات ينتمون إليهم ويستخدمون مصطلح 'نحن – In Group' للتعبير عنهم، وفئات 'هم – Out Grpip' للتعبير عن الفئات التي لا ينتمون إليهم، وبالتالي فهي لا تحدد مكان الفرد في المجتمع فقط بل تُنشؤ له فئة للانتماء[1]، ووفقا لهذا فمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، يمكنهم تطوير هويات جماعية من خلال الانتماء إلى مجموعات معينة على صفحات الفيسبوك مثلا.

كما يرى أصحاب هذه النظرية فإن الأفراد ومن أجل تعزيز هويتهم، يسعون دائما لأن تكون مجوعة الانتماء متميزة بشكل إيجابي، وهو ما يفسر لجوء الأشخاص إلى عقد المقارنات بين المجموعة التي ينتمون إليها والمجموعات الأخرى، وتثمين ما يميزهم[2]، وفي هذا الشأن يلاحظ أن المجموعات الافتراضية المتخصصة على شبكة الفيسبوك مثلا، كثيرا ما تظهر انها محترفة، متحكمة ومتميزة فيما تعتبره مميزا لها.

بالإضافة إلى ما سبق يعتبر غياب الشخصية الواعية في سياق التحيز الجمعي وتبني مواقف منسجمة مع آراء المجموعة دون تفكير، من الظواهر التي أولت لها النظرية أهمية كبيرة، وفي هذا السياق يرى جون غاستيل John Gastil أن الخوارزميات تعزز تلك التحيزات الجمعية عن طريق تخصيص المحتوى، وهو ما يخلق التعصب القبلي مجددا[3].

ثالثا: مجالات الدراسة

تأتي مجالات الدراسة في ثلاثة أبعاد رئيسية، مجال مكاني، مجال زماني ومجال بشري. إلا أن دراسة المجتمعات الافتراضية يمكنها أن تحيد عن هذه القاعدة لمبررات منهجية تتعلق بطبيعة هذه المجتمعات، التي يلغى فيها المجال المكاني بمعناه التقليدي، بينما يأخذ المجال الزماني طابعا فضفاضاً، يتعدى فيه الزمن الحقيقي الذي يبدأ عند نقطة معينة وينتهي عند أخرى.

في شبكات التواصل الاجتماعي، بتموضع المستخدم في فضاءات افتراضية، هذا التموضع حسب تعبير بيير ليفي Pierre Levy "خارج الهنا"، أي أنهم يصبحون من دون مكان محدد، جراء انفصالهم

---

[1] - AbdulMagied Salma Ahmed, **"Othering, Identity, and Recognition: The Social Exclusion of the Constructed 'Other'**," Future Journal of Social Science: Vol. 1: Iss. 1, Article 5, 2022. P115. DOI:10.54623/fue.fjss .1.1.5 Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/fjss/vol1/iss1/5

[2] - Tajfel, Turner, **An integrative theory of intergroup conflict**. P 45.

[3] - John Gastil, **A Theoretical Model of How Digital Platforms for Public Consultation Can Leverage Deliberation to Boost Democratic Legitimacy**. Journal of Deliberative Democracy, 17(1), 2021, p79. DOI: https://doi.org/10.16997/jdd.963

النسبي عن المجال الجغرافي المتعارف عليه، وعن التقويم الزمني أيضاً[1]، وهذا يعني أننا أمام بيئة افتراضية غير مادية، تطرح مفاهيم جديدة عن المكان والزمان، غير تلك المفاهيم التقليدية.

1- المجال الجغرافي.

تحتل الجغرافيا أو الحيز المكاني في الدراسات الأنثروبولوجية أهمية بالغة، ففي كثير من الدراسات يكفي ذكر الحيز الجغرافي للتعرف على الدراسة الأنثروبولوجية والباحث الذي اتخذها كميدان لدراسته[2]، إلا أن الدراسات التي تهتم بالمجتمعات الافتراضية ونتيجة لغياب "المكان" بمفهومه التقليدي حسب "ماكلوهان" يطرح العديد من الافتراضات غير تقليدية في مسألة المجال المكاني أو الجغرافي.

في هذا الإطار تطرح الدراسات العديد من الافتراضات، منها ما ترى أن شبكات التواصل الاجتماعي والفضاءات الافتراضية أنتجت هويات سائلة لا ترتبط بمكان مادي بعينه، حيث يمكن للمستخدم أن يصرح أنه في أي مكان في أي وقت شاء، كما يمكنه أن يعين المكان الحقيقي الذي يشغله أو يستغني عن التصريح بذالك تماما، وعليه فالوجود الافتراضي لا يخضع لقيود المكان، بل يتشكل عن طريق سياقات لا مكانية مثل الاهتمامات المشتركة على سبيل المثال.

ووفق سياق معاكس ترى دراسات أخرى أن الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي والفضاءات الافتراضية هي انعكاس للمجال الجغرافي المادي، وفي هذا الصدد يرى دانيال ميلر أن الهوية الافتراضية هي امتداد للهوية المرتبطة بالمكان الجغرافي، أين يظهر المستخدمين ارتباطهم بالمكان من خلال رأسمالهم الثقافي المتصل بمدينة الانتماء واللهجة والعادات والتقاليد، ومختلف الأبعاد الثقافية، وهذا يؤدي إلى تلاشى الحدود بين الأماكن المادية والافتراضية ضمن هذه الفضاءات الرقمية[3].

---

[1] - بيير ليفي، **عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟**، الطبعة الأولى، ترجمة: رياض الكحال، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، مملكة البحرين، 2018، ص 22.

[2] - Jean COPANS, **Introduction a l'ethnologie et a l'anthropologie**, 2eme édition, Armand Colin, 2005, pp 17-18.

[3] - Daniel Miller, **Social Media in an English Village**, London: UCL Press, 2016, p . Available at: https://discovery.ucl.ac.uk/id/eprint/1474804/1/Social-Media-in-an-English-Village.pdf . [Accessed: 22 April 2024].

وعليه فإن الهوية الافتراضية التي نعمل على دراستها عند مستخدمي الفايسبوك تساهم إلى حد ما في إنتاج فضاء افتراضي له علاقة بشكل أو بآخر بالمجالات المكانية أو الجغرافية التي يشغلها المستخدم، فتكون تارة انعكاس أو امتداد للمجال الذي يشغله، وتارة أخرى يكون انفصالا أو انقطاعا عنه، ويكون ذلك نتيجة للممارسات الرقمية التي يحددها المستخدمون فتعكس علاقتهم بالمكان، وليس عبر الإحداثيات الجغرافية التي يشغلونها قسرا، أي أن المجال المكان لوحدات البحث يربط بين الفضاءات الافتراضية والمادية دون دمج لأحدهما في الآخر.

2- المجال الزماني "الوقت المناسب":

بدوره إدراك المجال أو الحيز الزماني في العالم الافتراضي يختلف عنه في الواقع، ومرد ذلك إلى اختلاف إدراك الزمن أو الوقت في حد ذاته، كون الفضاءات الافتراضية تضعنا أمام غياب ما عهدناه من تسلسل زمني للأحداث، حيث تفسح هذه الفضاءات المجال أمام المستخدمين لنشر الأحداث مباشرةً من أرض الواقع وقت وقوعها، أو نشر ذكرياتهم أو برمجة أحداث مستقبلية، كل هذا يعرض للمتابعين، الزوار أو الأصدقاء على الشبكة وكأنه يحدث الآن، ويمكنهم من التفاعل معه دون قيود أو محددات وأطر زمنية واضحة، وهذا معناه إمكانية إغفال الزمن وسيرورته المعهودة، وهو ما يعتبره مانويل كاستيلز Manuel Castells وبول فيريليو Paul Virilio تحطيما للزمن الخطي[1].

إذا الفضاء الافتراضي ينتج عنه زمن غير خطي يتداخل فيه الماضي، الحاضر والمستقبل، وتصبح الأحداث من خلاله لحظات متقطعة أو منفصلة عن بعضها البعض، وهذا يعني أن محتوى شبكات التواصل بما فيها الفايسبوك لم يعد يحكمه الوقت الفعلي بمفهومه الكلاسيكي المتعارف عليه، بل أصبح يحكمه "الوقت المناسب Right-Time" الذي تسيره الخوارزميات تلبية لطلبات وحاجات المستخدمين[2]، وهو نظام زمني جديد خاص بالشبكات في البيئة الإفتراضية التي تحكمها الخوارزميات التي تتلاعب بمحور الزمن حسب تعبير تاينا بوتشر Taina Bucher، وإذا كان الوقت المناسب لا يلغي الوقت الحقيقي فإنه يختلط به ويختزله، ويجعل منه على الشبكة مزيجا من تدفقات شخصية وفق زمن حقيقي ومحتوى أرشيف الشبكة الذي تتحكم فيه الخوارزميات[3].

---

[1] - ROBERT HASSAN, **Network Time and the New Knowledge Epoch**. Time & Society, 12 (2/3), pp.225-241. https://doi.org/10.1177/0961463X030122004.

[2] - Ludmila Lupinacci, Phenomenal algorhythms: The sensorial orchestration of real-time in the social media manifold. New Media & Society, 26(7), 2022, Pp 4078-4098. https://doi.org/10.1177/14614448221109952 .

[3] - Taina Bucher, The right-time web: Theorizing the kairologic of algorithmic media. New Media & Society, 22(9), 2020, Pp 1699-1714. https://doi.org/10.1177/1461444820913560 .

انطلاقا من فهم منطق الوقت المناسب Right-Time السائد في الحياة على شبكات التواصل الاجتماعي، يكون المجال الزماني للدراسة في الواقع خلال سنة 2024م أي أن الأنشطة البحثية التي قمنا بها ميدانيا كانت خلال تلك السنة، بما في ذلك الأنشطة الرقمية أو الافتراضية لوحدات البحث، إلا أن الزمن المناسب الذي يتحكم في تلك الأنشطة والفعاليات قد يمتد إلى أزمنة قبل-أرشيف رقمي- أو بعد اللحظة -إستشراف- التي تمت فيها.

ينقسم المجال الزمني للدراسة من حيث الأنشطة البحثية ميدانيا إلى ثلاث مراحل، الرصد، التحليل واستخلاص النتائج، حيث بدأنا بضبط العينة وتعيين وحدات البحث ورسم شبكة العلاقات خلال الثلاثي الأول من سنة 2024م، وهي العملية التي استمرت لثلاث أشهر إضافية كون الوحدات التي تم اختيارها لم تلبي شرط التشبع النظري، الثلاث أشهر الموالية كانت لرصد الأنشطة الرقمية، وتحليل محتواها، الثلاثي الثالث من سنة إجراء البحث الميداني كان لإجراء مقابلات مع بعض الوحدات لتدعيم المحتوى تأكيداً على بعض النقاط التي رأينا أنها تتطلب بيانات أكثر، الثلاثي الأخير من السنة كان لاستخلاص النتائج، هذا من الناحية النظرية، أما ميدانيا فقد تحتم علينا الأمر إضافة ثلاث أشهر إضافية للرجوع إلى العمل مجددا على جميع الأنشطة البحثية من رصد وتحليل واستخلاص للنتائج ومقارنتها مجددا، حيث تم توسيع عملية رصد البيانات والأنشطة الرقمية على كل الأنشطة التي جرت خلال سنة 2024، من شهر جانفي حتى شهر ديسمبر.

3- المجال البشري:

من الناحية النظرية فإن المجال البشري للدراسة أو مجتمع الدراسة، هو مجموعة كاملة من الوحدات – أشخاصاً كانت أو أشياء-، هذه الوحدات تمتلك جملة من الخصائص المشتركة[1] التي تجعل الباحث يحددها كمعايير تميزهم عن غيرهم لأن يكونوا ضمن القضايا المراد بحثها من خلال اجراء دراسته عليها، في هذه الحالة قد يكون المجال الدراسي لبحثنا مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، وبالتحديد مستخدمي الفايسبوك كون الاختيار وقع عليه من بين باقي الشبكات نتيجة لموقعه على رأس الشبكات من حيث عدد المستخدمين –أنظر الشكل رقم (5) -، هذا من الناحية النظرية، أما تطبيقيا فإنجاز بحث نوعي على مجتمع يشمل 2,9 مليار مستخدم –حسب الاحصائيات التي تم عرضها سابقا- يعتبر أمرا غير ممكن، ويجعل من تضييق المجال البشري للدراسة أمرا حتميا، وعليه سنعمل على تحديد هذا المجتمع في دراستنا بالأصدقاء على الحساب الخاص بنا على الفيسبوك[2]، والذي يصل تعداده إلى حوالي 4965 صديق مطلع سنة 2024م. لنختار من بينهم فيما بعد عينة الدراسة وفق شروط وضوابط نراها تخدم المنهج المستخدم في الدراسة.

---

[1] - "POPULATIONS AND SAMPLING", umsl.edu, Retrieved 5/2/2022. Edited. https://www.umsl.edu/~lindquists/sample.html .

[2] - https://www.facebook.com/yamine.rehail.9

خلاصة

اعتمدت الدراسة على المنهج النوعي (الكيفي)، الذي يركز على وصف وتفسير الظواهر الاجتماعية بدلاً من قياسها كمياً. تم اختيار هذا المنهج لملاءمته لأهداف البحث المتمثلة في فهم المعاني والدلالات وراء سلوكيات وتفاعلات مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، وكشف مظاهر الهوية الافتراضية في الفضاء الرقمي. وتم توظيف منهج الإثنوغرافيا الرقمية بشكل خاص، كأداة تسمح بالانغماس في البيئة الافتراضية ومراقبة الممارسات اليومية وتحليل المحتوى لفهم الثقافات والهويات الناشئة عبر الإنترنت.

لتحليل تعقيدات الهوية الافتراضية، اعتمد البحث على توليفة من مقاربتين نظريتين رئيسيتين. الأولى هي نظرية شبكة الفاعلين، التي تدرس كيفية تشكل الشبكات والهويات من خلال التفاعل الديناميكي بين عناصر بشرية (المستخدمون) وغير بشرية (المنصة، الخوارزميات، المحتوى). والثانية هي نظرية الهوية الاجتماعية، التي تركز على كيفية بناء الأفراد لهويتهم من خلال انتمائهم وتصنيفهم ضمن مجموعات اجتماعية ("نحن" مقابل "هم")، وسعيهم لتعزيز تميز جماعتهم. هذا التكامل يسمح بفهم الهوية كنتاج لشبكة علاقات تقنية-اجتماعية معقدة.

تتميز مجالات الدراسة في البحث الافتراضي بمرونتها. فالمجال المكاني ليس جغرافيا ثابتا، إذ قد تعكس الهوية الرقمية المكان المادي أو تنفصل عنه. أما المجال الزمني فيحكمه مفهوم "الوقت المناسب" غير الخطي الذي تتحكم فيه خوارزميات المنصات. عمليا، ركز العمل الميداني على نشاط عينة مختارة من أصدقاء الباحث على منصة فيسبوك خلال عام 2024، وذلك لضبط الدراسة وجعلها قابلة للتطبيق ضمن إطار البحث النوعي المعمق، مع الأخذ في الاعتبار الطبيعة الأرشيفية والمستقبلية للمحتوى الرقمي.

الفصل السادس

التطبيق الميداني وتحليل البيانات وعرض النتائج

الفصل السادس: التطبيق الميداني وتحليل البيانات وعرض النتائج

تمهيد:

أولا: اختيار العينة.

1- العينة في البحوث الكيفية.

2- عينة غير احتمالية.

3- العينة الملائمة.

4- عينة الدراسة.

5- خصائص وسمات العينة.

5-1- دلالة البيانات الديموغرافية.

أ- الخصائص المتعلقة بالجنس.

ب- الخصائص المتعلقة السن.

ت- الخصائص المتعلقة بالحالة الاجتماعية.

5-2- دلالة البيانات السوسيو-اقتصادية.

أ- الخصائص المتعلقة بالمهنة.

ب- الخصائص المتعلقة بالمستوى التعليمي.

ثانيا: وسائل جمع البيانات.

1- الملاحظة بالمعايشة.

2- المقابلة.

3- تحليل المحتوى.

ثالثا: آليات التحليل الكيفي.

1- التحليل الموضوعي لبيانات المقابلة.

1-1- بيانات التعريف بالنشاط الرقمي.

1-2- تشكيل الهوية الافتراضية.

1-3- التفاوض الهوياتي بين الهوية المحلية والعالمية.

4- إعادة الإنتاج الافتراضي للهوية المحلية.

2- الأبعاد الأساسية التي تشكل لهوية الافتراضية.

2-1- البعد الاجتماعي للهوية الافتراضية.

2-2- البعد المهني للهوية الافتراضية.

2-3- البعد الديني للهوية الافتراضية.

2-4- البعد الوطني للهوية الافتراضية.

1-5- البعد السياسي للهوية الافتراضية.

رابعا: عرض ومناقشة مناقشة نتائج الدراسة

الفصل السادس: التطبيق الميداني وتحليل البيانات وعرض النتائج

تمهيد:

يأتي هذا الفصل بعد الفصول السابقة التي فصلنا فيها مختلف الرؤى والأفكار التي تأسس لفهم الموضوع من مختلف جوانبه، النظرية، النقدية، والمنهجية، وعلى ضوء كل ذلك، نعمل من خلال هذا الفصل على التحول من الجوانب النظرية التي تأطر فهمنا لاشكالية الموضوع وطرق دراسته والمجالات التي ينفتح عليها، إلى جانب تطبيقي، نقوم من خلاله تطبيق المفاهيم التي تزودنا بها من الفصول السابقة على عينة من المستخدمين تم اختيارهم وفق منهجية متكاملة، تهدف إلى الإجابة على تساؤلات الدراسة وفهم كيف تتشكل الهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي – فيسبوك- وما هي أهم الأبعاد الأنثروبولوجية المكونة لتلك الهوية عند وحدات البحث.

أولا: اختيار العينة.

1- العينة في البحوث الكيفية:

وحدات البحث أو العينة في الدراسات والأبحاث الاجتماعية هي تلك الفئة من الأفراد والجماعات من مجتمع الدراسة والتي يمكن الوصول إليها فعليا، وهم عناصر يتم اختيارهم للمشاركة في الدراسة، وتخضع وحدات البحث لجملة من الضوابط من اجل اختيارها تماشيا مع طبيعة البحث، منهجه، أهدافه والنتائج المرجوة.

في البحوث الكيفية أو النوعية بشكل عام، والإثنوغرافية بشكل خاص، ولكونها تركز على فهم السياقات الاجتماعية والثقافية، فإن اختيار العينة يختلف عنه في البحوث الكمية، هذه الأخيرة التي تهدف غالبا إلى التعميم الإحصائي والتنبؤ، بينما لا تكون النوعية تمثيلية بالضرورة وتهدف إلى الفهم العميق للممارسات الثقافية، لهذا تكون قليلة العدد يتم اختيارها بشكل دقيق لتمثل السياق الذي نهدف لدراسته[1].

2- عينة غير احتمالية Non- Probability Sampling:

يحيلنا الحديث عن البحوث الكيفية التي ذكرناها في العنصر السابق إلى العينة الغير احتمالية، وهي عينة لا يتم اختيارها بشكل عشوائي، بل معاييرها غير عشوائية، يعتمدها الباحث بناء على معايير محددة تخدم بحثه بشكل مباشر، وهو الخيار المفضل في البحوث الكيفية[2]، ويرجع هذا إلى العديد من الأسباب والمزايا كسهولة الوصول إلى هذه العينة، وإمكانية الاتصال المباشر بوحداتها، وإن كان أبرز دافع لاختيار مثل هذه العينات هو الهدف من الدراسة التي يكون عادة القيام بدراسة نوعية لا تتطلب حجم عينة تمثيلية لأن التعميم لا يدخل ضمن أهداف الدراسة[3]، بل يقتصر على الفهم العميق لظاهرة معينة في سياق ثقافي واجتماعي معينة، كما هو الحال في دراستنا.

وعليه فالعينة التي سنعمل على اختيارها في هذه الدراسة، ستكون عينة غير احتمالية، تم اختيار وحداتها بطريقة قصدية، وفق أسلوب العينة الملائمة Convenience Sampling.

---

[1] - شارلين هس بيبر، وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011، ص 138.

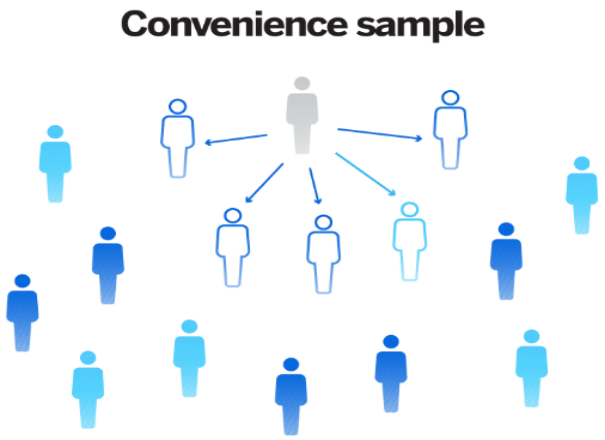
[2] - نفس المرجع، ص 139.

[3] - موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، الطبعة الثانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 309.

3- العينة الملائمة Convenience Sampling:

يعتبر أسلوب أخذ العينة الملائمة أو العينة المريحة أو المتاحة كما يسميها بعض العلماء، من بين أكثر الأساليب المتبعة في اختيار عينات غير احتمالية، والتي يتم من خلالها اختيار الوحدات التي يسهل الوصول إليها، أو على أسس ذاتية، أو الجمع بين سهولة الوصول وأسباب ذاتية[1].

صورة رقم 2: صورة تمثل أسلوب أخذ العينة الملائمة.



المصدر: https://www.qualtrics.com/experience-management/research/convenience-sampling/

وفق هذا الأسلوب قمنا باختيار عينة ملائمة وفق الأسس التالية: سهولة الوصول، سهولة الاتصال والتواصل، وهو ما وجدناه يتحقق بشكل جيد من خلال اختيار مجموعة من الأفراد المشكلين لشبكة العلاقات الشخصية على الفايسبوك، وفق شرط تحقق التشبع النظري.

وفي هذا الصدد يعتبر اختيار مجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى شبكة العلاقات الشخصية على الفايسبوك، أسلوبا لاختيار عينة غير احتمالية ملائمة للبحث، بالإضافة إلى كونه يشكل فضاءً للملاحظة بالمعايشة، كما أنه يوفر بيانات عن تفاعل الأفراد على هذه الشبكة لرموز ثقافية تشكل محتوى ثقافة الشبكة والهوية الافتراضية.

[1] - جوني دانييل، أساسيات اختيار العينة في البحوث العلمية: مبادئ توجيهية عملية لإجراء اختيار العينة البحثية، ترجمة: طارق عطية عبد الرحمن، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2015، ص 132.

4 – عينة الدراسة:

تتشكل عينة الدراسة وفق ما سبق من مجموعة من الأفراد الذين يشكلون جزء من شبكة العلاقات الاجتماعية على الخاصة بالباحث على الفايسبوك، تم اختيارهم وفق مبدأ الأكثر تفاعلا خلال مرحلة اختيار العينة وإجراء الدراسة، حيث تم رصدهم من خلال الظهور المتكرر خلال تلك الفترة على رأس قائمة أصدقاء الفيسبوك، وتم تسجيلهم[1] تنازليا حسب ظهورهم ضمن تلك القائمة.

أما عدد الوحدات فقد تم وفق مبدأ تشبع البيانات والذي يعني الوصول إلى الحد الذي لا يمكن عنده للبيانات الجديدة تسجيل أي تغيير أو إضافة جديدة في تلك البيانات[2]، أي أن الباحث يسجل تكراراً وتشابهاً في النتائج المسجلة، وهو ما سجلناه في حدود 20 وحدة من وحدات البحث الذي أضفنا عليها 15 وحدة إضافية إثراءً للبحث ولتغطية جميع فئات الشبكة، ليصل عدد عينة الدراسة إلى 35 وحدة.

ومنه فعينة الدراسة تشمل 35 حساب فايسبوك أصحابهم معروفون لدينا وينتمون إلى شبكة العلاقات الاجتماعية على هذه المنصة، ويحققون سهولة الوصول، الاتصال والتواصل، لوجود علاقات معهم في أرض الواقع، كونهم جزء من شبكة العلاقات الاجتماعية الواقعة، وهي أول نقطة نكتشفها من خلال رسمنا لشبكة العلاقات على الفيسبوك، التي جاءت كالتالي:

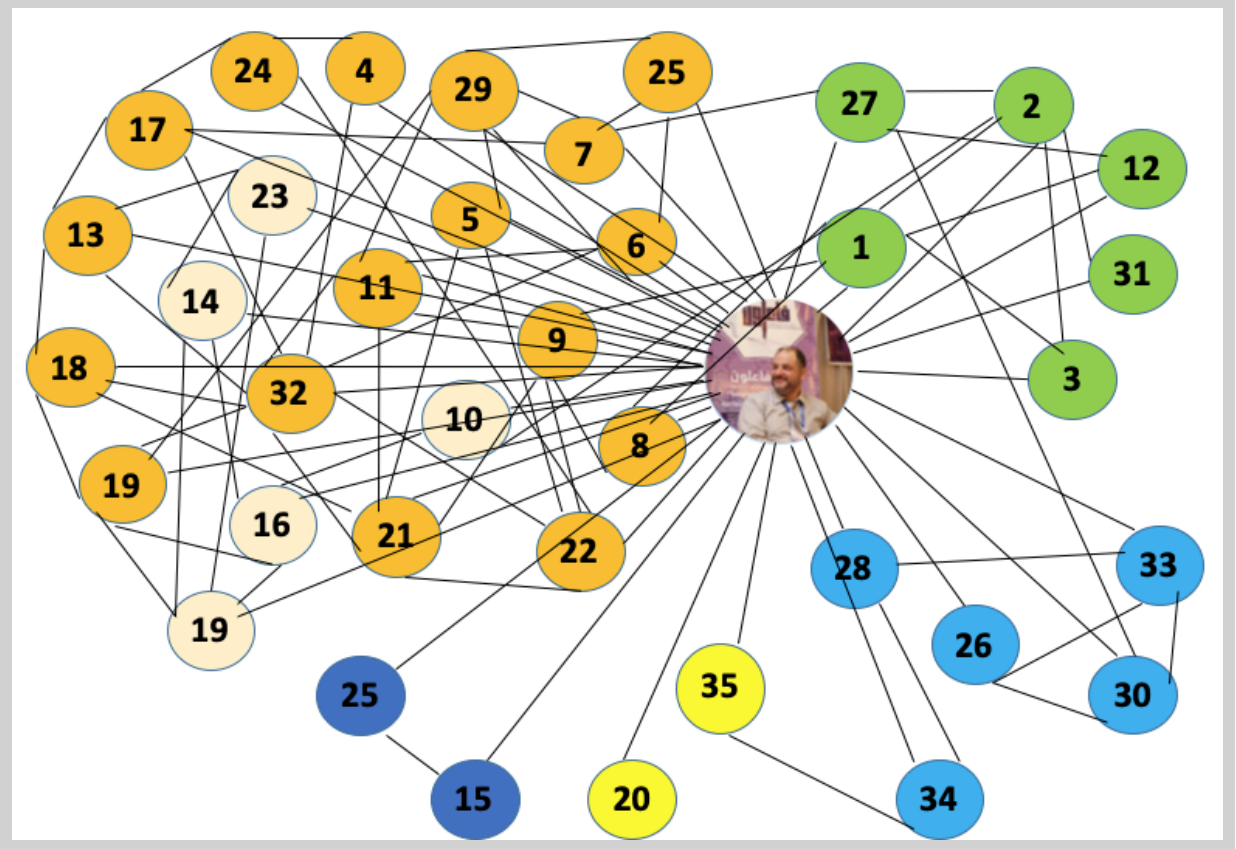
---

[1] - تم تسجيل جميع تفاصيل العمل الميداني في دفتر الملاحظات الإثنوغرافية Ethnographic Notebook، وفق توجيهات Robert Emerson في كتابة Writing Ethnographic Fieldnotes:

- Robert Emerson, Rachel Fretz and Linda Shaw, Writing Ethnographic Fieldnotes, 1ed, University of Chicago Press, 1995.

[2] - Guest Greg, Bunce Arwen and Johnson Laoura, How many interviews are enough? An experiment with data saturation and variability. *Field Methods*, *18* (1), 2006, P64. https://doi.org/10.1177/1525822X05279903.

شكل رقم 16: مخطط لأفراد العينة ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية الافتراضية للطالب – على شبكة الفايسبوك-



دلالة الألوان حسب الفئات: الأقارب. أصدقاء. الوسط المهني. عمل جمعوي. نشاط ترفيهي.
المصدر: إنجاز الطالب.

تظهر الصورة أفراد العينة المتمثلين في 35 فردا أظهرهم الفايسبوك في مقدمة الأصدقاء على صفحتنا الشخصية خلال فترة اختيار العينة وإجراء البحث الميداني، وهو إظهار يقوم على أساس مختلف الأنشطة والتفاعلات التي تحدث بيننا في تلك الفترة، قمنا بترتيبها تنازليا من الأكثر ظهور إلى الأقل، وتظهر في الصورة عقدة رئيسية تمثل الباحث من خلال حسابه على الفايسبوك وتظهر صورة الملف الشخصي Profile Picture، بينما تظهر العقد الأخرى التي تمثل وحدات البحث بأرقام حسب ترتيبها حفاظا على سرية المعلومات المتعلقة بهويتهم، كما تظهر الدوائر المشكلة للعقد الخاصة بهم بألوان مختلفة، حيث يشير كل لون إلى الفئة التي ينتمي إليها، وهذا راجع إلى أننا وجدنا شبكة العلاقات الخاصة بنا تنقسم إلى مجموعة من الفئات مقسمة كالتالي:

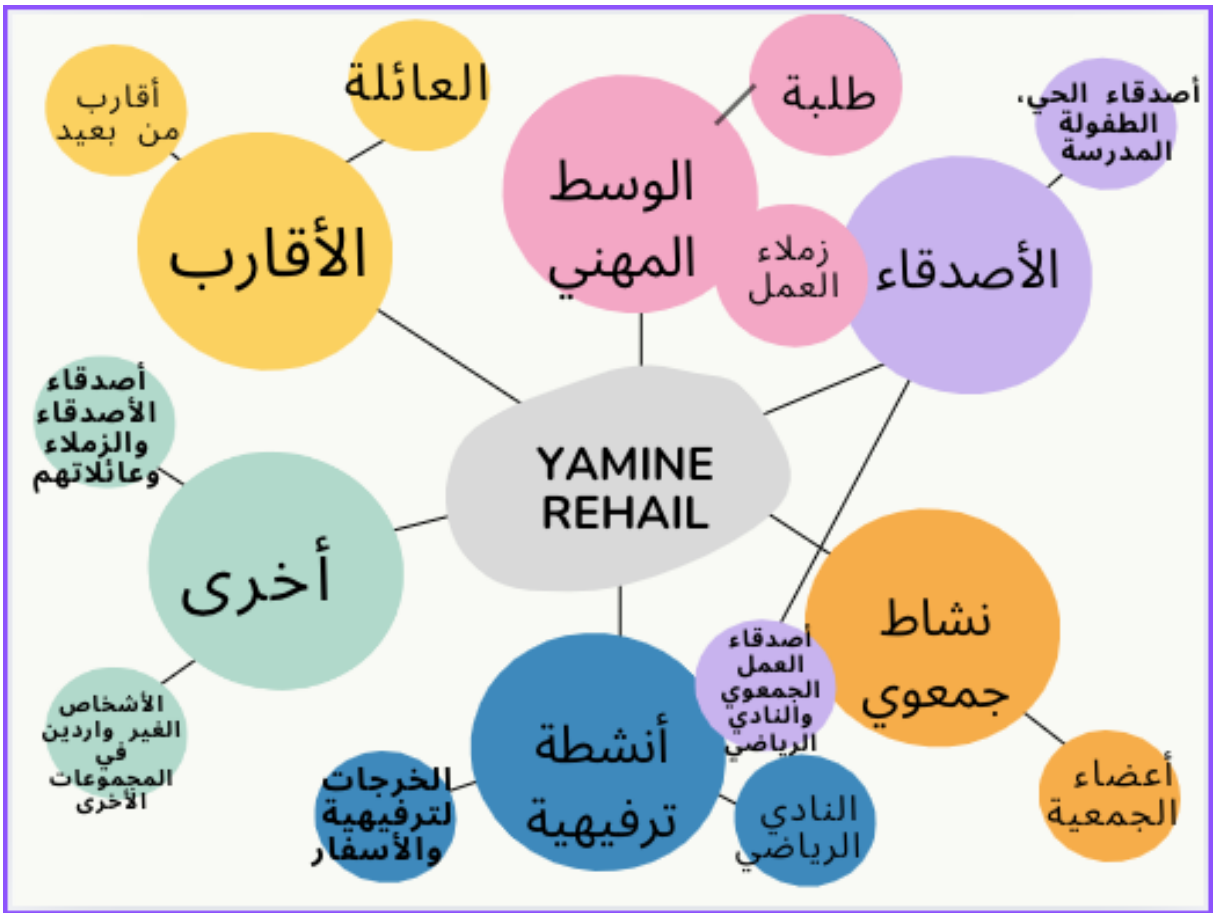
- اللون الأخضر: فئة الأقارب وتضم أفراد من العائلة والأقارب والأنساب، وعددهم 6 أفراد.
- اللون البرتقالي والبرتقالي الفاتح: فئة الأشخاص من الوسط المهني والأكاديمي، وتجمع الزملاء في العمل وزملاء من مؤسسات أخرى داخل الوطن وخارجه، والطلبة ومستخدمي الإدارة، وعددهم 22 فرد.

- اللون الأزرق والأزرق الفاتح: فئة الأصدقاء خارج الإطار المهني، زملاء الدراسة وأصدقاء الحي أيام الطفولة، وعددهم 7 أفراد.

- اللون الأصفر: فئة الأنشطة الترفيهية والنشاط الجمعوي، وتجمع أعضاء الجمعيات والنوادي الرياضية ومختلف الأنشطة الترفيهية، وعددهم فردين 2.

المخطط الموالي يوضح بشكل أوضح مجموع هذه الفئات.

مخطط رقم 17: مخطط انسيابي يوضح مجموع الفئات المشكلة لشبكة العلاقات الاجتماعية الخاصة بالباحث على شبكة الفايسبوك.

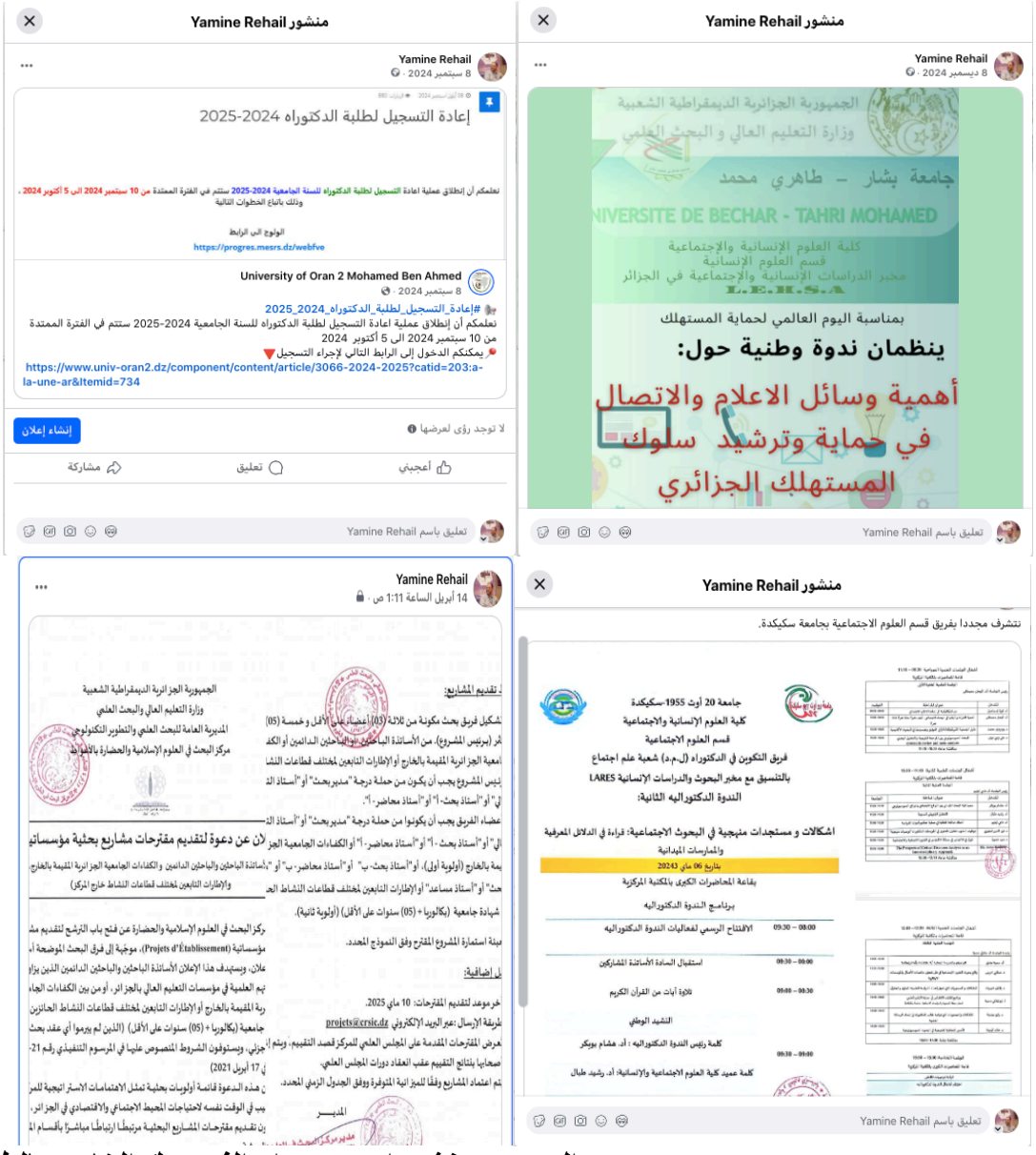


المصدر: إنجاز الطالب.

أما عن دلالة توزيع أفراد العينة أو المبحوثين بهذا الشكل حسب الفئات، فيدل على نمط تفاعل يغلب عليه الطابع المهني، وهذا من شأنه أن يكون له تأثير على الهوية الافتراضية التي تتشكل وفق سياق مهني، يتأكد أكثر هذا السياق في إطار الأنشطة والتفاعلات الرقمية التي يغلب عليها الطابع المهني من خلال نشر بيانات تتعلق بالمهنة، كأخبار الجامعة، الكتب، المقالات وكل ما من شأنه أن يهم الأسرة الجامعية، وإن كان سغلب عليها الطابع الأكاديمي.

والصور الموالية عينات عن تلك الأنشطة الافتراضية والمتمثلة في مجموعة من المنشورات ذات اهتمامات مهنية أكاديمية من الجدار الشخصي على الفيسبوك.

صورة رقم 3: مجموع صور من حساب الطالب لها علاقة بالهوية المهنية وأكاديمية.



المصدر: منشورات من جدار الفيسبوك الخاص بالطالب.

5 – خصائص وسمات العينة:

5-1- دلالة البيانات الديموغرافية:

تضم هذه البيانات مجموعة من السمات والخصائص مثل جنس المبحوثين، سنهم وحالتهم الاجتماعية، وتعتبر هذه البيانات خصائص أساسية لتحديد جملة من الاستجابات والتفاعلات ذات الطابع الاجتماعي، التي تأثر بشكل مباشر في أنماط الهوية الافتراضية.

أ- الخصائص المتعلقة بالجنس:

جاء توزيع وحدات البحث ضمن شبكة العلاقات الشخصية الخاصة بالباحث من حيث الجنس كالتالي: 25 ذكور، مقابل 10 إناث، هذا التباين يتوافق مع بيانات الجنس لمستخدي فايسبوك في الجزائر، الذي قدرته شركة Meta بـ 39,8 بالمئة إناث مقابل 60.2 ذكور مطلع سنة 2023م[1]، لكنه يبحث عن قراءات، لمعرفة ما دلالة وجود أكثر من ثلثي الوحدات من الذكور، وهو ما يعتبر فجوة في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي من حيث الجنس، والأمر هنا لا يتعلق بإمتلاك التقنية أو تكلفة الاتصال، بل يتعلق الأمر بشكل خاص بالأعراف الاجتماعية والخلفية الثقافية التي تضع حدودا فاصلة في التواصل بين الرجال والنساء، والتي تأثر على النساء أكثر من تأثيرها على الرجال، حسب تقرير الفجوة بين الجنسين في مجال الهاتف المحمول لعام 2024م[2].

من جهة أخرى يلاحظ على التواصل بين الجنسين بالنسبة لوحدات البحث المشكلة للشبكة الشخصية، أنه يتم في إطار رسمي عائلي أو مهني، حيث جاءت روابط الشبكة مع وحدات -جنس أنثى- من أفراد العائلة في المقام الأول، وهو ما أعتبره مكفيرسون (وآخرون) McPherson مضللا كون وجود أقارب من الجنس الآخر يجعل منها مختلطة بشكل مثالي حسب الجنس[3]، بينما تغيب تلك العلاقات في الوسط الجمعوي، وروابط الصداقة وأماكن الأنشطة الرياضية أو الترفيهية، ويخضع تواصلها أو ظهورها الهوياتي لضوابط تعكس الأبعاد الثقافية للمجتمع، والتي سنفصل فيها لاحقا.

ب- الخصائص المتعلقة بالسن:

أظهرت شبكة العلاقات الخاصة على الفايسبوك، هيمنة الفئة العمرية التي ينتمي إليها الباحث على الشبكة عند وحدات البحث، حيث بلغ عدد الأشخاص الذين يساوي ويزيد عمرهم عن 45 سنة الأغلبية (19 مبحوث من أصل 35)، وهذا إن كان يعبر عن تجانس الشبكة من جهة، فهو لا يتماشى مع الواقع الرقمي الذي يشير إلى أن الفئات العمرية المهيمنة على الفابيسبوك ترتب تنازليا حسب العمر، كما هو موضح في الجدول التالي:

---

[1] -Simon Kemp, Digital 2023 : ALGERIA, https://datareportal.com/reports/digital-2023-algeria 13 February 2023.

[2] - Nadia Jeffrie, The Mobile Gendre Gap Report 2024, In : https://www.gsma.com/solutions-and-impact/connectivity-for-good/mobile-for-development/blog/the-mobile-gender-gap-report-2024/ , 29 May 2024.

[3] - Miller McPherson, Lynn Smith-Lovin, and James M. Cook, "Birds of a Feather: Homophily in Social Networks," *Annual Review of Sociology* 27, 2001, P 423.

جدول رقم 10: جدول يوضح الفئات العمرية المهيمنة على الفيسبوك في الجزائر مطلع سنة 2023م، مقارنة مع عدد أفراد العينة في كل فئة عمرية.

الفئة العمرية	النسبة من المستخدمين	عدد حالات العينة في كل فئة عمرية
18 - 24 سنة	% 35	00
25 – 34 سنة	% 30	08
35 – 44 سنة	% 20	08
45 + سنة	% 15	19

المصدر إنجاز الطالب إنطلاقا من البيانات الميدانية والتقرير الموالي: Simon Kemp, Digital 2023 : ALGERIA, https://datareportal.com/reports/digital-2023-algeria 13 February 2023

هيمنة فئة عمرية متجانسة على هذه الشبكة يمكن رده إلى ثقافة الإحترام في المجتمع الجزائري التي تجعل من الفئات العمرية متباينة لا تجتمع في فضاء واحد[1]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدم وجود اهتمامات مشتركة بين أفراد هذه الفئات العمرية المتباينة، وهو الأمر الذي من شأنه أن يحد من التواصل والتفاعل بينهم، أما عن وجود علاقة بفئات عمرية أصغر ضمن نطاق هذه الشبكة فهي تدخل في إطار عائلي، أو مهني في إطار علاقة الأستاذ بالطلبة، بالإضافة علاقات وإن كانت محدودة في إطار الأنشطة الرياضية والترفيهية، ويلاحظ عموما أن هذه الروابط تقوم على أساس الدعم المهني أو الاجتماعي.

وتبقى أهم ملاحظة في هذا الإطار هي أن الشبكة تبنى على أساس التجانس العمري، هذا الأخير الذي يعكس إهتمامات هوياتية متماثلة بحكم السن تظهر أثناء تفاعل الأقران، وهو ما يجعل الهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي تقوم على أسس تأخذ بعين الاعتبار المراحل العمرية والعلاقات بين الجيلية، أي أن الهوية الافتراضية تتشكل في إطار الفئة العمرية.

في هذا السياق تتفق هذه القراءة مع نتائج العديد من الدراسات، على غرار دراسة ميلر مكفيرسون Miller McPherson وآخرون، التي ترى أن تجانس الروابط الاجتماعية حسب العمر في الولايات

[1]- رحايل يمين، أرصفة المقاهي وتوزيع السلطة في مجتمع محلي: بلدية أمجاز الدشيش أنموذجا، ورقة غير منشورة، المؤتمر الثالث "الدولة والسيادة والفضاء الاجتماعي في المنطقة العربية: قراءة تاريخية ومقاربات نظرية جديدة"، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، لبنان، 10- 12 مارس 2017.

المتحدة الأمريكية تأتي في المرتبة الثانية بعد العرق، بنسبة 72 % من الأصدقاء متماثلين من حيث العمر في نطاق 8 سنوات[1].

ث- الخصائص المتعلقة بالحالة الاجتماعية:

توزعت وحدات البحث بخصوص الحالة الاجتماعية، بين متزوجين وعزاب، مع إنحياز كبير إلى جهة المتزوجين الذين وصل عددهم 28 متزوج مقابل 7 عزاب، وهي وضعية تعكس توزيع المبحوثين حسب الفئات العمرية، من جهة وترتبط بالوضعية السوسيو- اقتصادية التي سنعالجها في العنصر الاحق، من جهة أخرى.

كما تعتبر هذه الوضعية داخل الشبكة عاملا آخر من عوامل تجانسها، فالأفراد يميلون إلى التفاعل مع أشخاص لهم نفس الحالة الاجتماعية، حيث يكون التواصل أقوى، نتيجة لوجود مواضيع مشتركة تتم مناقشتها، وهذا ينطبق على المتزوجين ممن لديهم أطفال، حيث تتم مناقشة العديد من المواضيع ذات صلة من خلال التعاليق على منشورات فيسبوك كما سنرى ذلك لاحقا.

5-2- دلالة البيانات السوسيو-اقتصادية:

أ- الخصائص المتعلقة بالمهنة:

جاء توزيع أفراد العينة كما هو موضح في الجدول الموالي:

جدول رقم 11: جدول يوضح توزيع أفراد العينة حسب المهنة:

المهن	العدد
أستاذ/ة جامعي/ة	17
إداري/ة بالجامعة	01
إطار في الخدمات الجامعية	01
إطار بمؤسسة اقتصادية	02
مفتش/ة في قطاع التربية والتعليم	01
أستاذ/ة طور متوسط	02

[1] - Miller McPherson, Lynn Smith-Lovin, and James M. Cook, "Birds of a Feather: Homophily in Social Networks," *Annual Review of Sociology* 27, 2001, P 424.

أستاذ/ة تعليم ثانوي	01
عامل بقطاع التربية والتعليم	01
معلم/ ة خاصة	01
من غير مهنة قارة	04
أخصائي/ة نفساني/ة	01
أعمال حرة	01
مدرب رياضة	02

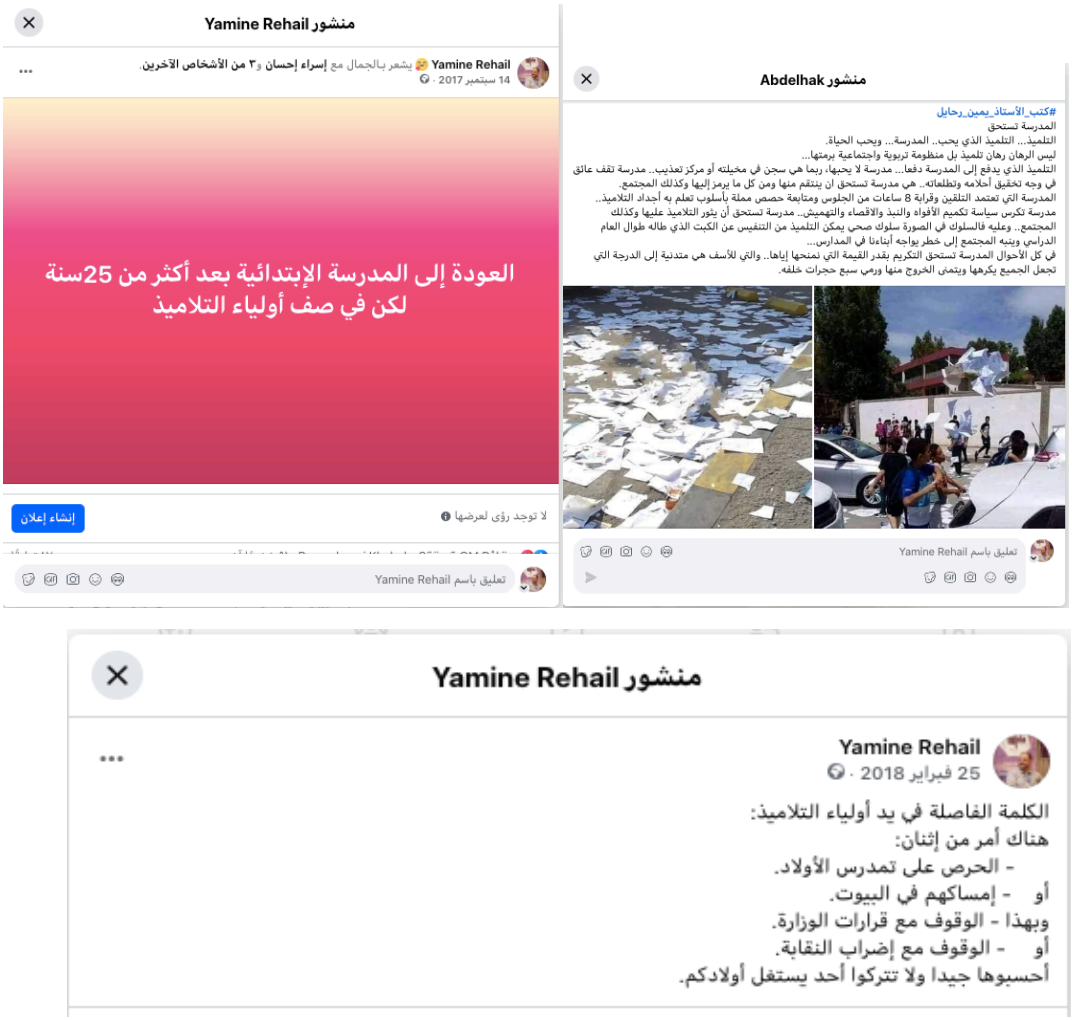
المصدر: إنجاز الطالب.

تأكد من جهتها الملاحظات المتعلقة بتوزيع أفراد العينة على مختلف المهن، أن الشبكة تبنى على أساس التجانس، حيث يشتغل أكثر من نصف العينة في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي، 19 شخص/35. منهم 17 أستاذ/ة جامعية، وهذا يعكس الاهتمامات المهنية المشتركة التي يتم مقاسمتها من خلال الشبكة. (عينة في الصورة رقم 3).

وكما سبق وأن ذكرنا فتوزيع أفراد العينة أو المبحوثين بهذا الشكل حسب الفئات، يأكد على نمط تفاعل يغلب عليه الطابع المهني، وهذا يؤسس لبناء هوية افتراضية تتشكل وفق سياق مهني، يتأكد أكثر هذا السياق في إطار الأنشطة والتفاعلات الرقمية التي يغلب عليها الطابع المهني من خلال نشر بيانات تتعلق بالمهنة، كأخبار الجامعة، نشر روابط الكتب، المقالات وكل ما من شأنه أن يهم الأسرة الجامعية، وإن كان يغلب عليها الطابع الأكاديمي، كما سبق الذكر.

بدوره قطاع التربية والتعليم يحتل مرتبة متقدمة في شغل الوظائف من قبل أفراد العينة، حيث بلغ عددهم 6/ 18 المتبقية، هذا يعكس وجود اهتمامات مشتركة بين هذه الفئة من العينة، والباحث مركز الشبكة محل الدراسة، ويرجع ذلك إلى إعتبار أننا شركاء في العملية التربوية بوصفنا أولياء تلاميذ، ووجود اهتمامات تمس قطاع التربية والتعليم من شأنه خلق علاقات وتفاعلات واقعية وافتراضية مع من يشتغلون هذا القطاع من أساتذة، معلمين، إداريين ومفتشين. والصورة الموالية لعينة من المنشورات التي من شأنها أن تثير تفاعل أفراد هذه الفئة.

صورة رقم 4: مجموع صور من حساب الطالب منشورات لها علاقة بقطاع التربية والتعليم وصفتنا من أولياء التلاميذ.



المصدر: منشورات من جدار الفيسبوك الخاص بالطالب.

تمثل الصور أعلاه منشورات سابقة للطالب على جداره الخاص في الفيسبوك، يتضح من خلالها اهتمامه بالمسائل المتعلقة بالتربية والتعليم بصفته من فئة أولياء التلاميذ، وأستاذ باحث في مجال العلوم الاجتماعية، وهو ما يجعل من هذا الميدان بيئة جيدة لتفاعله مع من يمثلونه، وهو ما ظهر من خلال انتماء فئة معتبرة من وحدات البحث إلى هذا القطاع، وتفاعلهم خلال فترة اجراء الدراسة مع منشورات الباحث المتعلقة بمواضيع ذات صلة بالتربية والتعليم، وهو ما مكنهم من الظهور ضمن فئة عينة الدراسة وفق خوارزميات الأكثر تفاعلا مع الحساب الخاص بالطالب.

ب- الخصائص المتعلقة بالمستوى التعليمي:

تظهر بيانات الشبكة بخصوص المستوى التعليمي لأفراد العينة مستوى تعليميا جيدا لأغلب الوحدات، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم 12: جدول يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى الدراسي.

المهن	العدد
تعليم متوسط	01
تعليم ثانوي	03
ليسانس	07
ماستر	04
دراسات عليا	20

المصدر: إنجاز الطالب.

من شأن هذه البيانات أن تشير إلى فجوة تتعلق بالعنصر البشري الغير متصل نتيجة لتدني المستوى الدراسسي، وهو ما يغيب في عينة الدراسة بتميزها بمستوى دراسي جيد، كما تشير هذه البيانات مجددا إلى تجانس الشبكة، فالأفراد يجتمعون على أساس التشابه والتماثل، قد يكون هذا التجانس مهنيا، جغرافيا، مستوى المعيشة، وفي هذه الحالة المستوى الدراسي، وأكثر من ذلك التخصص الواحد، حيث تنتمي معظم الحالات التي لها مستوى دراسي عالي إلى تخصصات علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا وعلم النفس.

ثانيا: وسائل جمع البيانات:

1- الملاحظة بالمعايشة:

تعتبر الملاحظة ممارسة اجتماعية قبل أن تكون تقنية علمية[1] تكتسي أهميتها من كونها طريقة خاصة لفهم النشاط البشري[2] وتعتبر الملاحظة بالمعايشة التقنية التي تمكن من تسجيل نشاطات حالات البحث بطريقة محددة ومنظمة في وسطهم العادي[3] طلبا للموضوعية، وهو ما دفعنا إلى تبني هذه التقنية لملاحظة الفاعلين من زوايا متعددة[4]، وتتركز الملاحظة هنا بشكل رئيسي حول السمات أو السلوكات والتعابير والرموز التي تظهر والتي يمكن ملاحظتها من خلال صفحات التواصل الاجتماعي من جهة وبالمقابل السمات والسلوكات والتعابير التي يمكن ملاحظتها على الأفراد في الواقع، ولقد ساعدنا الانتماء للعينة المدروسة في التمكن من تطبيق هذه التقنية على المستويين الحقيقي والافتراضي.

2 - تحليل المحتوى التلخيصي:

بما أننا نتعامل في هذا العمل مع علامات غير لفظية في أغلب الأحيان من صور، رموز، إشارات، نصوص مكتوبة، مقاطع فيديو... واستخدام تطبيقات خاصة بالفيسبوك كتسجيل الإعجاب والاشتراك في صفحات خاصة فعملية تحليل المحتوى هي أنجع طريقة لذلك، وهي تقنية غير مباشرة تطبق كما يرى "موريس أنجرس" على المواد المكتوبة، السمعية أو البصرية الصادرة عن الأفراد أو المجموعات والمعروضة بشكل رقمي[5].

وبشكل خاص تحليل المحتوى النوعي هو أسلوب بحث يقوم على التفسير الشخصي للمحتوى في أي شكل كان من خلال تصنيفه المنهجي، وترميزه، وتحديد الأنماط، الثيمات أو المواضيع[6]، وهو هنا على قدر كبير من الأهمية، لأنه يخص تحديد مجموعة من الأنماط والمواضيع التي تظهر من خلال استخدام المبحوثين لشبكات التواصل الاجتماعي، وتفاعلهم مع مختلف الرموز، وهو ما يتطلب من الباحثين تطوير

---

[1] - A, M. Ardorio et P. Fournier, **l'enquête et ses méthode : l'observation directe**, Ed NATHAN, Paris, 2001, p 05.

[2] - J. MASSONNT, **Observer**. In : Alain BLANCHET (et autres), les **techniques d'enquête en science sociales**, Dunode, Paris, 2005, P21.

[3] - A. Trougnon, produire des données. In: Alain Blanchet (et autres), les techniques d'enquête en science sociales, Dunode, Paris, 2005, Pp 3.5.

[4] - Ibid. p 10.

[5] - موريس أنجرس، مرجع سابق، ص 218.

[6] - Yan Zhang & Barbara M Wildemuth, Qualitative Analysis of Content by. Human Brain Mapping 30 (7), 2005, p 2197. https://pages.ischool.utexas.edu/yanz/Content_analysis.pdf

رؤية تحليلية سيميولوجية، لدراسة ذلك المحتوى كون التحليل السيميولوجي وحده هو الكفيل بدراسة الأنماط والأنساق والعلامات غير اللسانية، ويهدف إلى دراسة المعنى الخفي لكل نظام علاماتي أو رمزي.

وهو ما سنعمل عليه من خلال تحليل المحتوى التلخيصي، الذي يهدف إلى فهم سياق استخدام المعاني، الظاهرة –عن طريق رصدها. والكامنة –عن طريق تفسيرها، وإعطائها معنى ضمن السياق الذي جاءت فيه، أي أننا سنهتم بالمعاني التي نستخرجها من البيانات واتساقها مع التفسير كدليل على المصداقية، أكثر من الاهتمام بتكرار الثيمات أو الأنماط[1].

تعتمد عملية تحليل المحتوى التلخيصي على مجموعة من الخطوات العملية، انطلاقا من تساؤلات الدراسة، اختيار مجالات الدراسة وتحديد وحدات البحث، تحديد المواضيع أو الأنماط المراد دراستها، توزيعها على فئات، ثم التفسير وإعطاء الفئات المعاني الممكنة، أي أن تحليل المحتوى التلخيصي يهدف إلى جمع بيانات كبيرة ومتعددة وتنظيمها إلى مجموعة قليلة من الفئات، وهو ما يعطيها معاني مختلفة ضمن سياق تلك الفئات. وهو ما سنعمل عليه من خلال رصد مجموع النصوص المتشابهة في جميع أشكالها، المنشورة على صفحات شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك لوحدات البحث، بالإضافة إلى بيانات المقابلة والملاحظة، وجمعها في فئات حسب المواضع -الثيمات-، لأن الدراسة تبحث في الكيفية التي تنشأ بها المعاني المشتركة[2]، وتشكل أبعاد الهوية الافتراضية عند وحدات البحث.

الجدول الموالية يوضح البيانات الأولية التي تم رصدها –خاصة بوحدات البحث-.

[1] - Hisu-Fang Hsieh, Sarah E Shannon, Three approaches to qualitative content analysis. Qual Health Res. 2005 Nov;15(9):1277-88. doi: 10.1177/1049732305276687. PMID: 16204405.

[2] - Jay Lemke, Multimedia and discourse analysis, in: James Paul Gee and Michael Handford (eds), Routledge Handbook of Analysis, Routledge, London, 2012, p 83.

جدول رقم13: جدول يمثل البيانات الأولية الخاصة بوحدات البحث وحساباتهم على الفيسبوك، والفئات الرئيسة التي ينتمي إليها

	الفئة الرئيسية	الاسم	اللغة المكتوب بها	صورة البروفيل	الجنس	السن	المستوى ا	المهنة
2	نشاط جمعوي وترفيهي	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	63	تعليم ثانوي	متقاعد
3	الأصدقاء	حقيقي	عربي	شخصية	ذكر	57	ليسانس	مفتش تربية
4	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	55	تعليم علي	أستاذ جامعي
5	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	55	تعليم علي	أستاذ جامعي
6	الوسط المهني	حقيقي	عربي	موعظة أو حكمة	ذكر	54	تعليم علي	أستاذ جامعي
7	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	حرف لاتيني بش	أنثى	52	تعليم علي	أستاذ جامعي
8	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	51	تعليم علي	أستاذ جامعي
9	الوسط المهني	مركب حقيقي/ غ	عربي	شخصية تاريخية	ذكر	50	تعليم علي	أستاذ جامعي
10	الوسط المهني	غير حقيقي	فرنسي	طفلة مع العلم ا	أنثى	48	تعليم ثانوي	إداري بالجامع
11	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	47	تعليم علي	أستاذ جامعي
12	الوسط المهني	حقيقي	عربي	صورة من الطبيعة	ذكر	47	تعليم علي	أستاذ جامعي
13	الأصدقاء	حقيقي	فرنسي	ركن في منزل	ذكر	47	ليسانس	إطار بمؤسسة
14	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	آية قرآنية	ذكر	46	تعليم علي	أستاذ جامعي
15	الوسط المهني	كنية	عربي	آية قرآنية	أنثى	46	تعليم علي	أستاذ جامعي
16	الوسط المهني	حقيقي	عربي	منظر طبيعي	ذكر	45	تعليم علي	أستاذ جامعي
17	الوسط المهني	حقيقي	عربي	شخصية	ذكر	45	تعليم علي	أستاذ جامعي
18	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	45	تعليم علي	أستاذ جامعي
19	الأصدقاء	حقيقي	فرنسي	صورة طفل	ذكر	45	ليسانس	إطار بالخدمات
20	الأصدقاء	حقيقي	فرنسي	شخصية تاريخية	ذكر	45	ليسانس	أعمال حرة
21	الأقارب	حقيقي	عربي	شخصية	ذكر	44	تعليم ثانوي	بطال
22	الأصدقاء	حقيقي	عربي	صورة من الطبيعة	ذكر	44	ليسانس	أستاذ طور مت
23	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخصية	أنثى	41	تعليم علي	أستاذ جامعي
24	الأصدقاء	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	40	ماستر	أطار بمؤسسة
25	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	صورة طفل	ذكر	38	تعليم علي	أستاذ جامعي
26	الأقارب	أسماء الأطفال	عربي	لوحة فنية	أنثى	38	ماستر	أستاذ تعليم
27	الأقارب	حقيقي	فرنسي	صورة طفل	أنثى	37	ماستر	أخصائية نفس
28	الأقارب	غير حقيقي	فرنسي	دعاء	أنثى	35	ليسانس	معلمة خاصة
29	الوسط المهني	حقيقي	فرنسي	شخص غير واضح	أنثى	32	طالبة دكتورا	بطالة
30	الأصدقاء	مركب حقيقي/ غ	فرنسي	شخصية	ذكر	32	متعليم متوس	مدرب رياضة
31	نشاط جمعوي وترفيهي	حقيقي	عربي	شخصية	ذكر	32	ماستر	ستاذ متوسط
32	الأقارب	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	31	ليسانس	ضابط شرطة
33	الوسط المهني	غير حقيقي	فرنسي	صورة حيوان ألبف	أنثى	29	طالبة دكتورا	بطالة
34	الوسط المهني	مركب حقيقي/ غ	فرنسي	صورة من الطبيعة	أنثى	27	طالبة دكتورا	بطالة
35	الوسط المهني	كنية	فرنسي	شخصية	ذكر	25	طالب ماستر	بطال
36	الأقارب	حقيقي	فرنسي	شخصية	ذكر	25	تعليم ثانوي	عامل بقطاع ا

المصدر: إنجاز الطالب.

بالإضافة إلى البيانات المتعلقة بالفئات الرئيسية التي تنتمي إليها وحدات البحث، الجنس، العمر، المستوى العلمي والمهنة، التي تم الفصل في تفييئها سابقا، يظهر الجدول رقم 13، مجموعة إضافية من البيانات، ويتعلق الأمر بالهوية البصرية، وترتبط بصورة الحساب واسم المستخدم، والبيانات الأولية التي

يعلنها المستخدم. في هذا السياق تم تسجيل البيانات المذكورة في الجدول أعلاه: 15 حالة فقط تضع صورتها الشخصية الحقيقية، وأسماؤها حقيقية، بينما 16 حالة أسماؤها حقيقية بينما صورها غير الصورة الشخصية الخقيقية، حيث اختلفت الصور وكانت موزعة بين صور مختلفة كما هو موضح في الجدول. حروف كتابة الأسماء هي الأخرى كانت بحروف فرنسية في أغلبها حيث بلغ عدد مستعملي الأحرف العربية 11 حساب من أصل 35 حساب.

هذه البيانات تتعمق أكثر بدراسة بيانات الحسابات فيما يتعلق بالهوية البصرية، حيث أن عدد قليل فقط من الحالات من له القابلية للظهور بالصورة الشخصية الحقيقية، والاسم الكامل على حسابه، حيث يفضل الكثير عدم الظهور العلني، ويتعلق الأمر عند فئة الإناث بالتقاليد الاجتماعية الصارمة التي تمنع نشر صورهن في الفضاءات العامة، وكثيرا ما نجدهن يضعن أيديهن على وجوههن في بعض الصور التي تم إلتقاطها في الفضاء العمومي في مناسبات مختلفة حتى لا يتم الاحتفاظ بصورهن، كما تأثر تقاليد وتمثلات اجتماعية أخرى تتعلق بممارسات الشحر والشعودة والعين الحاسدة، وتحول بين الكثير من الحالات ونشرهم لصورهم في هذه الفضاءات. أما إخفاء الأسماء فهي امتداد لنفس التفسير السابق، بالإضافة إلى الرغبة في عدم التواصل بشكل واسع، وهو ما يجعلهم يختارون أسماء لا تشير إليهم على الاطلاق حتى لا تتم معرفتهم.

3 - المقابلة:

تعتبر المقابلة وسيلة أساسية في البحث الأنثروبولوجي، وإن لم تكن أداة رئيسية في بداية بحثنا هذا لتركيزه على تحليل الممارسات الرقمية، إلا أن معرفة كيف يتم التفاوض بين الهوية الثقافية الأصلية للمبحوثين والهوية الافتراضية في سياق التنوع الثقافي الرقمي، يتم من خلال فهم إدراكهم لتلك العملية والمعاني التي يعطونها لمختلف المواقف التي يمرون بها في سياق رقمي.

ولتحقيق ما سبق، قمنا لتصميم دليل لمقابلة نصف موجهة، يعتمد هذا الدليل على بنود محددة تخدم تساؤلات الدراسة وأهداف البحث، وتعطي حرية نسبية للمبحوثين للتعبير الأمثل عن مواقفهم، وشرح كل ما يتعلق بالموضوع من وجهة نظرهم. ولقد اعتمدنا على كتابة وتسجيل إجاباتهم بدل تسجيلها صوتيا لتوجسهم من هذه المسألة في كل مرة نعرضها عليهم.

كانت 18 مقابلة كافية لبلوغ الإجابات درجة التشبع، إلا أننا أكملنا اجراء 22 مقابلة، بينما تعذر علينا اكمال الـ 13 المتبقية، لاعتذار المبحوثين وعدم توفر البيئة الموائمة لاجرائها في كثير من الأحيان.

أما عن محتوى دليل المقابلة فقد احتوى على جملة من الأسئلة، تمت صياغتها وفق ثلاث محاور أساسية، محور التعريف بالأنشطة الرقمية، محور بستكشف تشكيل الهوية الافتراضية في سياق الثقافات المحلية والعالمية، محور يهدف إلى فهم كيفية إدارة الهوية في السياق الرقمي، وهي محاور صممت وفق الأسئلة التساؤلات الفرعية للدراسة، والتي كانت كالتالي:

1. كيف يؤثر استخدام الفيسبوك على تشكيل وإعادة تشكيل الهوية لدى المستخدمين؟

2. كيف تبنى استراتيجيات التفاوض الهوياتي من طرف مستخدمي الفيسبوك في التوفيق بين هويتهم المحلية والهوية المعولمة على فيسبوك؟

3. كيف يستخدم رواد فيسبوك أبعاد هويتهم المحلية في إعادة إنتاج أو تجديد الهوية الافتراضية في العصر الرقمي؟

وهذا للإجابة على التساؤل الرئيسي المتمثل في: كيف يوازن الأفراد بين هويتهم الأصلية وتشكيل هوية افتراضية في ظل تنوع المصادر الثقافية في العالم الرقمي؟

جاءت بنود هذا الدليل وفق التالي:

صورة رقم 5: صورة عن صفحة أسئلة دليل المقابلة.

دليل المقابلة:

بتاريخ: ..... الساعة: من .... إلى ..... المكان: .....
رمز يشير إلى المبحوث: .....

أولا: التعريف بالنشاط الرقمي:

- ما هي لأكثر الأغراض لاستخدامك فيسبوك؟ (تواصل، ترفيه، تعلم، نشاط مهني...).
- هل استخدامك للفيسبوك شخصي أو مهني؟

ثانيا: أسئلة حول الهوية والثقافة:

1- تشكيل الهوية الافتراضية:

- كيف تصف "هويتك" على فيسبوك؟
- هل تعتقد أنها تختلف عن هويتك الحقيقية؟
- ما هي العناصر الثقافية (لغة، رموز، قيم...) التي تحب إظهارها في حسابك؟ ولماذا؟
- هل تعمل على تغيير أسلوب عرضك لهويتك من وقت لآخر؟ ما الأسباب؟

2- التفاوض بين الهويتين (المحلية والعالمية):

- كيف تتعامل مع التناقضات بين قيمك الأصلية والمحتوى العالمي على فيسبوك؟
- هل تشعر أحيانًا أنك مضطر لتعديل سلوكك الرقمي كي يتوافق مع توقعات محتوى معين؟

3- إعادة إنتاج الهوية المحلية رقميًا:

- كيف تستخدم الرموز الثقافية المحلية (أمثال، لهجة، صور تراثية...) في منشوراتك؟
- هل تشارك في مجموعات أو صفحات تركز على ثقافتك؟ كيف تؤثر هذه المساحات على هويتك؟
- هل لفيسبوك أثر في تغيير مفاهيمك حول ثقافتك الأصلية؟

ثالثا: السياقات الرقمية:

1- إدارة الهوية:

- كيف تنتقي ما تشارك وما تخفي على فيسبوك؟
- هل لديك حسابات متعددة لأدوار مختلفة؟

2- الصراعات والتحديات:

- هل تشعر أحيانا أن هويتك الرقمية تتعارض مع قيمك؟
- كيف ترد على التعليقات أو المحتوى الذي يستفز هويتك الثقافية؟

رابعًا: أسئلة ختامية

1- كيف تعرف بكلمة واحدة هويتك على فيسبوك؟
2- بماذا تنصح للحفاظ على هويتنا الثقافية على المنصات الرقمية؟

المصدر: إنجاز الطالب.

أما عن تفريغ المقابلات فقد تم عن طريق تقسيم الإجابات إلى أقسام حسب المحاول والأسئلة التي تتضمنها، وتضمين الإقتباسات ضمن هذه الأقسام، للاستشهاد بها في تحليلنا لأبعاد الدراسة.

ثالثا: آليات التحليل الكيفي:

1- التحليل الموضوعي لبيانات المقابلة:

سنعمل من خلال تحليل بيانات المقابلة على تقسيم الإجابات إلى أقسام، حسب المحاور والأسئلة التي تتضمنها، مع تضمين بعض الإقتباسات - إجابات المبحوثين عن أسئلة المقابلة- ضمن هذه الأقسام، ودلالتها في إطار، تساؤلات، أهداف، أبعاد الدراسة.

وسيكون التعامل مع بيانات المقابلة وفق طريقة التحليل الموضوعي Thematic analysis، من أجل اكتشاف الأنماط أو الثيمات المشتركة، ووصفها وتفسيرها لفهم المعاني المرتبطة بموضوع الدراسة، انطلاقا من كونه طريقة منهجية لتحديد المواضيع –الأنماط- وتنظيمها مع الاهتمام بالحد الأدنى من التفاصيل، بالإضافة إلى تفسيره لمختلف جوانب الموضوع، ويتمتع هذا الأسلوب بعدم إرتباطه بأي إطار نظري، أي أننا يمكن استخدامه بكل أريحية ضمن الأطر النظرية الخاص بالدراسة لنقل تجارب المستخدمين والمعاني والحقائق لتلك التجارب، والكيفيات التي تتشكل وفقها. ونرى أنها طريقة جد مناسبة لأنها تمكننا من فهم الطرق التي يستوعب بها أفراد العينة معنى الهوياتية الافتراضية، والطرق التي تؤثر بها السياقات الاجتماعية والثقافية على تلك المعاني[1].

1-1- بيانات التعريف بالنشاط الرقمي:

في سياق تحليل الأنشطة الرقمية الأكثر استخداما على شبكة الفيسبوك من طرف وحدات البحث، جاءت إجابات المبحوثين مخالفة للافتراضات التقليدية في هذا السياق، مثل التواصل، الترفيه، التعليم...، حيث كانت أكثر عمقا، وهو تأكيد على دورهم الرسالي، حيث في هذا الصدد إجابات مثل: " الهدف الأساسي هو نشر قناعات فكرية ومشاركة الناس في تشكيل الرأي العام"، "من خلال ما أنشر أنا أقوم بإيصال المعرفة للآخرين وإلهامهم"، "نشر المعرفة والعلم بين الناس". مثل هذه الإجابات تعبر على مستوى متجانس لأفراد عينة يغلب عليها فئة الأساتذة الجامعيين، وتساهم في إبراز هوية مهنية تعزز المسؤولية الاجتماعية، وتعكس

[1] - Virginia Braun, and Clarke Victoria, Using thematic analysis in psychol- ogy. Qualitative Research in Psychology, 3 (2). pp. 6-8. ISSN 1478-0887, 2006 Available from: http://eprints.uwe.ac.uk/11735

المقاربة النظرية للأدوار الاجتماعية للنخب، في دراسة تبنِي الأكاديمي لأدوار تتجاوز الحدود المهنية، وتحيلنا إلى أعمال غرامشي Gramsci حول الوظيفة الاجتماعية للمثقف[1].

كما أظهرت البيانات إنحيازا كبيرا للحسابات المهنية أكثر من الشخصية، ومن خلال معاينة تلك الحسابات، فهي فعلا أغلبها مهنية (21 حساب من أصل 35)، حتى أن البعض منها مهني بشكل مفرط، يجعل المتصفح يعتقد أنه في صفحة للجامعة أو القسم لفرط نشر وتداول البيانات المهنية، وإن كان الاستخدام الفعلي لهذه الشبكات لا يزال بعيدا كل البعد عن الاستخدام الفعلي في السياقات الأكاديمية للتدريس، حسب نتائج دراسة ستيفانيا مانكا وماريا رانيير، حول إمكانيات ومعوقات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في التعليم العالي[2]. وإن كان هذا لا يمنع من تسجيلنا وجود بعض الحسابات التي تمزج بين الشخصي والمهني، كون الهوية الأكاديمية أو المهنية من شأنها أن تكون مصدر توتو وضغط إضافي والكثير من الوقت الضائع، وهذا يتوافق مع نتائج دراسة حول الأكاديميون ومواقع التواصل الاجتماعي: الفوائد والمشكلات والتوترات في التفاعل المهني مع السبكات عبر الأنترنت، لمارتن ويلر وكاتي جوردان[3]، بينما يظهر 14 حساب شخصي محض، وفي هذا الصدد تم تسجيل آراء تتعلق بالاستعمالات التقليدية أو العامة لشبكات التواصل الاجتماعي، كالتواصل، والترفيه، والاطلاع وتوسيع شبكة المعارف، ومن أمثلتها: "الولوج لحسابي على الفضاء الأزرق في حد ذاته هو ترويح للنفس بغض النظر عن التفاعل مع المحتويات"، "الحياة مرتبطة بالهوية الحقيقية أما الفيسبوك فهي افراغ للطاقات السلبية (...) لينطلق من جديد"، "تساعد في تكوين علاقات اجتماعية افتراضية، من خلال تقاسم المحتوى الذي يكون من نفس الاهتمام".

1-2- تشكيل الهوية الافتراضية:

في سياق معرفة كيف تتشكل الهوية الافتراضية، تم طرح مجموعة من الأسئلة مصممة بطريقة تجعل المبحوث يصف هويته الافتراضية على فيسبوك وفق إدراكها له، بالإضافة إلى ما يتصوره حول علاقتها بالهوية الحقيقية من حيث التطابق أو الانفصال، وأهم العناصر الثقافية التي يعمل على إظهارها على جدار حسابه ودلالة ذلك، وما هي الأسباب التي تجعله يغير من هويته الافتراضية إذا كان ذلك قائما؟

---

[1]- الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، دار نشر الملتقى، د.م.ط، 2006، ص ص 38- 43.

[2] - Stefania Manca, Maria Ranieri, Facebook and the others. Potentials and obstacles of Social Media for teaching in higher education, Computers & Education, Volume 95, April 2016, Pages 216-230, https://doi.org/10.1016/j.compedu.2016.01.012

[3] - Katy Jordan, Martin Weller, Academics and Social Networking Sites: Benefits, Problems and Tensions in Professional Engagement with Online Networking, Journal of Interactive Media In Education,V 2018 Issue 1, pp. 1-9, Jan 2018, DOI:10.5334/jime.448

ولقد جاءت الإجابات متجانسة إلى درجة كبيرة في سياق الاتجاهات الثلاثة السائدة؛ اتجاه محافظ، اتجاه تكيفي، والتغيير بموجب السياق، وفق الاستراتيجيات الموضحة في الجدول الموالي:

جدول رقم 14: جدول يوضح اتجاهات تشكل الهوية الافتراضية والاستراتيجيات المعتمدة من قبل أفراد العينة.

اتجاهات تشكيل الهوية الافتراضية	إجابات المبحوثين	الاستراتيجيات
اتجاه محافظ	"أحافظ على هويتي الحقيقية في الفيسبوك، فهو انعكاس لشخصية الفرد في الواقع" "نعم فالهوية الرقمية انعكاس للشخصية... " "الهوية الرقمية تتماشى مع الهوية الحقيقية للفرد، والثانية تعزز الأولى"	يبرز الانسجام بين الهويتين
	"هويتي أكاديمية، فأنا أستخدم فيسبوك للتواصل الأكاديمي" "الهوية الرقمية تساعد في تحقيق أهداف معينة مثل البحث العلمي" "أحاول وضع تصور افتراضي عن اهتماماتي العلمية" "نعم تعكس الهوية الحقيقية من خلال اهتماماتي بمجال العلوم الاجتماعية"	يبني هوية مهنية
اتجاه تكيفي	"أنا اتجنب النقاش الحاد في الفيسبوك –تكسار الراس- نحكم رايي عندي وخليه في هواه" "هي هوية هلامية صالحة مع كل رواد هذا الفضاء لا حدود لها تقبل الكل وترفض الكل هي كالزئبق"	يراعي السياق الرقمي
	"أحاول إبراز تميزي الثقافي، من خلال إضافة رموز ثقافية محلية، كالعادات والتقاليد الجزائرية" "إرضاء الناس غاية لاتدرك، وإرضاء الله غاية لا تترك"	يقيم تفاوض هوياتي
تغيير بموجب السياق	"ماكنتش نستخدم الفيسبوك هذا، حتى منين جات كورونا وليت نتواصل بيه مع الطلبة"	يتماشى مع الظروف
	"كانت تبانلي صح، من بعد وليت ندير حسابي، لا أصدق كل ما هو منشور"	اكتساب خيرة مع الوقت

المصدر: إنجاز الطالب بناء على إجابات المبحوثين

إنطلاقا من إجابات المبحوثين، وكما هو موضح في الجدول أعلاه، يعتمد أفراد العينة على جملة من الاستراتيجيات لتحقيق هوية افتراضية ضمن ثلاث اتجاهات:

أ - ضمن الاتجاه المحافظ تعمل عينة من وحدات البحث على إبراز الانسجام بين الهويتين الواقعية والافتراضية، وفي هذا الإطار يرى المبحوث أو المستخدم للفيسبوك بصفة عامة أن الهوية الافتراضية هي امتداد للهوية الواقعية أو الحقيقية، حيث تمنح البيئة الرقمية فرصة الانتقاء للمستخدمين وتقديم نسخة انتقائية

من أنفسهم، وإن كانت هذه العملية تتم كتجربة فردية، إلا أنها تتكيف مع قوالب أوسع في إطار اجتماعي[1]، وفي هذا السياق تبنى الهويات المهنية، أين يركز المستخدم على الجوانب المهنية وكل ما له علاقة بمهنته من منشورات، أين تظهر هويته الافتراضية كامتداد لمشروع اجتماعي أو مهني.

ب - من جهة أخرى تتبنى مجموعة أخرى من المبحوثين اتجاها تكيفيا، حيث سجلنا مراعاة للسياق الرقمي أين يتبنى المبحوث خيار عدم الخوض في التفاعلات الرقمية حين يكون الموضوع خارج قناعاته الهوياتية، فيكتفي بالمشاهدة فقط، فيكون بهذا ضمن الكتلة الصامته كما تسمى. من جهة أخرى تم تسجيل قيام المستخدمين بتبني استراتيجية التفاوض الهوياتي، فيعمل على إبراز ما يميز ثقافته المحلية من عادات وتقاليد ومختلفة القيم الأصيلة، وفي هذا تأكيد على ما ذهب إليه غوفمان Evring Goffman في كون الهوية تنتج عن التفاعل الاجتماعي، فأمام ضغط الشبكة بين تقديم الذات الحقيقية أو إدارة الإنطباع، يلجأ المستخدم إلى التعددية الهوياتية[2].

ت – وثالثا اتجاه التغيير بموجب أو وفق السياق، وهنا يكون الاستخدام استجابة ملحة، يكتسب بعدها المستخدم خبرة في التعامل بشكل مريح مع محتوى الشبكة.

1-3-التفاوض الهوياتي بين الهوية المحلية والعالمية:

في هذا السياق يجد المستخدم هويته وجها لوجه مع الهويات الأخرى في سياق عولمي، فيتخذ مجموعة من الاستراتيجيات تعبيراً عن مجموعة من العمليات والإجراءات، للتعامل مع التناقضات بين القيم الأصلية والمحتوى العولمي المنتشر على الفيسبوك، فكانت الإجابات والإجراءات كما هو موضح في الجدول التالي:

[1] - Nir Claudia, Identity Construction on Facebook, Bachelors thesis, Institute of Art, Design and Technology, Dun Laoghaire, 2012, p 15-16. In: https://www.academia.edu/1878518/Identity_Construction_on_Facebook

[2] - Houda Sassi and Jamel-Eddine Gharbi, "Self-Presentation on Social Networking Sites", Research in JISNVC culture and Agronomy, Vol. 2015 (2015), p6, Article ID 406328, DOI:10.5171/2015.406328

جدول رقم 15: استراتيجيات التفاوض بين الهوية المحلية والهوية العالمية بناءً على بيانات المقابلة

الاستراتيجيات	التفاوض بين الهوية المحلية والهوية العالمية	إجابات المبحوثين
الرفض/ التكيف	"التعليقات اللي ما تعجبنيش، تخلط في الدين أو القيم أحذفها" "اختار المحتوى الذي يتطابق مع ما أؤمن به" "الحظر، الباب لي يجي منوا ريح أغلقه واسترح"	يحمي هويته المحلية
	"هناك تناقضات تطرح في الفيسبوك، أنا أناقشها بمنطق أكاديمي لإقناع الآخرين"	يستخدم أساليب علمية
الشعور بالضغط	"آرائي السياسية أمر يخصني، مانحبش نتكلم فيها ومن بعد يأولوا كلامي كيما يحبوا "	الخوف من الوصم
	"في بعض الأحيان اتحاشى التعليق على بعض منشورات الاصدقاء من اجل الحفاظ على اصدقاء الفضاء الازرق" "أختار محتوى حسب ما يناسب المجتمع "	يراعي الحفاظ على العلاقات الاجتماعية
	"الفيسبوك فضاء عائلي، لهذا يجب اختيار ما نقوم بمشاركته"	يراعي القيم والتقاليد
الانفتاح النسبي	"أتابع صفحات تعكس ثقافات مختلفة لأثري معارفي، لكني لا أتبناها كلها"	التبرير الانتقائي
	"من خلال مشاركة المحتوى أنا أتبادل الأفكار والمعلومات"	التواصل مع الآخر

المصدر: إنجاز الطالب بناء على إجابات المبحوثين.

في مواجهة المحتويات التي لا تتطابق مع ثقافتهم، عملت فئة من مستخدمي شبكة الفيسبوك –وحدات البحث- إلى إجراء الرفض، بهدف حماية هويته المحلية، فيخضع المحتوى إلى التقييد الصارم وحضر كل ما لا يتماشي وقناعاته، وحذف التعاليق التي تتعارض وقيمه الثقافية. فئة أخرى تلجأ إلى التكيف مع المحتوى الغالب على الفيسبوك (68 % من سكان دول الجنوب يعانون من ضغوط لتكييف هويتهم حتى تتوافق مع

المعايير الغالبة على فيسبوك، حسب تقرير لليونيسكو سنة 2023م[1])، عند وحدات البحث سجلنا استراتيجية استخدام أساليب علمية -العقلنة- فالتناقضات تناقش بأسلوب علمي حسب تعبير أحد المبحوثين.

بالإضافة إلى ما سبق قد يشعر المستخدم بالضغط في البيئة الرقمية متعددة الثقافات -الفيسبوك-، فيستخدم جملة من الاستراتيجيات كأن يراعي القيم، ويسعى إلى الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، ويستجيب للخوف من الوصم الاجتماعي، فيكيف بهذا من سلوكه الرقمي خلال تفاعله الظاهر في بيسبوك، ليبدو منسجما مع المتطلبات الاجتماعية والأخلاقية، أو يجابهها بالرفض والانغلاق. كما قد يختار الانفتاح النسبي، فيتخد من التواصل مع الآخرين سببا لتواجده الرقمي، أو يقوم بالتبرير الانتقائي بالانفتاح على مختلف الثقافات وانتقائه ما يناسب هويته المحلية ليتبناه كسلوك.

1-4- إعادة الإنتاج الافتراضي للهوية المحلية:

في هذا السياق تعتبر المشكلة الأساسية اليوم، في التفاعلات الثقافية العالمية مسألة التجانس واللاتجانس الثقافي، وهنا يعتبر الخيال حسب آرجون أبادوراي شكلا من اشكال العمل ومجالا منظما للعمل والممارسات الثقافية، وشكل من أشكال التفاوض على المواقع الثقافية المحلية والعالمية[2]. وعليه فقد جاءت بيانات المقابلة سياق الدعم المتخيل للثقافة المحلية، وهذا لا يعني أنه لاوجود له وإنما على مستوى الخيال على الأقل هو موجود ويخدم الثقافة المحلية ويؤمن بها لى حد بعيد، حيث عرفت الإجابات تشبعا منذ المقابلات الأولى، وجاءت جميع البيانتا في سياق التأكيد على أهمية الثقافة المحلية وضرورة خدمتها، وترسيخها.

ولقد توزعت بيانات المقابلة بخصوص إعادة إنتاج الهوية المحلية رقميا وفق إجراءين بارزين: تعزيز الهوية، والنقد الذاتي، كما هو موضح في الجدول التالي:

[1] - UNESCO, Cultural Diverssity in the Digital Age, 2023, p 23.

[2] - Arjun Appadurai, Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization, University of Minnesota Press, 2005, pp 31-32.

جدول رقم 16: استراتيجيات إعادة إنتاج الهوية المحلية رقميا بناءً على بيانات المقابلة.

إعادة إنتاج الهوية المحلية رقميًا	إجابات المبحوثين	الاستراتيجيات
تعزيز الهوية	"نعم اتفاعل مع محتويات معينة لأنها تعكس هويتي، خاصة المحتوى الذي يمثل الثوابت والوحدة الوطنية"	التأكيد على المحلية
	"أدعم الأخبار والمناشير التي تناقش مواضيع تاريخ الثورة المجيدة". "من المهم جدا أن أنشر بعض ما أقوم به خدمة لثقافتنا"	ربط الهوية بذاكرة الجماعة
النقد الذاتي	"أسلط الضوء على ما يجب أن نقوم به خدمة لتراثنا" "نحن لا نبدل مجهودا كافيا في هذه المسألة"	هوية ناقدة
	"أنشر بهدف الموعظة والإرشاد والتوجيه" "أنشر كل ما يرضي الله ورسوله"	هوية دينية

المصدر: إنجاز الطالب بناء على إجابات المبحوثين.

في سياق تعزيز الهوية المحلية جاءت البيانات للتأكيد على المحلية وربط الهوية بذاكرة الجماعة، حيث أبدت وحدات البحث وعيها بضرورة التفاعل مع المحتويات التي تعكس الهوية المحلية، مع التركيز على ثوابت الأمة الجزائرية وعلى رأسها الدين الإسلامي، العروبة، الأمازيغية والوحدة الوطنية. كما أبرزت البيانات وعي كبير بأهمية الحفاظ على الذاكرة الجماعية وصون تاريخ ثورة أول نوفمبر وربطه بالهوية المحلية.

من جهة أخرى اتبع المبحوثون اجراء النقد الذاتي وفق استراتجيتي الهوية الناقدة والهوية الدينية في العمل على إعادة إنتاج الهوية المحلية، وفكانت الهوبة الناقدة بحكم الوظيفة الاجتماعية للأكاديمي الذي يمثل أغلبية وحدات البحث وعملية النقد الذاتي والاجتماعي من صميم مهامه، أما الهوية الدينية فتعبر عن ارتباط وحدات البحث بالدين الإسلامي مما يجعله يظهر بكثافة في سياق إعادة إنتاج الهوية المحلية.

2- الأبعاد الأساسية التي تشكل للهوية الافتراضية:

بناءً على الأبعاد الرئيسية التي تظهر في البيانات التي تم رصدها من خلال حسابات العينة على صفحة الفيسبوك، يمكنك تحديد الفئات التحليلية الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم 17: جدول يوضح توزيع الأبعاد الرئيسية المشكلة للهوية الافتراضية على شبكة التواصل الاجتماعي ـفيسبوك ـ عند وحدات البحث:

العينة	مهني	ديني	اجتماعي	وطني	سياسي	ترفيهي	جمعوي	الجنس	السن
1	x	x	x	x		x		ذكر	63
2	x	x	x	x	x			ذكر	57
3	x			x			x	ذكر	55
4	x	x		x	x	x		ذكر	55
5		x						ذكر	54
6	x	x	x			x		أنثى	52
7	x	x	x	x	x	x	x	ذكر	51
8	x	x		x	x			ذكر	50
9	x	x		x		x		أنثى	48
10	x				x			ذكر	47
11	x	x	x	x	x	x	x	ذكر	47
12		x	x	x	x	x		ذكر	47
13	x	x	x	x		x		ذكر	46
14	x	x	x					أنثى	46
15	x	x	x	x				ذكر	45
16				x		x	x	ذكر	45
17	x	x	x	x		x		ذكر	45
18	x	x	x	x		x		ذكر	45
19	x					x		ذكر	45
20			x	x	x			ذكر	44
21	x	x	x	x	x		x	ذكر	44
22	x	x	x	x				أنثى	41
23						x		ذكر	40
24	x			x				ذكر	38
25	x	x	x	x				أنثى	38
26	x	x	x	x				أنثى	37
27		x	x	x				أنثى	35
28	x		x	x				أنثى	32
29				x		x	x	ذكر	32
30	x	x	x	x				ذكر	32
31		x	x	x				ذكر	31
32	x	x	x	x				أنثى	29
33	x	x	x	x				أنثى	27
34			x			x		ذكر	25
35			x	x		x		ذكر	25
عدد المهتمين	25	24	24	28	9	16	6		

المفتاح	
غير مهتم	سنة 38-31
مهتم	سنة 29-25
X	

	سنة 48-40
	سنة 63-50

المصدر: إنجاز الطالب.

تظهر البيانات من خلال الجدول أن الهوية الافتراضية تتشكل بكثافة وفق أربع أبعاد؛ يأتي على رأسها البعد الوطني، البعد المهني، ثم البعد الديني والاجتماعي. بينما تأتي الأبعاد الأخرى بشكل أقل كثافة كالبعد الترفيهي، السياسي، والجمعوي، وأبعاد أخرى أقل من أن يأتي ذكرها، كالبعد الفني، والبعد الجسدي أوالجندري.

وقد جاء توزيع هذه الأبعاد وفق القراءة التالية:

- طغت الأبعاد الوطنية، الدينية، الاجتماعية والمهنية على ملامح تشكيل الهوية الافتراضية بشكل متماثل عند جميع الفئات العمرية، المهنية، التعليمية...

- غياب البعد السياسي قبل سن 46 سنة باستثناء حالتين في سن 44 سنة، مع عزوف كلي للعنصر النسوي.

- ظهور البعد الترفيهي بشكل أكثر كثافة عند الفئة أكبر من 45 سنة، بينما سجلت الفئات الشابة عدم اهتمامها بهذا البعد.

- ظهور البعد الجمعوي بشكل ضعيف عند كل الفئات.

ومنه فأن الثيمات أو الأنماط التي تركز عليها الدراسة ستكون الأنماط ذات الدلالات الوطنية، المهنية، الدينية والاجتماعية.

2-1-البعد الوطني للهوية الافتراضية:

في سياق دراسة البعد الوطني للهوية الافتراضية لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي – فيسبوك- تعرف الهوية الوطنية الافتراضية على أنها تلك الممارسات الرقمية أو الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي، الغرض منها إبراز الانتماء للوطن، عن طريق مجموعة من الرموز والخطابات التي تمجد التفرد الثقافي والسياسي للدولة وتعزز وحدته والانتماء إليه.

أظهرت البيانات التي رصدها في الجدول أعلاه، أن البعد الوطني يأتي على رأس الأبعاد المشكلة للهوية الافتراضية عند وحدات البحث، وجاءت البيانات منسجمة عند أغلب الوحدات، التي من خلال استخداماتها للفيسبوك تبرز شعورا قويا بالانتماء للوطن، تعددت مظاهره من خلال العديد من الممارسات الافتراضية، التي تم رصد العديد من المؤشرات بها.

يظهر البعد الوطني المشكل للهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي – الفيسبوك عند وحدات الدراسة، من خلال استخدامهم لمجموعة من الرموز تصب في مضمون حب الوطن والاعتزاز بمقوماته والتي يأتي على رأسها البعد التاريخي، حيث يظهر المستخدمون ارتباطهم التاريخي بأحداث ثورة التحرير، وفق رزنامة الأحداث الكبرى التي يتم الاحتفال بها رسميا من قبل كل قطاعات الدولة، ولا تمثل هذه الأحداث مناسبات رسمية فقط بل شخصية كذلك ينخرط فيها العديد من الأفراد على غرار بعض الحالات من عينة الدراسة، من خلال المشاركة في الاحتفالات الرسمية، أو تنشيط والمشاركة في بعض الأنشطة إحياءً للذكرى، وينعكس هذا في العديد من المنشورات التي تظهر على شبكات التواصل الاجتماعي إحياء لذكرى إندلاع الثورة المجيدة المصادف لأول نوفمبر، عيد الاستقلال والشباب المصادف لخمسة جويلية، كحدثين بارزين –الصورة رقم 6-، والعديد من الأحداث والمناسبات الوطنية كأحداث

مجازر الثامن ماي، مظاهرات الحادي عشر من ديسمبر، أحداث ساقية سيدي يوسف... وغيرها. والعديد من الأحداث والمناسبات الجهوية الأخرى الخاصة بمناطق معينة على غرار أحداث هجمات عشرون أوت 1955م بسكيكدة، ذكرى معركة الجرف بتبسة سنة 1955م، معركة باب البكوش بتيارت سنة 1958م، وغيرها من الأحداث التي تؤرخ للثورة، وأحداث أخرى تمجد للتاريخ الوطني قبل الثورة كمعارك الأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة – الصورة 07 ذكرى معركة دلس-...

صورة رقم 6: صور تعبر عن جانب من البعد الوطني للهوية الافتراضية عند وحدات البحث



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

صورة رقم 7: صور تعبر عن جانب من البعد الوطني للهوية الافتراضية عند وحدات البحث

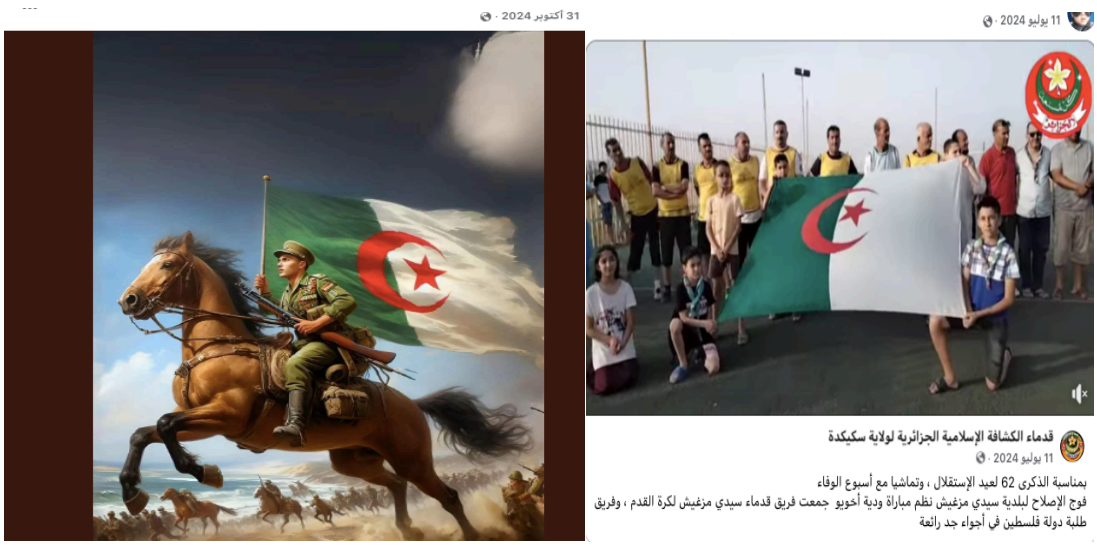


المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

كما شكلت الشخصيات الوطنية رمزا آخرا من رموز البعد الوطني الذي يتم تداولها على أنها رمز فخر واعتزاز، على غرار البطل الشهيد زيعود يوسف- صورة 07-، والشهيد العربي بن مهيدي الذي أصبح أيقونة للشجاعة والوفاء للوطن ورمز للتضحية والشهادة.

صورة العلم الوطني هي الأخرى شكلت عند مستخدمي فيسبوك مادة دسمة واسعة التداول حيث يسجل نشر العلم الوطني في مختلف المناسبات والمواقف الداعمة للقضايا الوطنية التاريخية منها، والجيوسياسية.

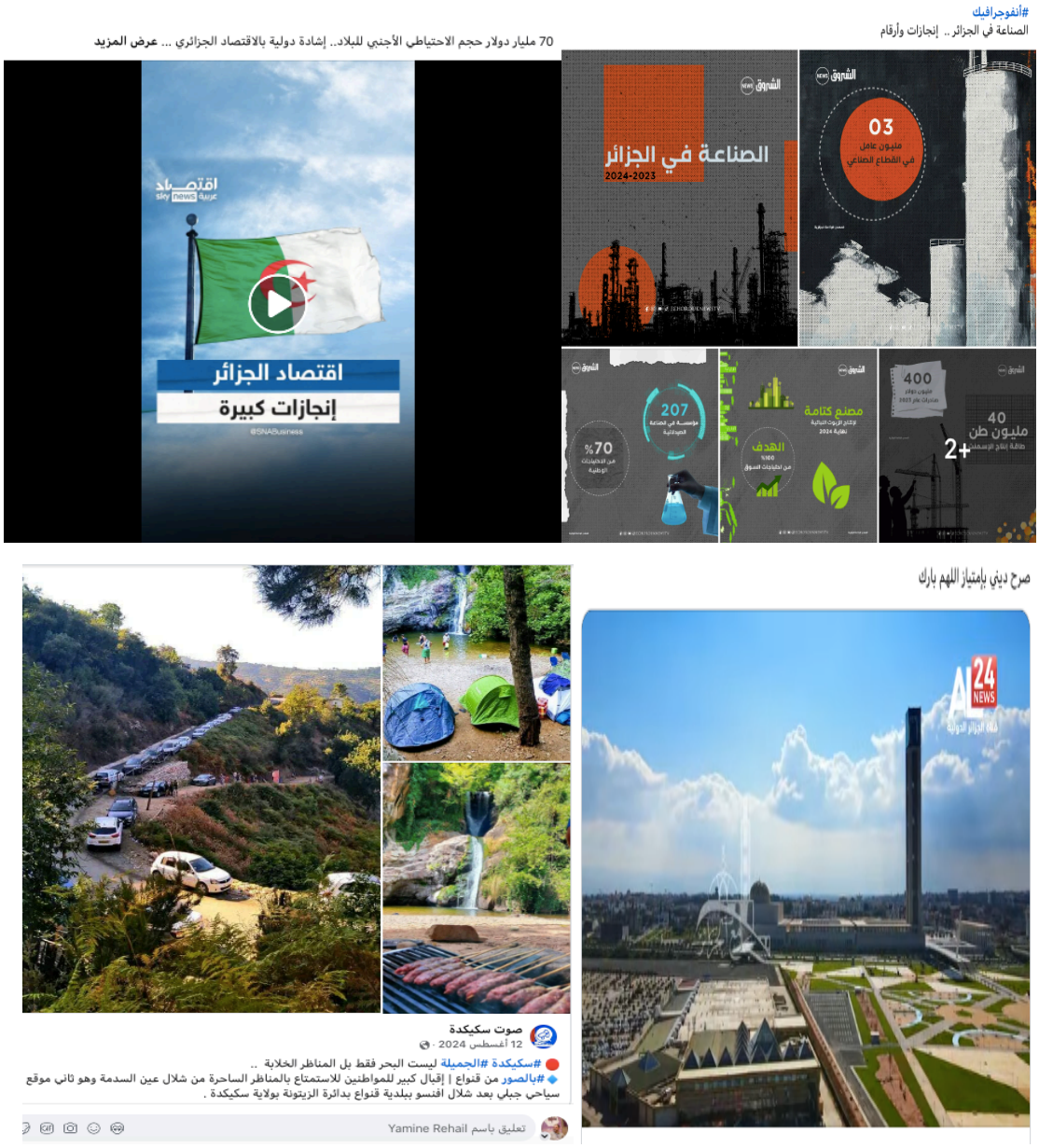
صورة رقم 10: صور من حساب وحدات البحث، تعبر عن جانب البعد الوطني للهوية الافتراضية.



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

من جهة أخرى شكل التباهي بالإنجازات وجمال البلاد عنصرا آخرا في اظهار البعد الوطني، على غرار العينة الموالية، حيث يتم الإشادة بهذه الانجازات في شكل منشورات – الصورة رقم 11-، التي تتلقى تعليقات إيجابية من قبل وحدات البحث وفي بعض الأحيان تقابل بتعليقات سلبية تعبر عن عدم الرضا على إنجازات الحكومة، وإن كانت هذه التعليقات السلبية تمثل عددا قليلا وجد محدود عند وحدات البحث.

صورة رقم 11: صور من حساب وحدات البحث، تعبر عن البعد الوطني للهوية الافتراضية.



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

من جهة أخرى مثلت بعض الكتابات على جدران الحسابات محل الدراسة، منبرا للدفاع عن الوطن من الخونة والعملاء، والأعداء.... والاستعداد للتضحية من أجل الوطن، والعينة في الصورة رقم 12.

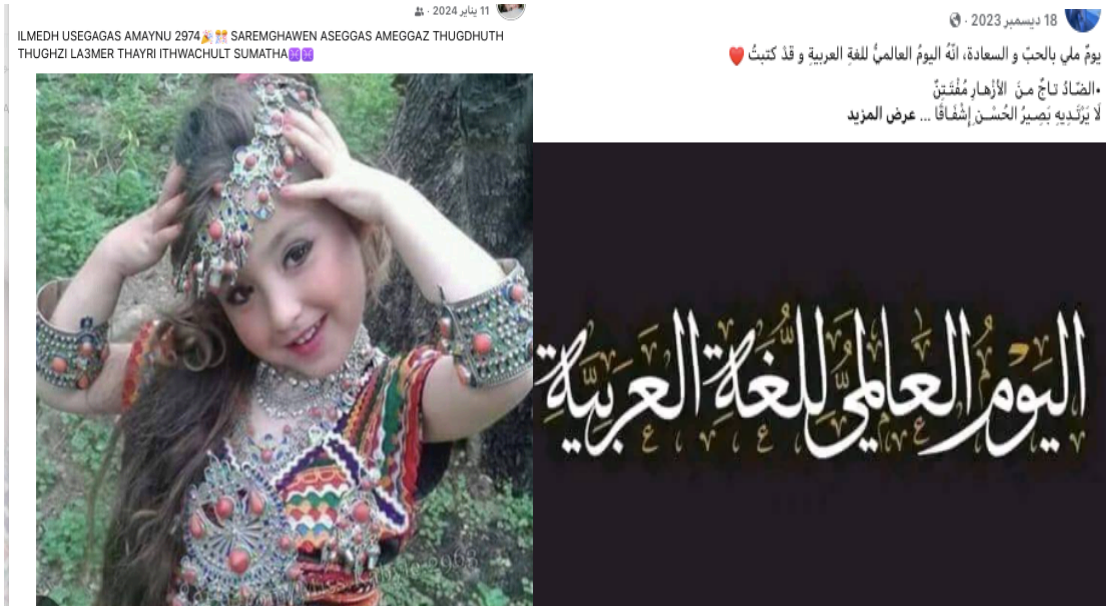
صورة رقم 12: صور من حساب وحدات البحث، تعبر عن البعد الوطني للهوية الافتراضية.



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

لم يقتصر البعد الوطني على هذه الثيمات أو المواضيع فقط بل شكلت ثوابت الأمة هي الأخرى مادة أخرى للتعبير عن حب الوطن والالتفاف حوله، فاللغة العربية، والثقافة الأمازيغية كانت حاضرة هي الأخرى في خطابات المستخدمين وكانت محل اجماع في غالب الأحيان، حتى أننا لم نسجل على الإطلاق أنها كانت محل اختلاف أو نزاع كان.

صورة رقم 12: صور من حساب وحدات البحث، تعبر عن ثوابت الأمة كبعد وطني للهوية الافتراضية.



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

هذا الأداء الوطني المكثف للهوية في بعدها الافتراضي لا يعكس بالضرورة قناعة راسخة لدى متداوليه، فقد يكون "آلية دفاعية" ضد الوصم بعدم الوطنية، الخيانة أو التقاعس عن خدمة الوطن. في هذا

الصدد يبدوا الأفراد كممثلين في المسرح الأمامي حسب تعبير " Erving Goffman " أين يديرون الانطباعات عنهم وفق ما هو متوقع منهم، فيكون السلوك رسميا ومنظما بشكل مثالي[1]، ويظهر وطنية عالية كما هو الحال عند وحدات البحث في هذا البعد، حتى أن الأمر أصبح يتجلى كعرض مرئي، يعمل من خلاله المنخرطون في الفضاء الافتراضي على التنافس بينهم لإثبات الوطنية من خلال التفاعلات المتكررة لتجنب الوصم بالتقصير في أداء الواجب الوطني، وهذا لا يعكس دائما جوهر الإيمان بالقضايا بقدر ما يعكس حجم ضغط التوقعات الاجتماعية، ونلمس ذلك في العديد من التناقضات بين ما ينشر الفرد في الفضاء الافتراضي للعامة –في المسرح الأمامي- وما يفصح عنه من آراء في نقاشات في مجالات مغلقة كمجالس الصدقاء والزملاء المقربون –المسارح الخلفية-، كما يتجلى هذا التناقض في بعض الممارسات التي لا تعكس روح الوطنية العالية المعبر عنها في الفضاءات الرقمية، كضعف الالتزامات المهنية مثلا.

من جهة أخرى قد يقودنا تحليل هذه الممارسات الرقمية المتصلة ببعد الهوية الوطنية إلى ما ذهب إليه إدوارد سعيد في كتاب "الثقافة والإمبريالية"، فتكون الهوية الوطنية هنا كمقاومة أو رد فعل على ثقافة الغرب الإمبريالية (المركزية الغربية)، أي أنها لا تعبر عن الذات بقدر ما هي تكوين ثقافي تشكل في ظل الصراع والتنافس الحضاري. وعلى خلفية الآليات التي اقترحها إدوارد سعيد لبناء هذه الهوية المقاومة يمكننا تفسير ظهور السرديات التاريخية بشكل بطولي أسطوري في بعض الحالات كسرديات مقاومة لتلك السرديات التي تصور شعوب المستعمرات السابقة على أنها بلا تاريخ[2].

في نفس السياق دائما تعتبر العناصر الثقافية الأصيلة كالدين، اللغة، العادات والتقاليد... وسيلة هامة من وسائل المقاومة الثقافية صد الاختراق الثقافي الغربي، وهو ما يفسر محاولة وحدات البحث تعزيزها بشدة من خلال تكريس الأصالة الثقافية. هذه الأخيرة في نهاية المطاف تخلق هوية مضادة تضم عناصر ثقافية محلية متفردة، وهذا يوافق تماما ما ذهب إليه أرجون أبادوراي Arjun Appadurai في شرح لمفارقات العولمة، فكلما زادت سطوة العولمة وشدتها برزت الحاجة إلى تأكيد الهوية المحلية[3]، وهذا ما يحدث تماما في حالة الفضاءات الرقمية المشبعة بمظاهر العولمة ومبادئها الغربية التي تعتبر في كثير من الحالات عند وحدات البحث تهديدا لهويتهم المحلية، أو فعل اعتداء عليها حسب نتائج دراسة محمد حسن البرغثي[4].

---

[1] - Erving Goffman, The Presentation of Self in Everyday Life, Monograph No. 2 (Edinburgh: University of Edinburgh, Social Sciences Research Centre, 1956), PP 66-70.

[2] - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، الطبعة الرابعة، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2014، ص ص 55، 60.

[3]- Arjun Appadurai, Modernity at Large: Cultural Dimensions Of Globalization, Public Worlds, Volume1, University of Minnesota, Minneapolis, London, 1996, p33.

[4]- محمد حسن البرغثي، مرجع سابق، ص ص 198، 200.

إذا تحليل الأداء الوطني ضمن عناصر الهوية الافتراضية عند وحدات البحث يجعل من الوطنية ممارسة تفاوضية أكثر مما هي تعبيرا على الانتماء، فالبعد الوطني للهوية الافتراضية يبنى للتصدي لرهانين؛ رهان داخلي يتلخص في الوصم الاجتماعي، وخارجي يتمثل في تحديات العولمة الثقافية.

2- 2- البعد المهني للهوية الافتراضية:

شكل البعد المهني بعداً مهما بالنسبة للمبحوثين في تشكيل العينة، حيث نجد التجانس كثيف بشكل كبير بينهم من ناحية هذا البعد، حتى أن الشبكة تتشكل في غالبية أفرادها من أفراد الفئة المهنية المتجانسة مع الفئة التي ينتمي إليها الباحث في حد ذاته (17 أستاذ/ة جامعي/ة) ما يمثل نسبة 48,5 % و(22 فرد من الوسط الأكاديمي) ما يمثل 62,8 %، وهذا من شأن أن ينعكس على الهوية الافتراضية التي تبدو منسجمة ومتجانسة، تعكس الأبعاد المهنية، نتيجة لنشاط الخوارزميات في سياق الطرح الأكثر وفرة، ومنه تعكس الهوية الافتراضية التي تظهر من خلال الأنشطة والقيم المهنية على شبكة التواصل الاجتماعي. كما يعبر هذا الانسجام عن طبيعة البناء الشبكي في الفضاءات الافتراضية، الذي يبرز كفضاء غير ديمقراطي، فهو هنا يكرس التجانس على حساب التنوع، ويكشف عن وجود سلطة خفية تمارسها الشبكة الافتراضية وتفرض من خلالها الجماعة المهيمنة نموذج ثقافي متجانس يقصي التنوع بعيدا عن العملية الاتصالية، ويعيد إنتاج النماذج المهيمنة وفق ما أسماه بيير بورديو "العنف الرمزي"[1].

تشير الدراسات إلى أنه رغم تزايد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في الأوساط المهنية، إلى أن الأمر لم يصل بعد إلى الاحتراف الرقمي، بل تم رصد العديد من السلبيات التي تأثر سلبا على الأداء الوظيفي الطامح إلى بلوغ الاحتراف الرقمي. بل لم تتمكن الدراسات من تحديد السلوكات والقيم المهنية الضرورية لتشكيل هوية رقمية، لغموض وتداخل الممارسات الشخصية والمهنية في الممارسات الافتراضية[2]، فحتى الصفحات أو الحسابات التي يغلب عليها الالتزام المهني لم تكن مهنية بشكل احترافي،

وإن كان التصريح بالمهنة -في حالة وحدات البحث- يبدو غير مهم، فهو غير معلن في الكثير من الحالات (23/ 35 مبحوث)، حيث تظهر الحالة المهنية غير محدثة، ودون التصريح بها في كثير من

[1]- بورديو بيير، العنف الرمزي، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994، ص 10.

[2] - Shaiata Salman Guraya, Salman Yousuf Guraya, Muhamad Saiful Yusoff, Preserving professional identities, behaviors, and values in digital professionalism using social networking sites; a systematic review. BMC Med Educ. 2021 Jul 12;21(1):381. https://doi.org/10.1186/s12909-021-02802-9

الحالات -كما هو الحال في الصورة رقم 13- إلا أن العملية تتم على المستوى الرمزي والممارسات وردود الأفعال التي تكون أكثر تنظيما وتسييرا وفق ما أسماه بيير بورديو دائما بـ "الهابيتوس"[1].

صورة رقم 13: صورة من حساب فيسبوك لعينة من وحدات البحث يظهر التحديث حول حالة العمل الغير المصرح بها.

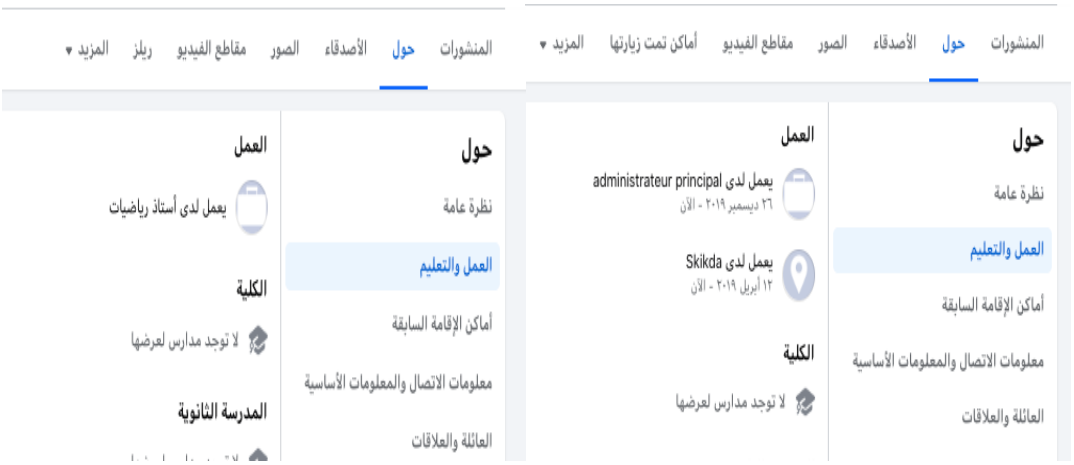


المصدر: حساب فيسبوك لعينة من وحدات البحث. انتقاء الطالب.

بعض من وحدات البحث من فئة الأساتذة الجامعيين، أساتذة التربية والتعليم، متقاعد ومستخدمي الإدارة يصرحون بالوضع المهني الحقيقي مع بعض التفصيل في بعض الأحيان – الصورة رقم 9- وعددهم قليل مقارنة بالعينة (35/12 مبحوث)، ممن لوحظ أنهم يقومون بإنشاء هوية افتراضية مهنية خالصة على الفيسبوك، أو ممن يحاولون التأكيد على الوضع المهني والاجتماعي، حيث نجد فئة النساء، وفئة حديثي التوظيف أكثر تصريحا بالوضعية المهنية من غيرهم.

[1]- بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص ص 100، 101.

صورة رقم 14: صورة من حساب فيسبوك لعينة من وحدات البحث يظهر التحديث حول حالة العمل المصرح بها.



المصدر: حساب فيسبوك لعينة من وحدات البحث، انتقاء الطالب.

من جهة أخرى يأكد المبحوثون من خلال نمط تفاعل يغلب عليه الطابع المهني، التأسيس لهوية افتراضية تتشكل وفق سياق مهني، يتأكد أكثر هذا السياق في إطار الأنشطة والتفاعلات الرقمية التي يغلب عليها الطابع المهني من خلال نشر بيانات تتعلق بالمهنة، والوضع المهني بصفة عامة.

من خلال معايشتنا لوحدات البحث، لاحظنا أنه يمكن للهوية المهنية أن تكون غائبة في الفضاء المفتوح في شبكة التواصل الاجتماعي، أي لا يظهر لها أثر على حساب المستخدم المفتوح للعامة من خلال تقييد خاصية المشاهدة للأصدقاء فقط، أو أنه لا يعالج القضايا المهنية على العلن لوجود مجموعات خاصة علب حوار مغلقة تعزز التواصل بين زملاء العمل، وتظهر الهوية المهنية بشكل أقوى.

من جهتها صورة الملف الشخصي، أو صورة الغلاف، أو الصور التي يقوم المستخدم بنشرها أحيانا، والتي تحمل دلالات مهنية، كصور للاجتماعات في العمل، أو صور بزي العمل أو صور لانجازات مهنية...، كما تعتبر أخبار المسار المهني تعبيرا عن البعد المهني ضمن أبعاد الهوية الأفتراضية، والتي قد نجدها تتقاطع مع الأبعاد الاجتماعية، لأن أخبار الترقية والنجاح مثلا تعتبر مناسبة سعيدة يتقاسمها الشخص مع زملائه وباقي المتفاعلين مع ملفه الشخصي.

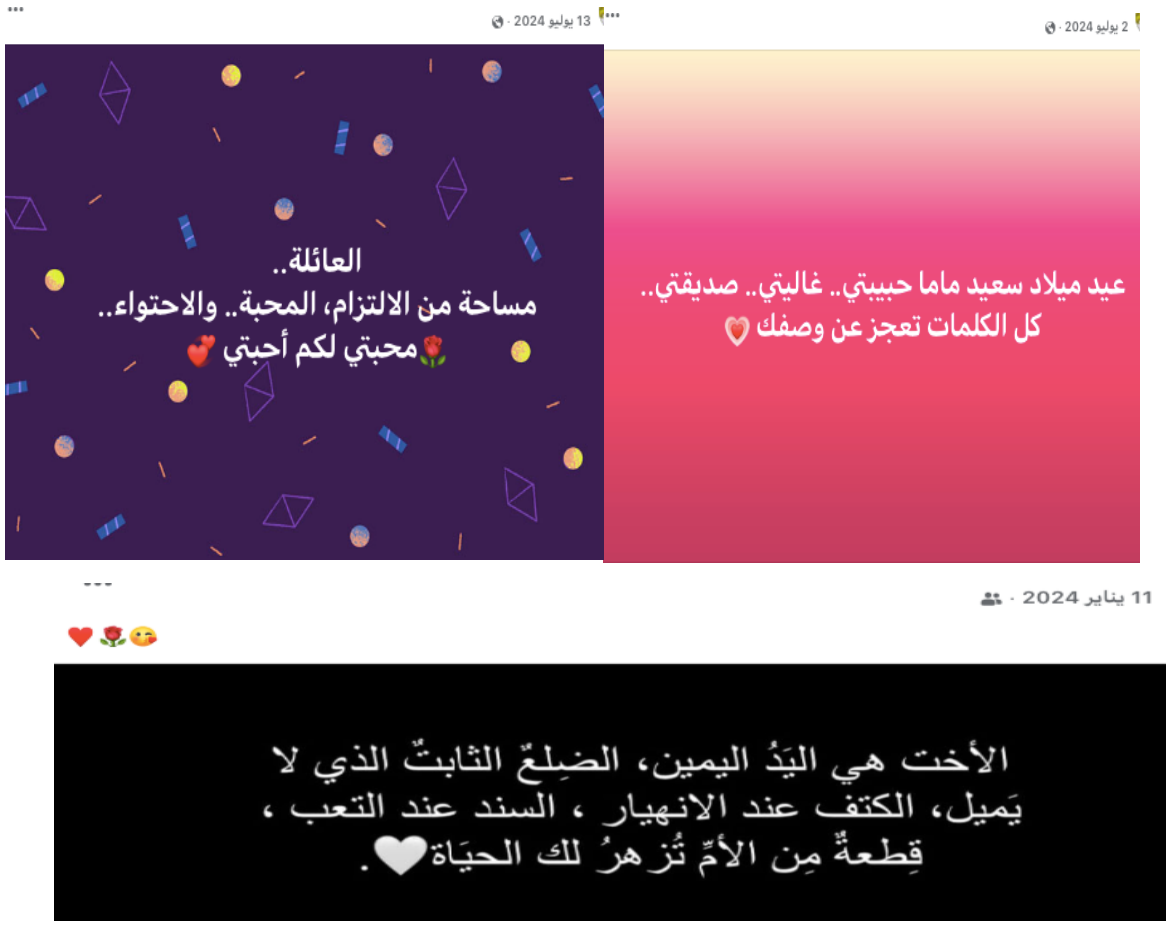
3- البعد الاجتماعي للهوية الافتراضية:

في الوقت الذي يذهب فيه العديد من الدارسين إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي تُضر بالعلاقات الاجتماعية وتساهم في عزل المستخدمين وابعادهم اجتماعيا، أظهرت وحدات البحث تأكيدا على البعد

الاجتماعي من خلال العديد من الممارسات، حيث ظهر هذا البعد بكثافة متجانسة عند أغلب الفئات المكونة للشبكة، مع كثافة أقل عند الفئة العمرية الأكبر من 50 سنة مقارنة بباقي الأبعاد الوطني، الديني والمهني.

بالإضافة إلى هذا، شكل البعد الاجتماعي ضمن شبكة العلاقات محل الدراسة ثاني أهم بعد بعد البعد المهني، وفي ذلك دلالة على أهمية هذا البعد في تشكيل الهوية الافتراضية عند مستخدمي فيسبوك، وفي ذلك تأكيد على الانتماء الاجتماعي والعائلي، وفي هذا الصدد صرح أحد المبحوثين بقوله: "خوك خوك لا يغرك صاحبك، حتى ومايبانش في الكومنت"، وهذا التصريح يحيلنا إلى العديد من الإجابات المماثلة التي يعتقد أصحابها أن التواصل العائلي يكون في البيت، في الحياة اليومية وليس على صفحات الفيسبوك، ومنهم حتى من لا يملك حساب أخيه أو أخته، وهذا الرأي يجعل من البعد الاجتماعي على شبكة التواصل الاجتماعي أمر لا طائل منه، فهم يفضلون العلاقات العائلية والاجتماعية الواقعية، ويرون في الافتراضية أمر زائد لا يأثر في متانة العلاقات، إلا أن هذا لم يمنع من تسجيل بروز هذا البعد ضمن الأبعاد الرئيسية للهوية الافتراضية لدى مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك، في العديد من المنشورات على غرار المنشورات الموالية:

صورة رقم 15: **مجموع صور تعبر عن البعد الاجتماعي للهوية الافتراضية عند وحدات البحث.**





المصدر: حساب فيسبوك لعينة من وحدات البحث. انتقاء الطالب.

مثل هذه المنشورات يأكد من خلالها المستخدمون على أهمية العلاقات الاجتماعية، والسعي الدائم لتقويتها، من خلال التعبير على أهمية الأشخاص المقربون في حياتهم – كالأم، الأب، الإخوة والأخوات، وحتى الأصدقاء. وأهمية المؤسسات الاجتماعية وعلى رأسها العائلة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يأكد على الدور الاجتماعي للوسائط الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، حتى أن بعض الدراسات اعتبرتها موقدا يجتمع حوله كل أفراد العائلة، كما نشير إلى أن أفراد مستخدموا الشبكة محل الدراسة أكدوا لنا في العديد من المرات على استخدام الشبكة للتواصل العائلي، في شكله العلني أو من خلال مجموعات مغلقة تضم أفراد العائلة فقط أين تتم مناقشة الامور الخاصة، والحميمية بعيدا عن العامة، كما أشار البعض أن هذه الشبكة وبإمكانيات التواصل الآني شكلت ضغطا في الكثير من الأحيان وحملا إضافيا يجعل من الفرد ملزم للاستجابة لبعض الطلبات التي كان من الممكن التملص منها لو لم يكن هذا الفضاء موجود.

في سياق الأنماط الاجتماعية دائما تندرج الممارسات المتصلة بالمناسبات السعيدة، كالتهنئة بالأفراح وحفلات الزفاف، ومختلف النجاحات والترقيات، والأعياد والمناسبات الاجتماعية، والدينية كالتهنئة بشهر رمضان، عيدي الفطر والأضحى، بداية العطلة، الرجوع للعمل... وغيرها من المناسبات التي شكلت فرصة لتبادل التهاني، وإعادة ربط الاتصال، والمنشور الموالي يعبر عن ذلك.

صورة رقم 16: صور تعبر عن البعد ديني ـ الاجتماعي للهوية الافتراضية عند وحدات البحث.



المصدر: حساب فيسبوك لعينة من وحدات البحث. انتقاء الطالب.

بدورها الأحداث الأليمة شكلت جزءً بارزا من الأحداث التي جمعت أفرد العينة ضمن ثيمات البعد الاجتماعي، حيث تحصد أخبار النعي والتعازي تعاطفا إجتماعيا كبيرا، ولهذا فقد شكل الموت والأحداث التي تأدي إليه، كالمرض وحوادث المرور والكوارث الطبيعية وأحداث الاعتداءات والسرقة والضياع، كلها شكلت ثيمة بالغة الأهمية ضمن هذا السياق، لما تجلب من تضامن اجتماعي شكل موضوعا هاما وبعدا كثيفا في تشكيل الهوية الافتراضية لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي محل الدراسة.

كما شكل هذا الفضاء في بعض المناسبات فرصة سانحة للانتقام من البعض وتشويه سمعتهم باللمز والهمز دون الإشارة الواضحة لهم، لوعي المستخدمين بالتبعات القانونية التي تلحقهم من وراء ذلك. لهذا الخلافات إذا ما طرحت في هذا الفضاء كانت دائما تطرح ذون الإفضاح عن الشخص المقصود، لكنها واضحة جدا لأفراد الشبكة والمحيطين بالمستخدم الذي أطلقها لمعرفتهم بحيثيات الأمر الذي كان يبنى للمجهول دائما ويتبع بعبارات: "والفاهم يفهم"، أو "لي توسوس راني عليه".

4- البعد الديني للهوية الافتراضية:

تندرج دراسة البعد الديني للهوية الافتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، ضمن تخصص دراسة الدين الرقمي والمسائل التي ترتبط بفهم الممارسات الدينية عبر الأنترنت، والذي عرف أربع موجات خلال نشأته، بدأً بالاهتمام في تسعينيات القرن الماضي بوصف الممارسات الدينية عبر الفضاءات الافتراضية، تحت اسم الدين السيبراني Cyber-Religion. ليركز اهتمام الدارسين بعدها على

الاختلافات التي تميز الممارسات الدينية في البيئة الرقمية عنها في الواقع، تحت اسم الدين الافتراضي Virtual Religion، لينتقل البحث بعدها إلى محاولة فهم العلاقة بين الدين المباشر والدين عبر الانترنت Religion Online vs Online Religion، ليصل اليوم إلى دراسة الدين الرقمي Digital Religion مع التركيز على إعادة تشكيل الدين عبر الوسائط الرقمية[1].

في سياق دراستنا للبعد الديني في تشكيل هوية افتراضية عند مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، نهتم ببناء الهوية الدينية عبر صفحة الفيسبوك، ويندرج هذا في سياق دراسة الهوية، الثقافة والمجتمع. ولقد سجلنا في هذا الإطار من خلال تحليل محتوى حسابات وحدات البحث، من ناحية أداء الهوية الدينية، قيام المبحوثين بنشر العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وآراء علماء الدين، والفتاوي الدينية والأدعية المتواترة، تكون مصممة مسبقا في شكل صور أو فيديوهات، أو يتم كتابتها من طرف المستخدمين، مع تباين في كثافة نشر هذا المحتوى من حساب إلى آخر، حيث تم تسجيل حضور الأداء الديني في أغلب الحسابات مع إنحصاره في تلك الحسابات التي يغلب عليها الهوية المهنية، ويزيد في بعض الحسابات حد تسجيل صفحة شخصية خاصة لا تنشر سوى المواضيع الدينية. والصور المرفقة عينات مما ينشر وحدات البحث في هذا البعد:

صورة رقم 11: مجموع صور تعبر عن البعد الديني للهوية الافتراضية عند وحدات البحث.



[1] - Yildiz Sumeyye, [Book Review] Heidi A. Campbell & Ruth Tsuria (Eds.), *Digital Religion: Understanding Religious Practice in Digital Media* (2nd edition), Routledge 2022. Al-Adabiya: Jurnal Kebudayaan dan Keagamaan, Vol 17 N° 2, 2022 , p125. https://doi.org/10.37680/adabiya.v17i2.1316



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

تتميز السردية الدينية على صفحات وحدات البحث في أغلبها بالاعتدال، والبعد عن الخطاب الديني المتطرف، حيث جاءت معتدلة توازن بين ما هو ديني وما هو اجتماعي، وذلك يحقق جذباً أوسعاً لفئات المجتمع على شبكات التواصل الاجتماعي، والجمع بينهما في الكثير من الحالات كالمناسبات الدينية التي لا تنفصل عن كونها اجتماعية كشهر رمضان، عيد الفطر، عيد الأضحى، المولد النبوي، عاشوراء....

كما سجل وفي نطاق جد محدود -حالة واحدة- أين كان الأداء الديني يعزز الانتماء لجماعة دينية – السلفية- تحقيقاً لتحصيل مكاسب رمزية كالأجر والثواب، وتستهدف عادة فئة محددة من المتابعين أو الأصدقاء الافتراضيين، وهو ما يظهر من خلال التفاعلات الجد محدودة مع تلك المحتويات في هذه الحالة. أما الحسابات المحايدة التي لا تظهر أي رموز أو خطابات دينية فهذا لا يعني رفض التدين، حيث كشفت الملاحظة عن إلتزام أصحاب بعض تلك الحسابات دينيا من خلال الإلتزام بالعبادات ووجود الخطاب الديني في حياتهم اليومية حد التفكير في إطار المنهج السلفي، إلا أن البعد الديني يبقى غائبا في رسم ملامح الهوية الافتراضية على صفحات الفيسبوك، كالحسابات التي تبنى في سياق هوية مهنية مثلا أو تكريسها للترفيه فقط، ويكون ذلك تجنبا للجدل أو الوصم الاجتماعي، ولأن الهوية الافتراضية يتم إدارتها وفق ما يخدم الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، لا وفق ما يعكس حقيقتها[1].

وهو ما يفسر الظهور بشكل قليل جدا لموضوع الصراع الديني في بعض المناشير وبشكل رمزي، الصورة موالية عينة منها.

[1] - Alice Marwick, & Danah Boyd. I tweet honestly, I tweet passionately: Twitter users, context collapse, and the imagined audience. New Media & Society, 13(1), 2010, p 124. https://doi.org/10.1177/1461444810365313 (Original work published 2011)

صورة رقم 7: مجموع صور تعبر عن الصراع الديني ضمن بعد الهوية الافتراضية عند وحدات البحث.



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

تشير العينة أعلاه إلى مسألتين دينيتين يثار حولها كل سنة نقاش حاد على صفحات التواصل الاجتماعي، ويتعلق الأمر بإخراج زكاة الفطر نقدا أو مما يأكل عامة أهل البلد، والثانية مسألة الإحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بين الاستحسان والاستهجان، وكما هو ملاحظ فالقضيتين لم تثارى بشكل مباشر، ولم نسجل دخول المبحوث في صراع وجدال حول المسألتين في التعليقات، بل كان الاكتفاء بإعادة نشر منشورات تشير إلى ذلك كتعبير على رأيه، وأكتفت التفاعلات بالضغط على زر الإعجاب، أو الغضب. وفي ذلك الإشارة مجددا إلى أن المتفاعلين يتجنبون الجدل في المسائل الدينية.

وأبدت على العموم عينة الدراسة على حسابتها في الفيسبوك ميلا وتمسكا معتدلا بالدين، وهو ما ظهر فيما ينشرون من أدعية، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتذكيراً بالأعمال الصالحة والحث عليها، بينما أغفلوا ما يمكن أن يشكل صراعا أو اختلافا في المسائل الدينية كالاختلافات المذهبية أو الشبهات الدينية في العبادات والمعاملات.

إلا أن بعض الوحدات وفي حدود جد ضيقة أظهرت منشورات فيها رفض لثقافة الآخر على أسس دينية، وأخرى على نطاق جد واسع تظهر التظامن المطلق والغير مشروط مع سكان غزة، والسودان، لدواعي الاخوة في العروبة والإسلام ولدوافع إنسانية أيضا، وأخرى تظهر العداء للغرب على رأسهم الولايات الأمريكية المتحدة. والعينة في الصورة الموالية:

صورة رقم 19: **مجموع صور تعبر عن الصراع الثقافي ضمن بعد الهوية الافتراضية عند وحدات البحث.**



المصدر: من حساب فيسبوك لمجموعة من وحدات البحث، تجميع الطالب

في هذا السياق أظهرت وحدات البحث اجماعا تاما على نصرة القضية الفلسطينة كقضية للأمة الإسلامية،قبل أن تكون قضية إنسانية، كما أظهر أفراد العينة من خلال ما ينشرون دائما وعيهم بضرورة نصرة القضايا العادلة، وتصفية الاستعمار ومحارية الظلم والظالمين، ورفض المركزية الغربية ومحاربة الإنبريالية، وهو ما يتجسد من خلال الانخراط في العديد من الحملات الرقمية لمقاطعة المنتوجات الغربية، ونشر الهاشتاغات المعادية لسياسة الولايات الأمريكية المتحدة المنتهجة ضد الدول العربية وضد الإسلام، بحجة الإسلاموفوبيا ومحاربة التطرف والإرهاب.

رابعا: عرض ومناقشة نتائج الدراسة.

1- مناقشة النتائج في ضوء التساؤلات البحثية: تحقيق الأهداف وإغناء النماذج النظرية:

1-1- كيف يؤثر الفيسبوك على تشكيل وإعادة تشكيل الهوية؟

أكدت الدراسة أن الفيسبوك يعمل كمرآة مُكبرة ومنتقا للهوية الواقعية، حيث تُعاد تشكيل الهوية عبر تجميع العناصر الوطنية والمهنية والدينية والاجتماعية في قالب رقمي.

وقد جاءت متوافقة مع الأدبيات حيث يؤيد ذلك أطروحة ميلر Mille عن "مسرح الهوية" وأطروحة غوفمان,Goffman عن "عرض الذات"، لكنه يضيف عمقًا للسياق. فـ "الجمهور" الذي يعرف الفاعل في الواقع يفرض ضوابط اجتماعية قوية، محدِّدًا حرية الأداء. كما يدعم تأكيد الدراسة على التجانس الشبكي (Homophily) نظرية ماكفرسون McPherson مع إضافة أن الخوارزميات هي "فاعل غير بشري "يكرس هذه الدوائر المتجانسة ويخلق "فقاعات ثقافية" رقمية.

كما تمثل النتائج إضافة في رصدها لـ "الأداء المتجذر .(Rooted Performance) "بعيدًا عن أطروحة الهوية "السائلة"، فقد أظهر المستخدمون الجزائريون سعياً قوياً نحو هوية "موحدة ومتسقة "مع واقعهم الاجتماعي. فعندما ينشر أستاذاً جامعياً محتوى أكاديميًا مثلاً، فهو لا يبتكر ذاتًا جديدة، بل يعزِّز مركزه الاجتماعي القائم، محوّلاً الفيسبوك إلى وسيط لـ التكريس والتأكيد الاجتماعي أكثر من كونه وسيلة للتحرر والانفصال.

1-2- كيف تبنى استراتيجيات التفاوض بين الهوية المحلية والعالمية؟

أظهرت النتائج استراتيجيات هجينة: الرفض الانتقائي، التكيف الواعي، الانفتاح الحذر.

وهذا يتوافق مع الأدبيات حيث تعزِز هذه النتائج نظرية "الاستيعاب النقدي" ,Delantyحيث يمارس المستخدمون انتقاءً واعياً للثقافة العالمية ولا يتلقونها بشكل سلبي. ومن جهة أخرى تضيف الدراسة بعدًا غائبًا في بعض الأدبيات، وهو البُعد العاطفي–الاجتماعي. فالتفاوض غالبًا ما يكون مدفوعًا بـ "الخوف من الوصم "و"مراعاة العلاقات" وضغط الرقابة المجتمعية، أي أنه يتعلق بإدارة المخاطرة الاجتماعي بقدر ما هو خيار فكري.

1-1- كيف يعاد إنتاج الهوية المحلية رقميًا؟

برز من خلال دراستنا أن إعادة إنتاج الهوية المحلية رقميا يتم عبر التعزيز الرمزي (وطني، ديني) والنقد الذاتي (خاصة من الأكاديميين). في الوقت الذي تتفق فيه هذه الممارسات مع مفهوم "المواطنة الرقمية"، إلا أنها تكشف عن طابعها الجماعي في السياق الجزائري، حيث تطغى المشاركة المدافعة عن الهوية المشتركة على المطالبة بالحقوق الفردية. الأهم من ذلك، أن ظاهرة "النقد الذاتي" الأكاديمي ليست مجرد إعادة إنتاج للهوية المحلية، بل هي إعادة إنتاج لدور النخبة التقليدية (المثقف) في ثوب رقمي. إنها استراتيجية لـ "الاستيلاء النقدي (Critical Appropriation) "للمنصة لتجديد الشرعية الاجتماعية وممارسة دور الوعظ أو الإرشاد، مما يُظهر كيف يمكن للرقمنة أن تعزز البنى الاجتماعية القائمة وتعيد إنتاجها لا أن تقوضها بالضرورة.

2- مناقشة النتائج على ضوء الدراسات السابقة:

2-1- الإسهامات المميزة للدراسة:

1- دور الهوية المهنية كحجر زاوية: تبرز الدراسة دور الهوية المهنية (خاصة الأكاديمية) كبعد مركزي وشبه غائب في أدبيات الهوية الرقمية العربية، التي ركزت على الأبعاد الدينية والوطنية. يشير هذا إلى تحول في مصادر المصداقية والمرجعية الاجتماعية في المجتمع الجزائري المتعلم.

2- خطاب الاعتدال الديني الرقمي: تخالف نتائجنا الصورة النمطية عن العالم الرقمي العربي كفضاء للخطاب الديني المتشدد، حيث سجلت هيمنة خطاب وسطي معتدل ومتجنب للصراع، ربما كإستراتيجية للحفاظ على الانسجام الاجتماعي داخل الشبكة متعددة الآراء.

3- نموذج التفاعل الدائري: تقدم الدراسة نموذجا لفهم الهوية الرقمية ليس كاستبدال أو انفصال، بل كممارسة تفاوضية مستمرة تدور بين الواقع والافتراضي؛

انتقاء عناصر محلية ← ترجمتها رمزيًا لأداء رقمي ← مراقبة رد فعل الشبكة المزدوجة (الواقعية/الافتراضية) ← تعديل الأداء. هذا يجعل الفضاء الرقمي "طبقة تفاعلية جديدة "تكثف فيها الصراعات والتفاوضات القائمة.

3-الاعتبارات المنهجية والتفسيرية والحدود:

3-1-**حدود التعميم:** يفرض التجانس الشديد للعينة (أكاديميون، متوسطو العمر، متعلمون) حذرا في تعميم النتائج على كافة أطياف المجتمع الجزائري، خاصة الشباب أو ذوي المستوى التعليمي المحدود، الذين قد تكون استراتيجيات تفاوضهم أكثر جرأة أو انزياحا. كما أن كون العينة من دائرة معارف الباحث يحمل احتمال انحياز نحو تشابه في القيم.

3-2-اعتبارات السياق الديناميكي:

- اللحظة التاريخية: رصدت النتائج في سياق عام 2024، المتأثر بقضايا كالقضية الفلسطينية والخطاب الوطني الرسمي، مما قد يُضفي طابعًا مؤقتًا على بعض حِدَّة التعبير الوطني.

- تغير المنصات: سرعة تطور المنصات وخوارزمياتها (مقارنة فيسبوك بتيك توك مثلًا) تعني أن بعض الديناميات قد تتغير، مما يستدعي دراسات مقارنة بين المنصات.

3-3-اقتراحات للبحث المستقبلي:

- **دراسات مقارنة بين الأجيال** (جيل الألفية مقابل الجيل Z) لفهم التحول في آليات التفاوض الهوياتي.

- **دراسات كمية** تكميلية لقياس مدى انتشار الأنماط التي كشفت عنها هذه الدراسة النوعية على نطاق أوسع.

- **دراسات تتبعية** لنفس العينة أو ظواهر مماثلة عبر فترات زمنية أطول، لرصد تحولات الأداء والاستراتيجيات.

خلاصة

تثبت نتائج هذه الدراسة أن الفضاء الرقمي، في السياق الجزائري المدروس، لم يكن قوة استعمارية ثقافية تلغي الهوية، بل أصبح ساحة جديدة للفعل الاجتماعي المتجذر. لقد أظهر المستخدمون "ذكاء ثقافيا" و"وكالة" (Agency) فاعلة في انتقائهم وتكيفهم وتفاوضهم. ومنه فالمساهمة المركزية لهذا البحث هي في تقديمه فهما ديناميكيا ومركبا لعملية تشكل الهوية الرقمية، تربط بين القيود البنيوية (الخوارزميات، الأعراف) ومقاومة الفاعلين وابتكارهم، مؤكدة أن استمرارية الهوية في العصر الرقمي تمر حتما عبر عمليات تحول واعٍ وإبداعي لصورتها وتجلياتها.

خاتمة الدراسة

خاتمة الدراسة

تمثل هذه الخاتمة المحطة النهائية لهذه الأطروحة، التي سعت إلى تسليط الضوء على آليات تشكل الهوية الافتراضية وتفاوضها في فضاء التواصل الاجتماعي (فيسبوك)، من منظور أنثروبولوجي. وقد انطلقنا فيها من إشكالية محورية تتمثل في كيفية موازنة الفرد بين هويته المحلية الأصيلة وتشكيل هوية افتراضية في خضم التنوع الثقافي العالمي الذي يفرضه العالم الرقمي. وتماشيا مع هذه الإشكالية، سعت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، تمثلت أساسا في؛ تحليل تأثير استخدام فيسبوك على تشكيل وإعادة تشكيل الهوية، وكشف استراتيجيات التفاوض الهوياتي التي يتبناها المستخدمون للتوفيق بين المحلي والعالمي، وفهم كيفية استخدام أبعاد الهوية المحلية في إعادة إنتاج الهوية الافتراضية رقميا.

ولتحقيق هذه الغاية، اعتمد البحث على منهج الإثنوغرافيا الرقمية كإطار شمولي لفهم الممارسات الثقافية في بيئتها الطبيعية، مدعوما بمقاربة نظرية تجمع بين "نظرية شبكة الفاعلين "لفهم التشابك بين العناصر البشرية والتقنية، و"نظرية الهوية الاجتماعية" لفعلية الانتماء الجماعي. وعلى أدوات نوعية تشمل الملاحظة بالمشاركة وتحليل المحتوى والمقابلات شبه الموجهة مع عينة قصدية من المستخدمين النشطين.

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

1- طبيعة الهوية الافتراضية وبنيتها: كشفت الدراسة أن الهوية الافتراضية ليست كيانا منفصلا أو "سائلا" بالمعنى المجرد، بل هي "عرض منتقى ومركز" للهوية الواقعية، فهي تتشكل حول أربعة أبعاد رئيسية متداخلة تشكل نواة صلبة لهذه الهوية الرقمية في السياق المدروس، وهي:

- البعد الوطني: الذي ظهر كأكثر الأبعاد كثافة وحضورا، معبرا عنه عبر رموز مثل الذاكرة التاريخية (ثورة التحرير)، والرموز الوطنية (العلم)، والدفاع عن ثوابت الأمة، مما يؤكد دور الفضاء الرقمي كساحة لتعزيز الانتماء والتماسك الجماعي.

- البعد المهني: خاصة لدى العينة التي غلب عليها الطابع الأكاديمي، حيث تحول فيسبوك إلى وسيط لبناء السمعة العلمية، ونشر المعرفة، والتواصل المهني، مما يوسع من مفهوم الدور الاجتماعي للمثقف ليشمل الفضاء الرقمي.

- البعد الديني: قدم المستخدمون خطابا دينيا في غالبه معتدلا ومتوافقا مع النسق الاجتماعي، مركزين على الأدعية والأخلاقيات العامة، متجنبين الخوض في الجدل المذهبي أو الفقهي، مما يشير إلى إستراتيجية لتحقيق الانسجام وتجنب الصراع.

- البعد الاجتماعي: أكد على صلة الرحم والقيم العائلية، وتحويل المناسبات الاجتماعية والدينية إلى مناسبات افتراضية للتضامن وتبادل التهاني، مع الحفاظ على حدود الخصوصية.

2- استراتيجيات التفاوض بين الهويتين المحلية والعالمية: لم يكن تفاعل المستخدم مع المحتوى العالمي سلبيا، بل أظهر "ذكاء ثقافيا" في تبني استراتيجيات تفاوضية مركبة، تظهر من خلال:

- الرفض الانتقائي والتكيف الواعي: من خلال حذف التعليقات أو تجاهل المحتوى المخالف للقيم، أو مناقشته بأدوات عقلانية (خاصة من قبل الأكاديميين).

- الانفتاح الحذر: عبر متابعة ثقافات أخرى بهدف الإثراء المعرفي مع الاحتفاظ بحدود نقدية واضحة.

- إدارة الانطباع ومراعاة الضغوط الاجتماعية: حيث يعدل الأفراد من خطابهم تفاديا للوصم الاجتماعي، أو للحفاظ على استقرار شبكة علاقاتهم الواقعية-الافتراضية الممتدة.

3- إعادة إنتاج الهوية المحلية: يعمل الفضاء الرقمي ليس كقوة مسح للهوية المحلية، بل كـ "مشغل ثقافي" لإعادة إنتاجها وتجديدها عبر:

- التعزيز الرمزي: بتكثيف رموز الهوية الوطنية والدينية.

- النقد الذاتي المجتمعي: حيث يتحول الأكاديميون، باستخدام رأس مالهم الثقافي، إلى "نقاد داخليين" يسلطون الضوء على إشكاليات المجتمع من خلال نفس المنصة.

ثانيا: حدود الدراسة

على الرغم من سعي هذه الدراسة للدقة، فإنها لا تخلو من حدود ينبغي الاعتراف بها:

- حدود منهجية: اعتمادها على منهج نوعي ودراسة حالة مركزة لعينة متجانسة نسبيا (من الناحية التعليمية والمهنية) قد يحد من إمكانية تعميم النتائج على كافة شرائح المجتمع الجزائري، مثل فئة الشباب أو ذوي المستوى التعليمي المختلف.

- حدود زمنية وميدانية: ركزت الدراسة على منصة فيسبوك في فترة زمنية محددة، في حين أن المشهد الرقمي ديناميكي وسريع التغير، وقد تبرز أنماط هوياتية مختلفة على منصات أخرى مثل تيك توك أو إنستغرام.

- حدود التمثيل: قد لا تعكس العينة المدروسة كامل الطيف الآراء، وخاصة الأصوات الأكثر هامشية أو الراديكالية التي تختار الصمت أو التعبير في فضاءات أكثر انغلاقا.

ثالثا: توصيات ومقترحات للدراسات المستقبلية

انطلاقا من حدود هذه الدراسة ونتائجها، تقترح الأطروحة المجالات البحثية التالية:

1- دراسات مقارنة بين الأجيال: مقارنة آليات تشكيل الهوية الرقمية واستراتيجيات التفاوض لدى جيل الألفية (جيل واي) والجيل زاد Z، لفهم التحولات القيمية في عصر الرقمنة.

2- دراسات المنصات المتعددة: بحث كيفية تشكيل الهوية على المنصات المرئية والسريعة مثل تيك توك، ومقارنتها بفيسبوك لفهم تأثير بنية المنصة على الأداء الهوياتي.
3- دراسات كمية تكميلية: تطوير استبيان قائم على النتائج النوعية لهذه الدراسة، لقياس مدى انتشار الأنماط التي تم الكشف عنها على نطاق أوسع.
4- دراسات حول الاقتصاد الرمزي للهوية: تحليل كيف تتحول الممارسات الهوياتية على المنصات (مثل بناء السمعة المهنية) إلى "رأسمال رمزي" يمكن تحويله إلى فرص عملية في سوق العمل أو المجال العام.

رابعا: الخاتمة العامة والتأكيد على المساهمة البحثية

في الختام، تؤكد هذه الدراسة أن الفضاء الرقمي لم يكن قوة استعمارية ثقافية جديدة تذيب الخصوصيات، بقدر ما كان ساحة جديدة للفعل الاجتماعي، حيث أعاد الأفراد تفعيل هوياتهم المحلية واختبارها بلغة العصر. لقد أظهر المستخدمون الجزائريون، من خلال الممارسة اليومية، أنهم وكلاء فاعلون (Actors) وليسوا مجرد متلقين سلبيين.

المساهمة المركزية لهذا العمل تكمن في تقديمه نموذجا تفاعليا دائريا لفهم الهوية الرقمية، ينطلق الفرد من هوية محلية، ويختار ويعيد تركيب عناصرها في العرض الرقمي، ثم يتفاوض مع العالمية عبر استراتيجيات ذكية، ليعود في النهاية إلى تعزيز أو إعادة صياغة فهمه لهويته الأصلية. بذلك، تقدم الأطروحة إضافة أنثروبولوجية لفهم "العولمة من الأسفل"، وكيفية توطين التقنيات العالمية في التربة الثقافية المحلية، مما يحول الفضاء الافتراضي من مجرد أداة اتصال إلى مشهد حي للصراع والتفاوض والتجدد الثقافي.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية

1- الكتب:

1- إلياس نوربرت، مجتمع الأفراد، ط4، ترجمة: هاني صالح، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2014.

2- جيدنز أنطوني، الرأسمالية والنظرية الإدتماعية الحديثة: تحليل كتابات ماركس ودوركهايم وماكس فيبر، ط1، ترجمة: أديب يوسف شيش، دار النشر والتكوين، سوريا، د س.

3- دوركهايم إميل، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة، حافظ الجمالي، المكتبة الشرقية، لبنان، 1982.

4- عريفج سامي سلطي، مقدمة في علم النفس التربوي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2000.

5- غامري محمد حسن، المدخل الثقافي في دراسة في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1989.

6- كونسن بيتر، البحث عن الهوية: الهوية وتشتيتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، ط1، ترجمة: سامي جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة، 2010.

7- محمد السيد عبد الرحمن، مقياس موضوعي لرتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 1998.

8- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، الطبعة الثانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

9- هولبورن هارلمبس، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ط1، ترجمة: حاتم حميد حسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010.

10- دبلة عبد العالي، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية، الجزائر، 2011.

11- آلبرتين كاترين (وآخرون)، الهوية والهويات: الفرد- الزمرة- المجتمع، ترجمة إياس حسن، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010.

12- أحمد عبد الرحيم السايح، في الغزو الفكري، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1993.

13- إبراهيم محمد عباس، الثقافات الفرعية: دراسة أنثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

14- الأحمد فاروق، ومحمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2016.

15- الجابري محمد، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، 1998.

16- الجموسي جوهر. المجتمع الافتراضي، د ن، تونس، .2007
17- الحنفي حسنين حسن، الهوية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012.
18- الداوي عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة. ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
19- رابح صادق. فضاءات رقمية - قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات. ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2013.
20- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
21- الفاتح حمدي، محمد (وآخرون). تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة: الاستخدام والتأثير. ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.
22- الكحال رياض (مترجم). عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟ تأليف بيير ليفي، ط1، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2018.
23- الكعشمي عثمان. دفاعاً عن الأنثروبولوجيا: من أجل إعادة صياغة الأنثروبولوجي. مركز نهوض للبحوث والدراسات، 2020.
24- المليح الواكدي، جليلة. مفهوم الهوية - مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع. مركز النشر الجامعي، منوبة، 2010.
25- منصوري نديم. سوسيولوجيا الإنترنت. ط1، منتدى المعارف، بيروت، .2014
26- بارني دارن. المجتمع الشبكي. ترجمة أنور الجمعاوي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2015.
27- تايلر تشارلز. منابع الذات: تكون الهوية الحديثة. ترجمة حيدر حاج إسماعيل، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2014.
28- داني رودريك، معضلة العولمة: لماذا يستحيل التوفيق بين الديمقراطية وسيادة الدول والأسواق العالمية؟، ط1، ترجمة رحاب صلاح الدي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.
29- دانييل جوني، أساسيات اختيار العينة في البحوث العلمية: مبادئ توجيهية عملية لإجراء اختيار العينة البحثية، ترجمة: طارق عطية عبد الرحمن، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2015.
30- دوبار كلود، أزمة الهويات - تفسير تحول. ترجمة رندة بعث، ط1، المكتبة الشرقية، بيروت، 2000.
31- ساكس جيفري، عصور العولمة: الجغرافيا والتكنولوجيا والمؤسسات. ترجمة ربيع وهبة، ط1، دار التنوير، القاهرة، 2022.
32- شارلين هس بيبر، وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ط1، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011.

33- صوفي عبد اللطيف، المعلومات الإلكترونية وإنترنت في المكتبات، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2001.
34- عزي عبد الرحمن، والسعيد بومعيزة. الإعلام والمجتمع: رؤية سوسيولوجية مع تطبيقاتها على المنطقة العربية والإسلامية. الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
35- عماد عبد الغني. سوسيولوجيا الهوية: جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، .2017
36- غوبتا رافي، وهيو بروس. وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على المجتمع. ترجمة عاصم عبد الفتاح، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، .2017
37– سالم فاطمة الزهراء، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية، دار العالم العربي، مصر، 2008.
38- فوكوياما فرانسيس. نهاية التاريخ والإنسان الأخير. ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.
39- كاستلز مانويل. سلطة الاتصال. ترجمة محمد حرفوش، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
40- كلاين نعومي. عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث. ترجمة نادين خوري، ط2، شركة المطبوعات، بيروت، .2011
41- كوش دنيس. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
42- ليفي بيير، عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟ ترجمة رياض الكحال، ط1، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2018.
43- ماثيو أنجيلكه، كيف تفكر كأنثروبولوجي، ط1، ترجمة عومرية سلطاني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، .2020
44- المسكيني فتحي. الهوية والزمان - تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن". ط1، دار الطليعة، بيروت، 2001.
45- ميشال دو سارتو، ابتكار الحياة اليومية: فنون الأداء العلمي، ترجمة محمد شوقي الزين، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011.
46- ميكشللي أليس. الهوية، ط1، ترجمة: علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، 1993.
47- هانرز أولف. "العالميون والمحليون في الثقافة العالمية". في ثقافة العولمة: القومية والعولمة والحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.

2- أطروحات ومذكرات أكاديمية:

01- بعزيز إبراهيم، "منتديات المحادثة والدردشة الإلكترونية: دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع". مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-.2008

02- . النوي إيمان، البيئة الرقمية وعلاقتها بالاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015-.2016

03- كسيرة أسمهان، الشباب الجزائري والهوية الافتراضية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مستغانم، الجزائر، 2017-.2018

04 – كشرود فاطمة الزهراء، تفاعلية المستخدم الرقمي وتشكيل الفضاء العمومي: دراسة إثنوغرافية على المجموعات الفيسبوكية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مستغانم، الجزائر، 2021- .2022

05- رابحي ناسلية، دوافع استخدام الشباب الجزائري لشبكات التواصل الاجتماعي. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2019-2020.

03- مقالات في مجلات محكمة:

1- السعداوي نزيهة مصباح، "استعراض الذات في مواقع التواصل الاجتماعي والتمثلات السوسيوثقافية لبناء الهوية الافتراضية". مجلة سوسيولوجيون، مج1، ع1، .2020

2- الكاس صافية، "الاستعمال اللغوي في وسائل التواصل الاجتماعي عند الشباب العربي: الواقع والأسباب والآثار". مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج8، ع3، .2019

3- جودي سفيان، "فرانسيس فوكوياما والتأسيس الفيلو-بوليتيك لنهاية التاريخ". مجلة متون، مج9، ع1، 2016.

4- حمداوي عمر، "الهوية الجماعية لأفراد الأسرة وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية الحديثة". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع19، .2015

5- سعيدي أحلام، وخولة طالب الإبراهيمي. "لغة الطلبة الجامعيين من خلال مواقع التواصل الاجتماعي: دراسة تحليلية لبعض الممارسات اللغوية في صفحات الفيسبوك". مجلة الممارسات اللغوية، مج12، ع2، 2021.

6- سلامة، محمود محمد حمدي. "هوية الشباب بين الواقع ووسائل التواصل الاجتماعي: دراسة سوسيولوجية للحالة المصرية". مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع100، .2024

7- متولي أحمد، "التأثيرات الثقافية للعولمة على الهوية العربية". مجلة المستقبل العربي، ع358، 2008.

8 – كريملي هدى، الثقافة الرقمية ورهان الهوية عند الشباب المغربي، إنسانيات، ع 95، 2022.

04- معاجم:

1- الصليبا، جميل. المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية. ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

2- بينيت، طوني (وآخرون). مفاتيح اصطلاحية - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع. ترجمة سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010.

3- بونت، بيار (وآخرون). معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا. ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 'مجد'، بيروت، .2006

4- الموسوعة العربية لعلم الاجتماع، الدار العربية للكتاب، تونس 2010.

05- مقالات في مواقع إلكترونية:

1- لعياضي نصر الدين. "المفاهيم في بحوث الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية: رهانات التعريفات". مركز الجزيرة للدراسات، 11 أبريل 2023. https://studies.aljazeera.net/ar/article/5611

2- نصار جمال، "الهوية الثقافية وتحديات العولمة". مركز الجزيرة للدراسات، 28 يناير 2015. https://studies.aljazeera.net/ar/issues/2015/01/201512895243715948.html

3- معجم المعاني. "هوية". https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/. شوهد 26 سبتمبر 2017.

4- معجم المعاني. "مستخدم". https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/. شوهد 22 مارس 2017.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1- كتب:

1- Albrow Martin, The Global Age: State and Society Beyond Modernity. Stanford University Press, 1996.

2- Appadurai Arjun, Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization. University of Minnesota Press, 1996.

3- Bello Walden, Deglobalization: Ideas for a New World Economy. Zed Books, 2002.

4- Boellstorff Tom, Coming of Age in Second Life: An Anthropologist Explores the Virtually Human, Princeton University Press, 2008.

5- Boudrillard Jean, Qu'est-ce que la mondialisation? Grasset, 1998.
6- Castells Manuel, The Rise of the Network Society, Wiley-Blackwell, 2010.
7- Coadic Yves F, Usages Et Usagers De L'information, Armand Colin, 2004.
8- Friedman Thomas L, The World Is Flat: A Brief History of the Twenty-first Century. Farrar, Straus and Giroux, 2005.
9- Granjon Fabien, and Julie Denouel, Communiquer à l'ère numérique: Regards croisés sur la sociologie des usages, Open Edition Books, 2013.
10- Hannerz Ulf, Transnational Connections: Culture, People, Places. Routledge, 1996.
11- Hine Christine, Virtual Ethnography, 2nd ed., SAGE Publications, 2001.
12- James Paul Gee and Michael Handford (eds), Routledge Handbook of Analysis, Routledge, London, 2012
13- Johler Reinhard, et al, editors. Doing Anthropology in Wartime and War Zones: World War I and the Cultural Sciences in Europe. transcript Verlag, 2010.
14- Kearney Michael, Reconceptualizing the Peasantry: Anthropology in Global Perspective, Westview Press, 1996.
15- Kessous Emmanuel, Usages des TIC et Sociologie Economique des Conventions, Open Edition Books, 2013.
16- Klein Naomi, The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism, Knopf, Canada, 2007.
17- Latour Bruno, Reassembling the Social: An Introduction to Actor-Network-Theory, Oxford University Press, 2005.
18-Miller Daniel, Social Media in an English Village. UCL Press, 2016.
19- Nakamura Lisa, Digitizing Race: Visual Cultures of the Internet, University of Minnesota Press, 2008.
20- Papacharissi Zizi, editor. A Networked Self: Identity, Community, and Culture on Social Network Sites, Routledge, 2011.

21- Parks Malcolm R. "Social Network Sites as Virtual Communities." In A Networked Self: Identity, Community, and Culture on Social Network Sites, edited by Zizi Papacharissi, Routledge, 2010.
22- Sachs Jeffrey, The End of Poverty: Economic Possibilities of Our Time, Penguin Press, 2006.
23- Scupin Raymond, "Culture: The Use and Abuse of an Anthropological Concept." In Cultural Competence in Applied Psychology, edited by Craig L. Frisby and William T. O'Donohue, Springer, 2018, pp. 243-268.
24- Stiglitz Joseph E, Globalization and Its Discontents, W.W. Norton & Company, 2002.
25- Tajfel Henri, and John Turner, "An Integrative Theory of Intergroup Conflict." The Social Psychology of Intergroup Relations, edited by William G. Austin and Stephen Worchel, Brooks/Cole, 1979, pp. 33-47.
26- Turkle Sherry, Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other, Basic Books, 2011.
27- Voirol Olivier, L'intersubjectivation technique: de l'usage à l'adresse: Pour une théorie critique de la culture numérique. Open Edition Books, 2013.
28- Yves F Le Coadic, Usages Et Usagers De L'information, Armand Colin, Paris, 2004.

2- مجلات محكمة:

1- Al-Etaibi A, Identity and Globalisation: Tribal Identity in the Age of Social Media. In: Rahman, M.M., Al-Azm, A. (eds) Social Change in the Gulf Region. Gulf Studies, vol 8. Springer, Singapore. 2023. https://doi.org/10.1007/978-981-19-7796-1_3

2 - Bonniol, Jean-Luc, et al. "Introduction au dossier 'Race et biologie'." Cahiers de l'Urmis, no. 20, 2021. http://journals.openedition.org/urmis/2278

3 - Boyd, Danah M and Nicole B. Ellison. "Social Network Sites: Definition, History, and Scholarship." Journal of Computer-Mediated Communication, vol. 13, no. 1, 2007, pp. 210-230.

4 - Bennett W. Lance, "The Personalization of Politics: Political Identity, Social Media, and Changing Patterns of Participation." The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, vol. 644, no. 1, 2012, pp. 20-39.

5 - Brubaker Rogers, and Frédéric Junqua. "Au-delà de L' identité ." Actes de la recherche en sciences sociales, vol. 139, 2001, pp. 66-67.

6 - Comaroff, John, and Jean Comaroff. Of Revelation and Revolution: Christianity, Colonialism, and Consciousness in South Africa. Vol. 1, University of Chicago Press, 1991.

7 - Driskell, Robyn Bateman, and Larry Lyon. "Are Virtual Communities True Communities? Examining the Environments and Elements of Community." City & Community, vol. 1, no. 4, 2002, pp. 373-390.

8 - Fraser, Nancy. "Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy." Social Text, no. 25/26, 1990, pp. 56-80.

9 - Kozinets Robert et al, "Transformative Netnography: Combining Representation, Social Media, and Participatory Action Research." Proceedings of the 57th Hawaii International Conference on System Sciences, 2024, pp. 2298-2306.

10- McPherson Miller, Lynn Smith-Lovin, and James M. Cook. "Birds of a Feather: Homophily in Social Networks." Annual Review of Sociology 27, 2001: 415–444.

11 - ROBERT HASSAN, Network Time and the New Knowledge Epoch. Time & Society, 12 (2/3), pp.225-241. https://doi.org/10.1177/0961463X030122004.

12 - Yildiz Sumeyye, [Book Review] Heidi A. Campbell & Ruth Tsuria (Eds.), Digital Religion: Understanding Religious Practice in Digital Media (2nd edition), Routledge 2022. Al-Adabiya: Jurnal Kebudayaan dan Keagamaan, Vol 17 N^{o} 2, 2022 ,pp 123-129. https://doi.org/10.37680/adabiya.v17i2.1316

13 - Marie Lefebvre, «Christine Hine, Ethnography for the Internet. Embedded, Embodied and Everyday », Lectures [Online], Reviews, Online since 12 July 2015, connection on 06 Nov 2023.URL:http://journals.openedition.org/lectures/18642; DOI: https://doi.org/10.4000/lectures.18642

14 - Petrinq Kelly (and all), Culture and Personality, The University of Alabama, In: ttps://anthropology.ua.edu/theory/culture-and-personality/ 15 Sept 2024, 20 :20.

3- مواقع إلكترونية:

1- Ray Michael. "Social network." Encyclopedia Britannica, 1 Oct. 2024. https://www.britannica.com/technology/social-network

2- Statista. "Internet Usage Worldwide." https://www.statista.com/

3- The Britannica Dictionary, Search for a Word: User, In: https://www.britannica.com/dictionary/user 22Mar2017, 10:43.

4- Vocabulary Dictionary, Search : User, In : https://www.vocabulary.com/dictionary/user 22Mar 2017, 11:55.

ملخص

تهدف هذه الأطروحة إلى دراسة تحولات الهوية الثقافية في ظل المجتمعات الافتراضية، مع التركيز على مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي وخاصة فيسبوك. تنطلق الدراسة من إشكالية رئيسية تتمثل في استكشاف آليات تشكيل الهوية الثقافية في الفضاء الرقمي وطبيعة العلاقة بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضية.

تعتمد الأطروحة على إطار نظري يجمع بين نظرية المجتمع الشبكي (كاستلز) ونظرية السيولة (باومان)، بهدف فهم كيفية إعادة تشكيل الهويات والعلاقات في البيئة الرقمية التي تتجاوز الحدود الجغرافية التقليدية.

من الناحية المنهجية، تتبنى الدراسة منهج الإثنوغرافيا الرقمية كمنهج رئيسي، مدعوماً بالمنهج الوصفي التحليلي والمقارن. وتستخدم أدوات جمع بيانات متنوعة تشمل الملاحظة بالمشاركة على المستويين الافتراضي والواقعي، والمقابلات نصف الموجهة، وتحليل المحتوى السيميولوجي للرموز والعلامات غير اللفظية.

تتكون عينة الدراسة من 15-20 مستخدماً نشطاً لفيسبوك، يتم اختيارهم بناءً على معايير محددة تشمل مستوى النشاط العالي وتنوع المحتوى وإمكانية الوصول. وتتميز الدراسة بعدم تقيدها بمجال جغرافي محدد، انسجاماً مع طبيعة المجتمعات الافتراضية العابرة للحدود.

تسعى الأطروحة إلى تقديم فهم عميق لكيفية تعبير الأفراد عن انتمائهم الثقافي في الفضاء الرقمي، والكشف عن الديناميات الجديدة التي تفرضها الرقمنة على تشكيل الهوية الثقافية، مع تقديم نموذج تحليلي يساهم في دراسة الهوية في المجتمعات الافتراضية من منظور أنثروبولوجي معاصر.

Abstract

This thesis aims to study the transformations of cultural identity within virtual communities, with a focus on users of social media platforms, especially Facebook. The research stems from a central problematic concerning the mechanisms through which cultural identity is formed in digital spaces and the nature of the relationship between real-world and virtual identity.

The thesis is grounded in a theoretical framework that combines Network Society theory (Castells) and Liquid Modernity theory (Bauman), seeking to understand how identities and relationships are reconfigured in digital environments that transcend traditional geographical boundaries.

Methodologically, the study adopts **digital ethnography** as its primary approach, supported by descriptive-analytical and comparative methods. It employs diverse data collection tools including participant observation on both virtual and real levels, semi-structured interviews, and semiotic content analysis of non-verbal symbols and signs.

The study sample consists of 15–20 active Facebook users, selected based on specific criteria such as high activity levels, content diversity, and accessibility. Notably, the research is not confined to a specific geographical area, in line with the border-transcending nature of virtual communities.

The thesis strives to provide a deep understanding of how individuals express their cultural belonging in digital spaces and to uncover the new dynamics imposed by digitalization on the formation of cultural identity. It also proposes an analytical model that contributes to the anthropological study of identity in virtual communities from a contemporary perspective.